ديوان ذوب العسجد
في
الأدب المفرد



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

تم التنسيق والإخراج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

تنسيق وإخراج	حفظ الله أحمد أحمد عقيل
إشراف	عبد الحفيظ حسن النهاري

(رقم الإيداع) بدار الكتب الوطنية

(٣٢٢ بتاريخ ٨/٧/٢٠١٢م)

دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية



ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www. izbacf .org ; email : info @izbacf. org

التنفيذ الطباعي

دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر

تلفون (٧٧١٢٢٣٥٧٨)

ديوان

ذوب العسجد
في
الأدب المفرد

الجزء الأول الحكمي

الجزء الثاني الحميني

للشاعر العلامة محسن بن عبد الكريم إسحاق

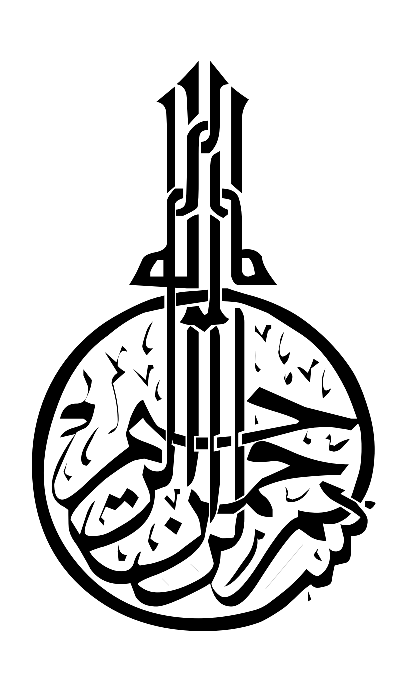
حققه وضبطه وقدم له

الأستاذ: عبد الله محمد إسحاق **د . إبراهيم محمد إسحاق**

صححه ونسقه

الأستاذ: عباس إسماعيل إسحاق




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الديوان

شاعرنا ، محسن بن عبد الكريم إسحاق ، صاحب ديوان ((**ذوب العسجد، في الأدب المفرد**)) من مواليد شهر ربيع الأول ١١٩١هـ، ويبدو أنه قد بدأ ((يهنهن)) بشعر بديع من نظمه وهو في العاشرة من عمره ، صبيا لمّا يبلغ الحلم بعد بحسب شهادة معاصريه الأعلام، ومنهم من ذكر ذلك تحديداً كما في شهادة أحد معاصريه الثقات وهو العلامة محمد بن صالح بن أبي الرجال ، وقد كان اكتشاف مؤرخي الأدب في عصر الشاعر نبوغ محسن بن عبد الكريم إسحاق في نظم الشعر (الحميني) والشعر (الحكمي) على السواء بعد أن أكمل سنته الثانية عشرة وبدأ يدرج في شهور سنته الثالثة عشرة بحسب شهادة شيخه ومعاصره العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي ترجم لشاعرنا في مصنفه المشهور (البدر الطالع) فقال :

[واتفق في سنين قديمة أني خرجت أنا وجماعة من شيوخي ، منهم شيخنا العلامة السيد عبد القادر بن أحمد ، وشيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي ، وجماعة من أعلام الزمن ، وأعلام صنعاء اليمن ، وفيهم والد صاحب الترجمة وعمه ، وفي الجماعة صبيان في نحو (العشر سنين) ، وأقل ، وأكثر ، ومنهم المحسن صاحب الترجمة فكان (الصبيان يلعبون) ويشتغلون بما يشتغل به أمثالهم ، (والمذكور يصغي إلى ما يدور بين أولئك الأعلام) من المراجعات العلمية ، والمطارحات الأدبية ولا يلتفت إلى شيء مما الصغار فيه ، فعجبت من حاله ، وأشرت إلى جماعة من العلماء ينظرون إليه ، فأخبرنا والده إذ ذاك (بأن صاحب الترجمة] قد (صار له شعر في تلك السن]. أما رواية المؤرخ العلامة إبراهيم الحوثي صاحب (نفحات العنبر) فإننا نكتشف منه أن ما رواه العلامة الشوكاني قد جرى مع شاعرنا في (حدّة) أيام كانت منتجعاً لأهل مدينة (صنعاء) بعد شهر أو أقل من تمام سن الشاعر للثانية عشر من عمره الذي امتد لخمسة وسبعين عاماً . يقول العلامة إبراهيم الحوثي:

(اتفق أنه خرج أعيان صنعاء وأعلامها إلى (حدة) الغناء) أيام الزهـور في رجـب سنة ١٢٠٤هجرية ، وواسطة عقدهم شـيخ الإسـلام عبـد القـادر بـن أحمـد ، وفي صحبته (تلاميذه) :

القاضي محمد بن علي الشوكاني

والقاضي الحسين السياغي

والقاسم بن يحيى الخولاني

والمولى الحسن بن عبد الرحمن بن علي

وجماعة من الأعيان

وخرج صاحب الترجمة مع والده وعمه جمال الدين

فنقل إلى (شيخ الإسلام الوجيه) أن (صاحب الترجمة) ينظم الـشعر ، وأنـه فعـل مقطوعاً حسناً في (الاقتباس) ونقله من الرثاء إلى الغزل فقال :

بنفـــــسي مـــــن وافى عـــــلى حـــــين غفلـــــة
فيـــــا مـــــا أحـــــيلى الوصـــــل منـــــه ومـــــا ألـــــذ
(أَخَـــــذْ) قلـــــب (مـــــضناه) وأعطـــــاه قبلـــــة
(فللـــــه مـــــا أعطـــــى، ولله مـــــا أَخَـــــذْ)

ثم استدعى السيد عبد القادر صاحب الترجمة وهو يلعب مع الصبيان (الذين هم أترابه) ، وأعطاه دواة وقرطاساً ، وأمره أن يكتب من شعره فاستحيا استحياء عظيماً ، ثم أخذ القرطاس وكتب:

يـــــا إمـــــام العلـــــوم عقـــــلاً ونقـــــلاً
وإمـــــام الأصـــــول ثـــــم الفـــــروع

اعـــــذروني عـــــن كَتْـــــب شـــــعري فـــــإني

في حيـــــــــــاتي غـــــــــــدوَت أي مـــــــــــروع

ولما رجعوا إلى صنعاء أرسل صاحب الترجمة إلى العلامة السيد عبد القادر قصيدة طويلة حسنة ، ولم يزل مشتغلاً بالشعر حتى برع فيه ونظم القصائد الطنانة ، وكاتب الأعلام ، وفاق فيه الأقران ، وخاض في بحوره، ثم بعد أن عادوا لصنعاء أرسل الشاعر لشيخ الإسلام (الكوكباني) قصيدة، حسنة ، طويلة ، استهلها قائلاً :

لي قلـــــب في حـــــبكم محتـــــار

وفـــــؤاد لأجلكـــــم صـــــبار

حتى قال :

خففـــــوا مـــــن عذابـــــه وارحمـــــوه

فهـــــو مـــــن نـــــاظري علـــــيكم يغـــــار

مضمناً البيت المشهور للشاعر ابن هتيمل:

(أنـــا مـــن نـــاظري عليـــك أغـــار)

وارِ عنّـــي مـــا زال عنـــه الخـــمار

إلى أن قال قولته التي أثارت شجون شيخ الإسلام العلامة عبد القادر ابـن أحمـد الكوكباني :

يـــا كحيـــل الجفـــون بالـــسحر حقـــاَ

ولهـــــا الاقتـــــدار والانكـــــسار

عجبـــــاً منـــــك في خـــــدودك ورد

ثـــــم فيـــــه الجنـــــات والأنهـــــار

فلمــاذا لكــافر الخــال حلــت

أيجــازى بالجنــة الكفــار

وقبل أن نسهب في تفصيل ما كان بينه وبين هذا العالم الجليل، فشاعرنا صبي غرير يدرج في ثلث عقده الثاني، والشيخ في منتهى عقده السبعين ؛ نذكر هنا منزلة العلامة الكوكباني وهو شيخ الإسلام الذي ترجم له الإمام محمد بن علي الشوكاني في البدر الطالع فقال عن شيخه السيد العلامة عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكوكباني : (وهو شيخنا الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق ، ولد كما نقلته من خطه في شهر ذي القعده سنة (خمس وثلاثين ومئة وألف هجرية) نشأ بكوكبان فقرأ على من به من العلماء ثم رحل إلى صنعاء فأخذ عن أكابر علمائها كالسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، والسيد العلامة هاشم بن يحيى (الشامي) وغيرهم، ثم رحل إلى مدينة ذمار وهي إذ ذاك مشحونة بعلماء الفقه والفرائض ، فأخذ عن مشائخها الفقه والفرائض ، ثم تردد في كل مدن اليمن ، وأخذ عن كل من لقيه من العلماء ، ثم رحل إلى مكة والمدينة المنورة فأخذ عن علماء الحرمين ... أما مشائخه فقد اشتمل على مجلد حافل – كما يقول الشوكاني – ذكر فيه العلامة الكوكباني من أخذ عنه ، ومن أجاز له ، والأسانيد التي تلقاها عن أشياخه...وبقي مهاجراً في الحرمين نحو عامين،

ثم عاد إلى كوكبان وصنعاء ، ثم استوطن كوكبان واستقر هنالك ينشر العلم ويفيد الطالبين) .

قال الشوكاني : (وأقر له بالتفرد في جميع العلوم – كل أحد – بعد موت شيخه السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير، وإني أذكر ، وأنا في المكتب، مع الصبيان أني سألت والدي عن أعلم من في الديار اليمنية إذ ذاك فقال :

فلان ، يعني صاحب الترجمة))...

خاصة الخاصة والشعر الحميني :

لو شئنا لأتينا بأقوال بعض المؤرخين عن أن اللحن في كلام بعض القبائل العربية يمتد من الجاهلية ويتقلب عبر العصور في كثير من مناطق الجزيرة العربية حتى يوم الناس هذا ، ونقصد باللحن في الكلام التسكين لأواخر معظم مفردات الكلام وعدم إعرابها ربما امتيازاً لثقافتها عن ثقافة المعربين من الأعراب ، أو ابتناء موقف ما في مواجهة الخاصة أو حفاظا على هوية ما مقابل هوية ادعاها الحاكمون وتبنته نخب الفقهاء والساسة وتجار السوء ، فمنذ الأيام الأولى التي بشرت بنجاح الرسالة المحمدية التي كان أعظم إنجازاتها (يوم الفتح) لمكة البلد الحرام لم تتمالك قريش أن عبرت عن غبطتها لهذا الفتح الذي رأت فيه (ملكاً) عظيماً لمحمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم وهو ما جرى على لسان أحد ساداتها (أبي سفيان) حين التفت لنظيره الهاشمي من التجار (العباس) وقال له في غبطة وسرور غير خافيين يوم الفتح :

- لقد أضحى ملك ابن أخيك عظيماً !!

نعود إلى المقطوع الحسن – بحسب تعبير المؤرخ الحوثي في (نفحات العنبر) – الذي نقله شاعرنا محسن بن عبد الكريم من (الرثاء) إلى (الغزل) حتى يتبين المراد من قولنا السابق عن موقف (خاصة الخاصة) من (الشعر الحميني) كموقف وكعمل إبداعي جهوي (أو شعبي) وإن لم يقل صاحبه ذلك .

يقول الإمام الناصر محمد بن إسحاق (جد محسن بن عبد الكريم) في أصل مارثى به ابنة له توفاها الله :

قـــــــضى الله في ريحانـــــــــة القلـــــــــب أمــــــــره
ومـــــــن ذا يــــــرد الأمـــــــر مـــــــن بعـــــد مـــــا نفــــذ
فــــــلا تجزعـــــي يـــــانفس واستـــــشعري الــــــرضى
فللــــــــه مــــــــا أعطـــــــى ، ولله مـــــــا أخـــــذ

وهذان البيتان من الشعر الفصيح المعرب ، وعلى سبيل المجاراة الأدبية خفيفة الظل قتل الحفيد الصبي الحكمي بالحميني كما تفرد بعد ذلك – فيما نعلم، وكما سنفصل – بقتل الحميني بالحكمي وإن كان – بعد نضوجه – متأثراً بالمتنبي أو لآنسي الأب أو غيرهما ، فقد قال :

بنفسي من وافي على حين غفلة

فيا ما أحيلى الوصل منه وما ألذ

(أَخَذْ) قلب مضناه وأعطاه قبلة

(فلله ما أعطى، ولله ما أَخَذْ)

فلم تشفع خفة ظل الصبي وابتداعه (غزلا) من مرثاة جدته الصبية عند من لفت انتباهه وأعجب به وهو العلامة الكوكباني فتعامل مع هذه المسألة بجدية بالغة شاطبا (الأخذ) ومصوبا بقوله (سبا قلب مضناه) التي ربما لمحها بعض ظرفاء ذلك الزمان فكتب ساخرا لعمري إن لفظ (أخذ) على ما فيه من لحن أحسن من قوله (سبا على صحته في العربية)، ثم يأتي القاضي العلامة الشوكاني بعد شيخه السيد الكوكباني ليثبت هذا الموقف في ترجمة الشاعر محسن بن عبد الكريم فقال في البدر لطالع :

(فأخبرنا والده - إذ ذاك – بأن صاحب الترجمة قد صار له شعر في تلك السن ، كثير منه (الملحون) الذي يسميه أهل اليمن الحميني) ،هكذا قول الشوكاني (أهل اليمن) وكأنه آت من المريخ .

قصيدة الصبي، ورد الشيخ :

ما إن استرد الصبي أنفاسه مما كان في ربيع حدة من أيام رجب سنة ١٢٠٤هـ بعد أن قفل راجعاً مع أبيه وعمه حتى أخذ قرطاساً ودواةً وقلماً وبدأ في نظم مطولة حكمية معربة فلعل فؤاده التقط اعتراض مشايخ العلم على لحن أبياته ، وأرسل مطولته

التي نظمها للشيخ الجليل واستهلها بقوله:

لي قلـــــب في حـــــبكم مختـــــار

وفـــــؤاد لهجـــــركم صـــــبار

ثم يضمن قول ابن هتيمل:

أنـــا مـــن نـــاظري عليـــك أغـــار

فيقـــــول:

خففـــوا مـــن عذابـــه وارحمـــوه　　　　فهـــو مـــن نـــاظري علـــيكم يغـــار

باسطاً جناحي معارفه لشيخ الإسلام الـذي أعجـب بـه ، وسـالباً مـن صـاحب القصيدة التي مطلعها:

غـــــيري عـــــلي الـــــسلوان قـــــادر

محاسن صورة الليل التي يقول فيها :

يـــا ليـــل مالـــك آخـــر　　　　يرجـــى ولا للـــشوق آخـــر

لي فيـــك أجـــر مجاهـــد　　　　إن صـــح أن الليـــل ((كـــافر))

فيقول الصبي في صورة غزلية ينافس بها ابن الفارض :

عجبـــــاً منـــــك في خـــــدودك ورد

ثـــــم فيـــــه الجنـــــات والأنهـــــار

فلـــــماذا (لكـــــافر) الخـــــال حلـــــت

أيجـــــازى بالجنـــــة (الكفـــــار) ؟

ويصل – قبل الختام – لخطاب رقيق لشيخ الإسلام فيقول :

منـــك يـــا مـــن بقلبـــي لـــه محـــل

فـــــاز بـــــالعطف غـــــيره والجـــــوار

بجـــــواب مـــــن القـــــريض يحـــــاكي

دره –في نحورهـــــا –الأبكـــــار

لكن شيخ الإسلام الكوكباني ربماَ بدَىٰ متعباً ، أو لأي سبب آخر كان، لم يتكلف السؤال عما بعث له الصبي ، لكنه لا شك فوجئ بعد حين اطلاعه علىٰ بليغ قصيدة محسن بن عبد الكريم التي جاوزت خمسة وثلاثين بيتاً (فصيحا) ، (معربا) ، جيد السبك قياساً لا علىٰ أترابه بل علىٰ أشياخ من معاصريه ، ولذلك قيل إن الشيخ الجليل قد رد عليه شعراً ، وقد كان (سهىٰ عن البحر والروي يوم صادف نظم جوابه) الذي استهله بقوله:

وصلت بجنحٍ وهي شمس نهار ... فـصلت حـشاشةَ عـاذلٍ بـأوار

ورأيـت منهـا روضـة يـصفو بهـا ... في الخـد مـاءٌ فيـهِ جـذوة نـار

نـار تلهَّـب في الخـدود وحرُّهـا ... في مهجـةٍ لم تخـل عـن تـذكار

وقبل أن يمط أحد لحم شفتيه مستنكراً علىٰ الشيخ الجليل مبادلته لصبي يرونه غريرا الغزل بالغزل ، والقول بالقول ممن هلكوا في ترديد محفوظاتهم دون إضافة أو بداع ، يسارع العلامة الكوكباني ليقول :

نظمـــي لـــه ، فـــدع الـــذين تقـــدموا

عـــن عـــصره ببلاغـــة الأشـــعار

أهـــديت مـــا لا يـــستطاع جوابـــه

فغبـــاره مـــا شـــق في مـــضمار

لـــو لم يكـــن ســـحراً وقـــد أبـــصرته

بحـــرا يـــصافحه مـــن الأســـفار

والـــسحر يختلـــب الحِجـــى .. فاعـــذر إذا

قابلـــــت منـــــه الـــــدر بالأحجــــار

لا يـــــستطيع ذوو البلاغـــــة خوضـــــه

فعـــــدلت عنـــــه لمـــــشبه الأشـــــعار

قيل (وكتب شيخنا الوجيه عبد القادر بن أحمد على قوله (لمشبه الأشعار) ما لفظه:

هذا يحتمل معنيين ، الأول ظاهر ، والثاني أن بعضهم لم يعد الرجز شعراً حتى قال : (وشرط الشعر القصد)

لو يجاز ابن عشر سنين :

وتوطدت علاقة شاعرنا بشيخ الإسلام الكوكباني الذي توجه ذات يوم إلى (الروضة) ليقضي فيها موسم (الخريف) كما يسميه أهل صنعاء وهي أيام من شهور الصيف حيث موسم العنب والفواكه ، فكان بعد الشيخ وغيابه عن مجلس يأنس به شاعرنا محسن بن عبد الكريم فيه بشيخ الإسلام وعلومه دافعاً لمكاتبته بما يحسن من الشعر مستهلا نظمه بالقول:

بقدومك (الروض النضير) معوَّذ

بعـــد الـــسرور بقربـــك الميمـــون

ومعلوم أن للروض النضير المعنى القريب للتي كانت (روضة) والمعنى البعيد يقصد به الشاعر (الروض النضير ، شرح مجموع الفقه الكبير لشيخ شاعرنا العلامة الحسين بن أحمد السياغي وقد قرأ عليه شاعرنا كما ذكر ذلك العلامة الشوكاني في (البدر الطالع) وكان من رد العلامة عبد القادر الكوكباني شهادة بنبوغ شاعرنا المبكر في عشر سنين كما ذكر ذلك أولاً فقد قال شيخ الإسلام :

كانـــت ديـــارك مـــن حـــصاهم أنجـــماً

فعلـــوت فـــوق الـــوهم والتخمـــين

فلأنـــت أولى مـــن يحـــوز العلـــم في

عـــشر ، ولـــستُ أقـــول في عـــشرين

يقارب ذلك شهادة أحد معاصري الشاعر وهو العلامة القاضي محمد بن صالح بن أبي الرجال فقد كتب إليه الشاعر قصيدة مطلعها :

أقـول وقـد جـاء مـن نحـوكم جـواب وتـالله ماقلـت زورا

ألا هكـذا فلـيروي الكـلام لتحـسد فيـه الـصدور الـسطورا

فكان رد القاضي محمد بن أبي الرجال هكذا :

لعمـري لقـد جئـت بـالمعجزات في الـنظم والنثـر طفـلاً صـغيرا

فكانـت تقـول رواة القـريض كيـف بـه حـين ينـشي كبـيرا

وليس بمثل هذا بمستغرب على شاعر مثل محسن بن عبد الكريم إسحاق ، كما لم يكتف ذلك الشاعر بنبوغه ، بل مضى مثابراً في تحصيله العلمي والأدبي حيث يقول أحد معاصريه : (ولم يزل صاحب الترجمة مشتغلاً بالشعر حتى برع فيه ومهر، ونظم القصائد الطنانة ، وكاتب الأعلام، وفاق الأقران ، فاستخرج جواهر البلاغة ، ثم التفت إلى قراءة العلوم فقرأ على شيخنا الإمام العلامة البرهان إبراهيم بن عبد القادر، ولازمه وتخرج ، وقرأ عليه في النحو والمعاني والبيان والمنطق، وحقق هذه الفنون، وصارت له فيها ملكة راسخة ، فعلق الأنظار الحسنة، وحل الإشكالات المظلمة، وفعل أبحاثاً نفيسة، ولما قرأ على شيخنا البرهان في (مغني اللبيب) نظم الباب الأول منه في (الحروف) وهو نصف الكتاب ، فجاء النظم في غاية الحسن ، حلو العبارة ، جامعاً لكل المعاني (بزيادات على الأصل) وشرحه بشرح مفيد سماه (جامع المفردات) .

علاقته بالإمام الشوكاني:

يبدو أنه كانت لصاحب (البدر الطالع) شيخ الإسلام العلامة محمد بن علي

الشوكاني علاقة وطيدة طيبه بآل إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن وهم أسرة شاعرنا المعاصرين له ، كما أن الإمام الشوكاني كان يجل كثيراً من المتقدمين من (بيت إسحاق) وقد ترجم لهم ، حتى قال في ترجمته لأحد المتقدمين وهو الشاعر العلامة الحسن بن إسحاق المولود سنة ١٠٩٣ للهجرة الذي لبث في سجن ابن عمه الإمام المتوكل القاسم بن حسين ثمان سنوات ، ثم مكث في سجن الإمام المنصور الحسين بن المتوكل عشرين سنة ، وقد قضى الحسن بن إسحاق تلك الثماني و العشرين سنة وهو (الجامع لجميع صفات الكمال) بحسب تعبير الشوكاني (في القراءة والدرس والتأليف) وقد (شغل أوقاته بالعلم مطالعة ، وتأليفا ، وتعليقاً ، ونسخاً ، فلم تفته ساعة إلا في طاعة ، ونظم (الهدي النبوي) وشرحه في ثلاثة أجزاء ، وأحسن فيه غاية الإحسان، وله عدة رسائل كما ذكر ذلك العلامة محمد بن إسماعيل الأمير ، وتوفي هذا الجد (أو العم) الأعلى لشاعرنا المحسن قبل مولد الشاعر بنحو ثلاثين سنة ، وقد قال الإمام الشوكاني وهو يترجم للحسن بن إسحاق (وكل أهل هذا البيت الشريف علماء ، وشعراء، لا يخلو عن ذلك إلا النادر ، وصاحب الترجمة من أكابرهم ، وأفاضلهم ، الجامعين بين العلم ، والأدب، والرئاسة ، ومكارم الأخلاق) فتلك نظرة الشوكاني لبيت إسحاق حتى تتلمذ على يديه شاعرنا محسن بن عبد الكريم مع ما كان لأبيه عبد الكريم من شعر ومراسلات إخوانية مع العلامة الشوكاني الذي أدرك ما لتلميذه من (طبع ظريف) ، وفهم فائق ،وعقل تام ((كما ذكر في ترجمته ، كما ذكر أيضاً أن لهذا الشاعر قصائد طارح بها أكابر العلماء)) وهو في سن البلوغ ، (وهو الآن في سن الشباب) راجع الجزء الثاني من (البدر الطالع).

وكما ذكرنا من مراسلاته مع شيخ الإسلام الشوكاني العلامة شيخ الإسلام عبد القادر بن أحمد الكوكباني ، وما أولى الشاعر من إهتمام ، فذلك إنما كان لأن غيرهما قد استكثر ذلك على المحسن وأهمل (مطارحاته)، وتجاهل رسائله ، وتكتم أخباره حتى لا يشيع بين الناس ذكره ، ولذلك قال جامع ديوانه : مبيناً سبب نظم إحدى قصائده : (وله – غفر الله له – إلى شيخ الإسلام القاضي العلامة محمد بن علي

الشوكاني (وسببها) تأخر جواب أبيات (من بعض) أدباء عصره:

غسلت بالماء سبعاً، والتراب يدي

عـــن أن تنـــال خلـــيلاً دائـــم الـــصرد[1]

ومــا اجتزيــت بــماء المــزن مغتــسلاً[2]

حتـــى انتـــضحت بـــماء الـــثلج والـــبرد[3]

وقمت أنفـض بـرداً[4] **كـان قـد علقـت**

بـــه أثـــارة (رأي) غـــير مقتـــصد[5]

مـــن كـــان يأســـى لمفقـــود فهـــا أنـــذا

والحمـــــد لله، لا آســـــى عـــــلى أحـــــد

ثم يصل بالمحسن برد العيش إلى قرة العين وسكونها :

عيني عـلى سـقطات الخـل نائمـة　　　عـلى الـوثير،وقلبي ظـاهر الجلـد

أما من فاته أدب مشائخه صغيراً فلن يعدم تأديب الأيام:

مـــن فاتـــه أدب الأشـــياخ في صـــغر

---

(١) دائم الخطأ ، قليل الإصابة، لعدم ترويه، وقلة صبره ، ولـذلك كـان(الـصرد): الخطـأ في الـسهم ، والـرمح ، ونحوهما ، وكذلك فإن (الصرد) من تراه كانه من تؤدة سيره (جامد) فهـو مـن الأضـداد في اللغـة ويـشبه بـه الجيش لكثرته ولذلك شبهه بأنه (دائم) الصرد ، ثم قال في البيت الثالث:

وقمت أنفض برداً كان قد علقت　　　بـه (أثـارة رأي) غـير مقتـصد

(٢) كأن لم يكفه الاغتسال سبع مرات بالماء ، فانتضح بماء الثلج والبرد مع أن ثلاثاً تجزي صاحبها ، وذاك تعـريض بصاحبه.

(٣) البرد: حب الغمام وثلجه (بتحريك البآء والرآء) ، ويريد بالبرد : طيب العشرة بقال : برد أمرنا وصلح أي سهل.

(٤) البرد: (بضم البآء وسكون الرآء) : هو من الثياب وهو ثوب فيه خطوط ، أما (البردة) فهو كساء يلتحف به.

(٥) ليس بسوي ولا عدل ولا مستقيم.

كانـــت لتأديـــه الأيـــام بالرصـــد

ولأن كل شاعر عبقري مجيد يعرف قدر صناعته ، وسحر بضاعته ، فإن المحسن يبين تنزهه عن غرائب الألفاظ أو التبذل في القول:

يــارب جـوهر عقـد (قـد نفثـت) بـه

مــن الكــلام بـديع النسج مطــرد[1]

مــا قـصرت فيـه ألفـاظ ، ولا فـضلت

عــن المعــاني ، فلــم تــنقص ، ولم تــزد

منـــزه عـــن غريـــب اللفظ،مرتفـــع

عــن التبــذل، بــين البعــد والــصدد

مـــن فاتـــه أدب الأشـــياخ في صـــغر

كانـــت لتأديـــه الأيـــام بالرصـــد

ونواصل تتبع قول المحسن لا لبيان ما حصل له كثيراً ، ولا لبديع القـول وجـدة السبك فحسب ، ولكن أيضاً استكمالاً للموقف وللقصيدة:

لــو عانــد الــدهر حــراً واســتميل بــه

لأدركتـــه عليـــه رقـــة الولـــد

وهــو الجــسور الــذي لا العُتــب يعطفــه

يومـــاً ، ولا الـــرحم تدنيـــه إلى الرشـــد

أهديتـــه لخليـــل قـــد ترعـــرع في

بحبوحــة المجــد ،لا جــاف ، ولا نكــد

فـــما اشرأب، ولا اهتـــزت معاطفـــه

(١) أي أنه مرصود حتى يجازى بقلة أدبه وأفعاله.

ولا أجـــاب عـــلى نظمـــي ولم يكـــد

أشـكو إلى شـيخي البـدر الـذي انقطعـت

بـــه لجاجـــة أهـــل الـــشعب واللـــدد

من هذه القصيدة ، ومن غيرها ، نستفيد أنه كان لمشائخ العلم وطلابه في تلك الأيام حلقات درس ، وتعلُّم ، وتعليم ، وتربية وتوجيه فإذا انقضت حلقات الدرس، صارت لهم مجالس يتجاذبون فيها أطراف الحديث ، والحديث ذو شجون ، تتفرع وتتشعب طرقه بحثاً في الكلأ عن المرعى تتغذى من أعشابه وأوراقه ، وربما اختلفوا ذات يوم : هل المفيد أن يقرأوا – في غير حلقات العلم – كتاباً أو (سفراً) من الأسفار بحسب التعبير الذي سيأتي في مراسلات بعض أعلام عصر الشاعر وهو منهم، وبينهم كذلك العلامة الشوكاني ، ليكون الكتاب محور حوارهم ومجرى أحاديثهم ، ومحل نقاشهم ، أم الأولى ترك الباب مفتوحاً دون تقيدهم بموضوع واحد ، فقد بعث العلامة يوسف بن إبراهيم الأمير بسؤال يحمل المعنى الذي أشرنا إليه ، ولفظ السؤال كما أثبته جامع ديوان (ذوب العسجد ، في الأدب المفرد) هو:

إذا طـاب اجـتماع الـشمل يومـاً ... بـرغم البـين والـشوق الـشديد

ونظّـم عقـد أحبـاب لهـم في الــ ... مطارحـــة اقتناصـــات البعيـــد

أيحسن في المقـام حـضور سـفر[1] ... يفيـد بمثـل صـورة مـستفيد

متـى تليـت معانيـه فهـم يبـــ ... ـــن متقـد عليـه، ومـستجيد

أم الأفكـــار بالأبكـــار تغنـــي ... وتكفـي لـذة المعنـى الجديـد

فكان الجواب من محسن بن عبد الكريم يؤكد على أنه برغم أن الحديث (ذو شجون) فهو مفرع (على أصل وحيد) ، فكأنه يدعو إلى وجوب طرح موضوع للنقاش واحد ، وإدارة الحوار على أصله وأصوله ، كما يشير إلى أن من يجمعهم محل

---

(١) السِفر: الكتاب الكبير (بكسر السين).

واحد فيه العالم ، وبينهم الدعي ومن يظن بثقافته رفيع المنزلة مع كونه يأتي (بأساطير بليدة) إنما إذا اضطر الحضور – خلال سجالهم – إلى كتاب ، فإن رجوعهم له (كالحكم المفيد) لكنه ليس بالضرورة فصل الخطاب ، وهذا هو جواب شاعرنا المثبت في ديوانه على سؤال العلامة يوسف الأمير:

ألا إن الحديث له شجون [1] ... مفرعة على أصل وحيد

فضع أصل الحديث كما اقتضاه ... خطابك للذكي وللبليد

وعند تجاذب الأطراف منه ... فألق السمع بالقلب الشهيد [2]

وساجل من تجالس غير تال ... بلا داع أساطير البليد

وإن ألجا [3] الكلام إلى كتاب ... رجعت إليه كالحكم المفيد

هناك تعد خير جليس قوم ... وتكسى حلة الخُلُق الحميد

أما شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني فقد وافق رأيه رأي شاعرنا محسن بن عبد الكريم إسحاق بأن يكون الحديث مفتوحاً يفيض الحاضرون فيه (بطارف ما يرون وبالتليد) لكنه ، وكما هو متوقع منه في مثل هذا يدعو إلى التجديد، مؤكداً أنه بدعوته لحديث (مفتوح) فذاك لديه أولى من كتاب حكى ما قد مضى دون الجديد) لكنه ، وهو العالم الفقيه لاينسى أن يسدي نصحه للقوم بالتقوى عند تناول ((القضايا))وعدم (اللدد) والخصومة ، وإن لم يجدوا من (القضايا) التي تولد الجديد ، وتذكي أفكار الجلسآء ، وتأتي (بالنظير) من الفكر إلى النظير من الحوار يسمو بالأرواح ، فعليهم – في هذه الحالة – بالكتاب لأنه (أجل قدراً * من الهذر

---

(١) الشجن: الغصن المشتبك، والشجن و الشجنة: عروق الشجر المشتبكة ، والشعبة من الشيء، وقد أشجن الكرم: التف وفي المثل: الحديث ذوشجون أي ذو فنون واغراض، وقيل ادخل بعض في بعض، قال أبو عبيد: يضرب هذا مثلاً للحديث يستذكر به غيره قال:وكان المفضل الضبي يحدث، عن ضبة بن أد بهذا المثل،وكان قد خرج لضبة بن أد ابنان: سعد وسعيد في طلب إبل، فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فبينا هو يساير الحارث بن كعب إذ قال له: في هذا الموضع قتلت فتىً، ووصف صفة ابنه، وقال: هذا سيفه، فقال ضبة أرني أنظر إليه، فلما أخذه عرف أنه سيف ابنه، فقال: (الحديث ذو شجون) ثم ضرب بالسيف الحرث فقتله ، وفيه يقول الفرزدق:

فلا تأمن الحرب إن استعارها ... كضبة إذ قال: الحديث شجون

(٢) في هذا إشارة لقوله تعالى من سورة ق : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

(٣) بإهمال الهمزة والأصل ألجأ.

المبعثر والبليد) فهو قد أضاف إلى البلادة التي أشار لها محسن بن عبد الكريم في جوابه (الهذر) وبعثرة الأفكار ، كما أضاف العلامة الشوكاني وشدد على أن (قفار البلقع البعيد) أهون في نظره من مجالسة الثقلآء ، ولسان حاله كأنه يقـــــول :

وحـــــــدة المـــــــرء خـــــير ... مـــن جلـيس الـــسوء عنـــده

وجلـــــيس الخـــير خـــير ... مـــن جلـوس المـــرء وحـــده

وهذا هو نص (جواب) الإمام العلامة الشوكاني على مسألة العلامة يوسف بـن إبراهيم الأمير:

إذا نظمــت ســموط[1] الجمـع قومــاً ... همـــو في النـــاس كالـــدر الفريـــد

يفيـــضون الحـــديث بغـــير وزر ... بطـــارف[2] مـــا يـــرون وبالتليـــد

وقـــد أخـــذوا بـــأطراف القـــضايا ... عـــلى نمـط مــن التقــوى ســديد

وجـــآؤا بـــالنظير إلى نظـــير ... بـــلا لغـــط ، ولا لـــدد لديـــد

فـــذاك لـــدي أولى مـــن كتـــاب ... حكـى مـا قـد مـضى دون الجديـد

وإلا فالكتــــاب أجـــــل قـــــدراً ... مـــن الهـــذر المبعثـــر والبليـــد

وأمـــا مجلـــس الـــثقلا[3] فدعـــه ... وكـــن في قفـــر بلقعـــة[4] بعيـــد

ونـــوم المـــرء خـــير مـــن قعـــود ... عـــلى شـــتم لعمـــرو أو يزيـــد

ويبدو أن سؤال العلامة يوسف الأمير قد أحمى الوطيس ، وأورى زناد الأفكـار ، وجعل الكرة ترتد إلى مرماه ، فأجاب على مسألته بخمسة أبيات مطلعها:

---

(١) السموط: جمع (سمط) وهو الخيط ما دام اللؤلؤ أو الخرز منتظما فيه.

(٢) الطارف: الحديث أو المستحدث (وأصلة للمال) ويقابله التليد (أو التالد) وهو ما كان قديم من النقود أو مـن الأموال كالغنم والإبل.

(٣) خفف بحذف الهمزة حتى يستقيم الوزن.

(٤) البلقعة: الأرض القفر.

إذ الأفكــار إن جالــت أنالــت وجــادت بــالمراد علــى المريــد
وإن غاصــت لمعنــى مــستجاد أتــت منــه بجــوهره الفريــد

وأجاب العلامة على بن إبراهيم الأمير على سؤال أخيه بستة أبيات مطلعها :

سماع رسائل الأحباب تتلى معانيهــا بألــسنة الوجــود
ألذّ من الذي يمليه مجموع سِفْــ ــرٍ راق مــن خــبرٍ (الفقيــدِ)
وغايــة مــا الــسطور استودعته ذخائر مثل صدر (ابن العميد)

ويذكرني البيت الأخير بالذي رأى أحد الوجهاء في معرض الكتاب السنوي وهو يقتني كتباً من (الأمهات) ليس لشيء إلا لأناقة طباعتها وفاخر تجليدها ، والرائي لذاك الوجيه المرائي يعلم أن الإقتناء ما هو إلا تفاخر وتكاثر ، وزاد سلوك المقتني (البليد) من عجب الرائي حين كان المشتري يتفنن في اختيار المجلدات من (الأسفار) ذات الألوان التي تتناسب وديكور مكان مقيله في الديوان ، مع الأحبة والخلان ، وحين تصادف دعوة المشتري (للرائي) لحضور المقيل ، وسؤاله عن رأيه في اقتناء تلك (الذخائر) أجاب (الرائي) بسرعة بديهة : لقد نقلت الكتب من رف لرف ، ولم يزد على ذلك القول شيئاً . وتلك الكتب والأسفار التي اشتراها المرائي من المعرض الدولي للكتاب ، حتى وإن كانت أرفع قدراً مما في (صدر ابن العميد) بحسب تعبير العلامة على بن إبراهيم الأمير (وهو صنو صاحب المسألة) فإنها مبعث سخرية حيث يقول :

وهبــك وجــدت أرفــع منــه قــدراً فمهمــــوم بتحـــصيل العـــصيد
فــإن نظــم اللقــآ إخــوان صــدق ففــي مجمــوعهم بيــت القــصيد

هذا ، وقد أثبت جامع ديوان محسن بن عبد الكريم إسحاق سؤال العلامة يوسف الأمير مع جميع الردود الإثني عشر ، ولا مجال لأن نأتي بها جميعاً ولكننا نلمح في جواب أخ الشاعر محسن بن عبد الكريم وهو العلامة أحمد بن عبد الكريم إسحاق عدم رضاه عن

رؤى أخيه ومن جاراه فإن الصدور قد حوت ماخلت عنه السطور وكأنه يشير إلى اختلاط الدين بالسياسة في مسألة يوسف الأمير ، ومما قاله في جوابه :

(ودعني)عن (حديث)نسيم (نجد) وحكم الدهر جار على العبيد
(وتدبير الملوك)ولست فيهم (بمأمون) هناك (ولا رشيد)
فلي نفس تضيق طباعها عن (مدارات) المفيهق(والبليد)

وقد تكرر ذكر مفردات بعينها في معظم الردود لكن إشارة العلامة أحمد بن عبد الكريم إسحاق تدفعنا للقول بأن أصل المسألة والسؤال عن حديث دار حول رسالة في كتاب عن قديم و جديد بل ربما بلغ الحال خلافاً عن طلب الرأي في مسألة شرعية فروعية أو أصولية يجب درسها وإجالة النظر فيها ثم الخروج بموقف، فقد أجاب العلامة أحمد الملقب بالشتاره بثمانية أبيات استهلها بقوله :

ألا ان (الكتاب) بكل معنى له معنى لذي رأي سديد

مؤكداً أنه يفيد قارئه ما لم يستفده من غيره :

وليس بمانعٍ عما أجالت لنا الأفكار من معنى فريد

حتى انتهى إلى أنه يمكن إدارة الحديث بالتفصيل لأنه يجلو صدأ جمل من العصر الجديد :

فطوراً في كؤوس مترعات تدار من (الحديث)أو (التليد)
وطوراً في (عقود) رائقات (من الأسفار)حلت كل جيد

إرثه الشعري والسياسي:

يترجم الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني للجد الأعلى الذي كان تسمية بيت إسحاق على اسمه وهو السيد إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن فيقول : (السيد السند ، العلامة الفهامة الأمجد ، إسحاق ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن

ابن الإمام القاسم بن محمد الحسني) ، فإذن شاعرنا وجميع بيت إسحاق فرع من ذرية مؤسس الدولة القاسمية في اليمن التي استمرت زهاء أربعمائة عام .

ويستطرد العلامة الشوكاني صاحب (البدر الطالع ، بمحاسن منَ بعد القرن السابع) في ترجمته لجدآل إسحاق ابن المهدي فيقول : (كان صاحب الترجمة (يعني إسحاق) رئيساً نبيلاً ، علامة جليلاً ، أكمل أهل عصره مجداً، وأعظمهم فخراً ، وأحسنهم أدباً ، وله مشاركة قوية في علم الفلك وغيره من العلوم ، وكان والده المهدي أحمد بن الحسن يحبه ، ويميل إليه كثيراً ، وتولى – بعد وفاة والده – ذي أشرق من اليمن الأسفل ، ثم لما قام صنوه المهدي كان صاحب الترجمة من جملة الأمرآء المقاومين له حتى آل الأمر إلى استيلآء المهدي (صاحب المواهب) عليهم ، و حبس صنوه (أخاه إسحاق) صاحب الترجمة أعواماً، ثم أفرج عنه في سنة ١١١٠عشر ومائة وألف وتوفاه الله بمدينة قعطبة في ربيع الآخر ١١٢١ إحدى وعشرين ومائة وألف، ومن شعره :

سقى الله هذا الروض قد حاز كلما
يروق ويحلو للنفوس ويطرب
نخيل ، وأنهار ، وزهر ، وبلبل
كلوا واشربوا ، واستنشقوا الزهر واطربوا

انتهى كلام الشوكاني:

وإذن فهذا جد الشاعر كان شاعراً أيضاً وله شعر يروى ، ومتمرد سياسي ، هذا الجد الأعلى إسحاق كان قد عارض ، مع جملة من العلماء أخاه صاحب المواهب محمد ابن المهدي أحمد بن الحسن حين دعى لنفسه بالإمامة .

قيل : وتقدم إسحاق لحرب أخيه الإمام سنة ١٠٩٧ للهجرة (١٦٨٦م) وبعد صراع مرير ظفر صاحب المواهب بأخيه إسحاق مع خصومه الآخرين ، ووضع

أخاه في السجن فلبث فيه بضع سنين ، ثم كتب إلىٰ أخيه الإمام يستعطفه ، وقد كـان سمع نواح حمامة فقال :

وحمامـــة صـــدحت عـــلىٰ فـــنن اللـــوىٰ
فغـــدا يـــسيل دمـــي عـــلىٰ الأحـــداق
تـــشدو ، وقـــد خلـــصت مـــن القفـــص الـــذي
قـــد قيـــدت فيـــه عـــن الإطـــلاق
ناديتهـــا لمـــا ســـمعت هـــديلها
يـــاذات طـــوق نحـــن في الأطـــواق
بي مثـــل مـــا بـــك ياحمامـــة فاســـألي
مـــن فـــك أسرك أن يفـــك وثـــاقي

ثم كان الحبس من نصيب ابنه الحسن بن إسحاق (١٠٩٣هـ - ١١٦٠هـ).

فقد قضىٰ في سجن ابن عمه المتوكل ومن بعده المنصور ثمانية وعشرين سنة حتـىٰ مات في سجن القصر بصنعاء (صبراً) ومما كتبه – وهـو في سـجنه – قـصيدة طويلـة لشيخه العلامة محمد بن إسماعيل الأمير يصف دخـول سـجان قـصر غمـدان عليـه ، وكيف أخذ عليه الدواة – تاركاً القلم – ليمنعه – من الكتابة ، ومنها :

إن كنـــت تعلـــم إنـــصافاً لمـــن ظلـــما
فـــألق ســـمعاً عـــسىٰ أن تنـــصف القلـــما
يـــشكو بـــصوت حـــزين لـــو يخـــر عـــلىٰ
ســـمع الـــرواسي لأبكـــىٰ عيـــنهن دمـــا
يـــشكو ظلومـــاً أتـــاهُ وهـــو يرضـــع مـــن
أمٍّ لـــــه بأمـــــان الله معتـــــصما

ففـــــرق الظـــــالم المحتـــــال بيـــــنهما
ومثلـــــه لم يعـــــش يومـــــاً اذا ظلـــــما
فظـــــل يـــــشكو وأبكـــــي رحمـــــة لهـــــما
وبـــــات مـــــثلي يـــــشكو الفقـــــد والألمـــــا
وكـــــم أعللـــــه بالمـــــاء اســـــكبه
وكلـــــما زدتـــــه مـــــاءً يزيـــــد ظـــــما

وأسنُّ من الحسن بن إسحاق أخوه الإمام العلامة محمد بن إسحاق المولـود سـنة ١٠٩٠ للهجرة ولبث في السجن بضع سنين بعد أن بويع له وتلقب بالناصر وخـرج عليه ابن عمه المتوكل القاسم بن الحسين ((وآل الأمر إلى اعتقال صـاحب الترجمـة)) كما ذكر ذلك العلامة الشوكاني عند ترجمته للإمام الناصر محمد بن إسحاق في (البدر الطالع)) وأورد أبياتاً لجد شاعرنا محسن مطلعها :

أتبلـغ نفـسي مـن سـعاد مناهـا ... سـقى الله مـاضي عهـدهـا وسـقاها

ومنها:

فماالليـالي لااسـتنارت نجومهـا ... ولاأضحكت شمس الظهيرة فاهـا

ومن شعر هذا الإمام محمد بن إسحاق يواسي من سجن معه من أولاده وإخوانه من بيت إسحاق :

لاتجزعـوا إن طـال حبـسكموا فـما ... في الحـبس عـار يـابني إسـحاق
والحـبس مهـما لم يكـن لدنيـة ... في المـرء محمـود عـلى الإطـلاق
والـدر لا يـزداد غـير نـضارة ... بالثقـب مثـل التـبر بـالإحراق

وإذن فلاشك أن تلك السير ، وتلكم الأشعار للمتقدمين مـن آل إسـحاق، قـد تركت أثراً مباشراً وغير مباشر في محسن بـن عبـد الكـريم شـاعراً وأديبـاً مـساجلاً

ومفكراً متصوفاً، ومتطلعاً سياسياً مؤثراً ومتأثراً بإرثه وبما حوله ومن حوله .. ألم يكن من بواكير شعره وهو في سن الصِّبا قوله :

(ســـبا) قلـــب مــــضناه وأعطـــاه قبلـــة

(فللـــــه مـــا أعطـــى، ولله مـــا أخـــذ)

مستعيرا قوله من هذا الجد في رثاء ابنته :

فـــلا تجزعـــي يـــانفس واستـــشعري الرضـــا

فللـــــه مـــا أعطـــى، ولله مـــا أخـــذ

فقد جعله سن الصبي الذي لم يجاوز الثانية عشرة . وخفة روحه ينقل ما تأثر به من شعر جده الإمام من الرثاء إلى الغزل لكننا نرى هذا الصبي يذكر أحقية جده محمد بن إسحاق بالخلافة حين بلغ المحسن سن الشباب فقال :

إن الــذي بــرأ الوجــود بقــول كــن ... كتــب الخلافــة للإمــام النــاصر

وليست تلك الأحقية لأنه جده بل لأنه :

المـــستعين عـــلى القيـــام بربـــه ... والمـــستقيم عـــلى الـــصراط الظـــاهر

ولا نظنه قد قصد بهذا الشعر غير الإمام ((الناصر)) محمد بن إسحاق لقوله:

أغنــت حقيقــة فــضله عــن ذاتــه ... عــن أن ينمقهــا (مجــاز) الــشاعر

فأي (مجاز) أبدع من هذا وأوفى لأن (الرمز) ظاهر في شعر محسن بن عبد الكريم كما في شعر جده الإمام (الناصر) محمد بن إسحاق الذي قال :

شن (العــذار) عــلى الخــدود (جيوشــه) ... ولهــا عــلى أهــل الغــرام (تحكــم)

لهفــي (لدولــة) حــسن محبــوبي التــي ... (ســيزيلها) هــذا الــسواد الأعظـــمُ

ومعلوم أن (العذار) هو ما سال من اللجام على خد (الفرس) ثم صار اسماً

للخد حتى استعير للحياء لكن الرمز غير خاف والخوف من زوال الدولة المرموز لها في شعر الجد قد جعل محسن بن عبد لكريم ينعي الدولة القاسمية قبل زوالها بمائتين وخمسين عاماً عندما قال :

عظم الله ياحبيبي لك الأجر ولي في الخلافة القاسمية

حتى قال :

وملوك في قطرنا اليمن الميمون صاروا أحلام يوم العشية

وعندما حاول أن يستنفر الهمم في قصيدته التي مطلعها :

شدوا من المجد حبلاً كان مقصوما وشيدوا مربعاً للعز مهدوما

بين أن الفكر لا القوة وحدها ، هما المطلوبان لاستمرار الدول :

وجددوا برماح الحظ ماكتبت أباكم ليعود الخط مفهوما

بعدها يذكر واقع الحال وأسباب سقوط تلك الدول فيقول :

أما ترون أمور الناس قد خربت والحق أصبح بين الناس مهضوما

والأخذ والنهب حتى في مدائنهم كأنهم لم يروا في النهب تحريما

وأصبح الناس فوضى لاعقيد لهم نرى به أمر هذا القطر منظوما

وكيف يمكن الصمت وهل يجوز والحال مثل هذا وصاحبه :

يقول له وكيف يسلو فؤاد لا يسليه المدام

ويأمر بالتصبر والتأني وهل يصفو لذي قلق مقام

مجتمع شعراء من آل إسحاق :

بالرغم مما قاله الإمام محمد بن علي الشوكاني عن أسرة بيت إسحاق وهو يترجم لأحد أعلامهم، وهو الحسن بن إسحاق بن المهدي (١٠٩٣ - ١١٦٠ هـ) وهو أن (كل أهل هذا البيت الشريف علماء ، شعراء ، لا يخلو عن ذلك إلا النادر)

وبالرغم من إشارة الدكتور محمد عبده غانم في (شعر الغناء الصنعاني) (إلى أهمية آل إسحاق ابن الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد من حيث كثرة من أسهم منهم في الشعر الحميني) إلاَّ أننا نرى أنه ما اجتمع لا لبيت إسحاق ، ولا لأية أسرة من الأسر اليمنية وغير اليمنية خمسة من الشعراء الأعلام في عصر واحد مثلما اجتمع لهم في عصر محسن بن عبد الكريم إسحاق (١١٩١-١٢٦٦هـ) ، فأولاً :والد شاعرنا هو الأديب الشاعر العلامة عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق (١١٥٩-١٢٢٥هـ) الذي قال عنه الإمام الشوكاني في ((البدر الطالع)) إنه نشأ بصنعاء (وأخذ العلم عن والده ، وعن شيخنا السيد العلامة علي بن إبراهيم بن عامر، وقرأ على شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي ، وتميز في أنواع العلم ، وله نظم لم يحضرني منه الآن شيء ، وفيه سكون ، وحسن سمت، ووقار، وعفة، ونزاهة ، وديانة ، وبشاشة، وكرم أنفاس، وعلو همة ، وشهامة نفس، ورئاسة ، وكياسة ، وتودد إلى أصحابه ومعارفه)) وهو الذي بكاه شاعرنا محسن بن عبد الكريم لوفاته بانهدام منزله عليه في (دن وصاب) سنة ١٢٢٥هـ فقال :

بكيت على شمس الهدى إذ تغيبت
ونحت على جسم العلا إذ تمزعا
ومن أخلصت من طينة الفضل ذاته
سمت نفسه للمخلصين تطلعا
وناح على أحبابه غير كاتم
وباح بمكنون الشكاية موجعا

عبد الكريم بن أحمد إسحاق هذا هو صاحب القصيدة الحمينية الذائعة الصيت التي مطلعها :

قد كنت قبل اليوم ترعى الوفا تحبني باطن وظاهر

ومنها:

قــالوا نقــضت العهــد يــا أهيفــا	ولـــذَّلَـــكْ غـــيري مـــسامر
وبـات مــن شــهد اللمـى يرشــفا	وأصــبح بخمــر الثغــر ســاكر
والله القــسم رب الحجــر والــصفا	لـــو تمطـــر الـــدنيا خنـــاجر
مــا شـــاتركك حتــى ولــو أتلفــا	ولــــو يكــــون أول وآخــــر

ثم يأتي ثانيا: أحد أعلام الشعر الحميني المعدودين وهو الشاعر الثـائر المتمرد علي بن أحمد إسحاق (١١٤٩-١٢٢٠هـ) وهو أخو عبد الكـريم والد شاعرنا محسن بن عبد الكريم إسحاق، وهو المتمـرد عـلى المنـصور علي، الخارج على حكمه، وكان مما قاله الإمام الشوكاني في ترجمته للشاعر علي بن أحمد إسحاق إنه نشأ بصنعاء (وقرأ على والده وغـيره مـن أعيـان علمائها وبرع في علوم عدة لاسيما علم الأدب فإن له فيه يداً طولى، ونظمه كثير جداً موجود بأيدي الناس)، قال: (ولما مات والده – وكان المتـولي لأمور آل إسحاق – قام ولـده هـذا مقامـه، وصـار لـه جـلال وسياسـة ضخمة، وظهر من كرمه ما هو ظاهر مشهور، وكان موقفه محفوفاً بأعيان العلماء والأدباء، معموراً بالمسائل العلمية واللطـائف الأدبيـة، واسـتمر على ذلك أياماً، ثم فر من صنعاء في الليل مغاضباً لخليفة العـصر مولانـا المنصور بالله علي بن العباس، واستقر ببلاد أرحب، وقام بنصره أهل تلك الجهة، فارتجت الديار اليمنية) ذلك من كلام الإمام الشوكاني الذي ذكـر أن علي بن أحمد إسحاق قد أودع السجن وما يزال فيه عند تحرير الترجمـة في شهر شوال ١٢١٣هـ.

وقد اطلعت على قصيدة له بليغة تربو على سبعين بيتاً استهلها بقوله:

تلفـــت في قـــلا يـــده غـــزالا	وفــر ولم يكــن عــرف الرجــالا
فغانيـــة تقـــول قريـــب أخـــرى	أظبـــي يلـــبس الحلـــل الثقـــالا

وقائلـــة أرى غـــصناً رطيبـــاً   بـــديع الزهـــر في الأوراق مـــالا
تلاعـــب في ســـوالفها الـــلآلي   وتـــستجلي مـــن الجيـــد الجـــمالا
وتبـــدي في تمايلهـــا التغنـــي   فتـــسمع للحـــلي قـــيلا وقـــالا

ومنهـــا:

ولم أر كـــالهوى نعطيـــه صـــونا   ويعطينـــا لأدمعنـــا ابتـــذالا
ولا مثـــل العيـــون النجـــل تبـــدي   فتـــوراً ثـــم تقتلنـــا اغتيـــالا
ســـيوف الهنـــد أكثرهـــا فِرِنـــد[١]   ونجـــل الغيـــد أقتلهـــا نـــصالا
ويلتـــذ القتيـــل بهـــا المنايـــا   ويـــشتاق الـــصوارم و النبـــالا
تعاطينـــا مـــن الألفـــاظ راحـــاً   ومـــن ألحاظهـــا الـــسحر الحـــلالا
تـــود الـــشمس لـــو كانـــت ســـواراً   لمعـــصمها ،يمينـــاً أو شـــمالا
وتحلـــف حـــين يبهرهـــا ســـناها   يمينـــاً أنهـــا أعـــلى منـــالا
وقـــد خلقـــت مـــن الـــذهب المـــصفى   لمـــا في جنـــة المـــأوى مثـــالا
بعـــاطر نفحـــة الأعطـــاف منهـــا   تأرجـــت[٢] الأرايـــك والحجـــالا
ومنطقهـــا يميـــد الـــشم ســـكراً   فمـــن جعـــل الإدام لهـــا دلالا
ولم أك قبـــل رؤيتهـــا خيـــالاً[٣]   رأيـــت المـــسك[٤] في الكـــافور خـــالا

---

(١) الفرند(بكسر الفآء والراء) : السيف وجوهره ووشيه

(٢) أصل الأرج والأريج: الريح الطيبة أو نفحتها ، وتأرج : هيج

(٣)قبل رؤيتها (خيالاً) أي ترجى، يقال: قد أخالت السحابة خيالاً : إذا كانت ترجى للمطر، والخال: الغيم، أو السحابة تسود فترجى للمطر، قال الشاعر:

باتت تشيم بذي هارون من حضن

والخال: سحب لا مطر له . قال الشاعر:

مثل سحاب الخال سحا مطرة

(٤) المسك : طيب معروف ، يستخرج من دم دابة اسمها (غزال المسك) ولونه أسود كسواد الخال عند الشاعر، والكافور طيب كذلك لكنه يستخرج من جوف شجرة تسمى باسمه تنبت في جبال بحر الهند والصين، خشبه أبيض هش، ويوجد الكافور في أجوافه، وهو أنواع، ولونها أحمر. وإنما يبيض بالتصعيد، ولـذلك استعارها

ومـــا أهفـــى العقـــول إذا تـــرآءت وأطيـــشها ، ولـــو كانـــت جبـــالا[1]

تريـــك مـــن اللحـــاظ ومنـــك وحيـــاً أدق الـــسحر فعـــلاً وانفعـــالا

إلى أن قال :

تـــرى بحـــراً يفـــيض ، ولـــو أرادت رأت للنـــار في القلـــب اشـــتعالا

عجبـــت مـــن الظهـــيرة كيـــف تبقـــى وقـــد كـــشفت ذوائبهـــا الطـــوالا

تخـــط عـــلى الـــتراب وليـــت وجهـــي لأكـــرم مـــن مـــشى كـــان النعـــالا

حبيـــب الله أعـــلى النـــاس قـــدراً عـــريض الجـــاه ، أعظمهـــم جـــلالا

قـــرين الاســـم، أرفعهـــم محـــلاً طـــراز الحـــسن ، أشرفهـــم خـــصالا

ومن أشهر حمينيات شعر الغناء الصنعاني وشعر علي بن أحمد إسحاق قصيدته الرائعة التي يقول فيها:

يا معلق بحبل الحب إن كنت ترتاح للغـــــــــــواني مثـــــــــــالي

لا تبالي بروحك في هوى الغيد إن راح أو تقـــــــــــول ذاك غـــــــــــالي

إن قلب المعنّى طار من غير أجناح في هـــــــــــوى ظبـــــــــــي حـــــــــــالي

قامته إن تثنى كالعوالي والارماح أو طلـــــــــــوع الهـــــــــــلال

والجبين إن بدا لي قلت ذا نور الاصباح في ســـــــــــواد الليـــــــــــالي

حتى يختمها بقوله:

لا ينال الأماني غير من كان سمّاح بالجفـــــــــــا لا يبـــــــــــالي

الشاعر هنا لخدود من يحب حتى طغى طيبهُ على كل شيء في جسده عند مرآه، وأصل هذه القصيدة العصماء في مدح رسول الله (ص) كما يتبين فيها سنراه ولا ننسى أن نذكر هنا أن الشجرة التي يستخرج الكافور منها نور ناصع البياض كالأقحوان الذي تشبه به الأسنان لبياضه

(١) في قوله عن العقول (ولو كانت جبالا) إشارة لقوله تعالى من سورة الحشر {لو أنزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعاً (متصدعاً) من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم (يتفكرون) (٢١) فالصدع كالصداع لايكون إلا في الرأس الذي هو محل للتفكير، والتفكير من نتاج العقول التي ترآءى طيشها للشاعر في هذا البيت ليشير بعدها في البيت التالي إلى (الوحي) وهو مصدر القرآن.

وانـت طوّلـت حبـل الهجـر يـاروح ... مــــا فــــؤادك رثـــى لي

والصلاه تبلغ المختار ذي الفـضل مـا نـاح ... طــــير في غــــصن عــــالي

ومع كل ذلك غمز كل من القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، والسيد عبدالسلام الوجيه حين ترجما للمولى العلامة علي بن أحمد إسحاق، وأما ابنه إسماعيل بن علي بن أحمد إسحاق الذي يأتي ثالثاً: فقد قال عنه العلامة محمد بن محمد زبارة في (نيل الوطر) إنه يظهر من مساجلاته مع شيخه وابن عمه محسن بن عبد الكريم "أن شعره في (غاية البلاغة) والجودة وحسن السبك، ولا يعرف له تاريخ ميلاد أو وفاة محدد فيما نعلم من مصادر التراجم التي بين أيدينا، وقد قيل عنه في هامش ديوان "ترجيع الأطيار" للشاعر عبدالرحمن بن يحيى الآنسي إنه "نشأ بحجر والده، وتخرج عليه وعلى ابن عمه العلامة الأديب محسن بن عبد الكريم وسلك مسلك أهل الأدب، وتحلى بمحاسن الأخلاق من شرف النفس، ولطف الطباع، ولازم والده، وجلس معه بقصر صنعاء، فأقبل في الحبس على المطالعة، ومراجعة كتب الأدب والتاريخ حتى نال حظاً وافراً من جميع المعارف، وكان (شعره في غاية الجودة)، ومنه ما كتبه إلى ابن عمه محسن بن عبدالكريم من سجن صنعاء يعاتبه:

أطيف خيال كـاد مـن سـفحنا يمـضي ... فروَّعــه الــسجان فارتــد كــالومض

أم الــشوق إن جــد التــذكر بالحــشا ... فبـالوهم يـدني الـبعض منـا إلى الـبعض

أم الطــرف لمــا فــارق النــوم كارهــاً ... يمثل مسرى الطيـف في زمـن الغمـض

إلى أن يقول:

ولا أعتــب الــدهر الخــؤون بفعلــه ... لأني قــد أقرضــته أحــسن القــرض

ولا ضــامني منــه التباعــد والجفــا ... وإن صار محني الـضلوع عـلى بغـضي

ولا هــد منــي ركــن مجــد مــشيد ... إذا عشت ما بين الورى ومعـي عـرضي

فيــا ليــت شــعري والأمــاني ضِــله ... أأحظى بـما أملتـه مـن قبـل أن أقـضي

وأما نحن فقد أثبتنا رد شاعرنا المولى محسن بن عبد الكريم كاملاً في الجزء

الحكمي من هذا الديوان كما أثبتنا رد المولى محسن بن عبد الكريم على قصيدة أخرى عاتبة من ابن عمه وتلميذه السجين إسماعيل بن علي بن أحمد إسحاق ومطلع قصيدة إسماعيل:

رويــدك أيهــا البــدر المنــير وعطفــك أيهــا الغــصن النـضير

ومنها قوله:

وكنــت أظــن ودك لــيس يــبلى وعهــدك لا تغــيره الــدهور
فخـاب الظـن فيـك فليـت شـعري أذلــك منــك غــدر أو نفــور
هنيئــاً إن دمعــي في هــواكم طليــق، والفــؤاد بكــم أســير
وأيــسر مــا لقيــت الأسر فــيكم وإن لم يكفكــم منــي الكثــير
نــصرتم بالــسلو عــلى اجتنــابي ومــالي في محبــتكم نــصير
ومــا تــرك الجــواب عــلي إلا ليعــرف بالجفــا الحــظ الحقــير
إذا شــابهتُم الأعــدا وأنــتم ولاة قلوبنــا فمــن المجــير؟!

حتى قال:

ولــولا أن في القلــب اكتئابــاً وحزنــاً دون لفحتــه الــسعير
لأمــلأت الــدفاتر أي عتــب أشــاعته العــدا كــذب وزور
وعــذركموا ينــوب رضــاي عنــه وذنــب جنــابكم عنــدي يــسير

وله سينية يعاتب فيها شاعرنا يقول في استهلالها:

لقــد كــان ذكركمــوا مؤنــسي ففــيمَ تنوســيتُ فــيمن نــسي؟

إلى أن يقول:

فيــا عجبــاً لخطــوب الزمـــــ ـــان نلــت جناهــا ولم أغــرس
زمـــان لنـــا، ولجمـــع العـــداء كالزبـــد والـــصخر في الململمـــس
ويظهــــر عنـــد قــــراع الخطـــــ ـــوب سـعد النجـوم مـن الأنحـس
فهـــل يعتـــب الـــدهر في فعلـــه فتـــىً ذل مــن حظـــه الأوكـــس
ســـــقى الله أيامنــــا بالعقيـــــ ـــق، وثـــوب التفـرق لم يلـــبس

إلى أن قال وأبدع:

وقالـــت، وقـــد ســـمحت مـــرة وقـــد شرفـــت باللقـــا مجلـــسي
منحتـــك ودي بـــصون الـــذِّمام فلـــم يـــضمحل، ولم يـــدنس
ولـــن أنقـض العهـد مهـما حييـت وإن كنـــت في ســـجنك المـــؤنس
فقلـت صـدقت، بـما قـد نطقـت لـــــو لم أذل، ولم أحـــــبس
فقالـــت: بـــلى إن ودي الأكيـــد إذا خـــرس الـــود لم يخـــرس
وقــد تــنجلي غمـرات الخطـوب بــــإشراق إطلاقـــك المـــشمس
فكـم مـن فتـى بعـد طـول الخمـول ترفـــع جـــداً عـــلى الأرؤس
وكـــم أســـوةٍ لـــك في يوســـف وكـــم ســـلوةٍ لـــك في يـــونس

وحين قال محسن بن عبدالكريم في تفضيل الهزار:

غنــي بـصوتك يـا هـزار الغـصون ويـــا حمـــام الـــروض غنـــي
غنــاك أغنــى عــن ســماع اللحـون فهـــــات، رددلي وثنـــــي

عارضها ابن عمه إسماعيل بن علي بن أحمد إسحاق مفضلاً الحمامة وقال:

أبـــدت إشـــارات الغـــرام المـــصون ... ورق الحمايـــــــم في التغنـــــــــي
وبينـــــت أسرارهــــا في اللحـــون ... إن شـــئت خـــذها اليـــوم عنـــي
قالـــت أقاســـمها الهـــوى والـــشجون ... عـــلى الوفـــا منهـــا ومنـــــي
دَرَتْ بـــأني في الهـــوى لا أخـــون ... وأن حفـــــظ العهـــــد منـــــي

* * *

منقـــارك اليـــاقوت صـــنعه عجيـــب ... يـــــزري بيـــــاقوت الخـــــواتم
وطـــوق جيـــدك، والبنـــان الخـــضيب ... لا جهـــــد في وصـــــفه لنـــــاظم
حـــور جفونـــك مااكتحـــل بـــه ريـــب ... أميالـــــــه الـــــــسحر المـــــــلازم
فكـل موصـوف فهـو في الوصـف دون ... غـــــيرك، لــــــذا حـــــسنه فتنـــــي

* * *

كـــل النفـــوس العاشـــقه تـــشتهي ... ســـــجعك بالالحـــــان الـــــشجيه
وملـــك كـــل الطـــير إليـــك ينتهـــي ... فكلهـــــــا لـــــــك كالرعيـــــــه
لـــو يـــستمع معنـــاك عاشـــق لهـــي ... عـــــن ذكـــــر معـــــسول الثنيـــــه
كـــم يبعـــث الأحـــزان عندالـــشطون ... ســـــجعك وللـــــسلوان يـــــدني

حتى ختمها بقوله:

وكـــل مـــن شـــبب بوصـــف الهـــزار ... فـــــانما قـــــصده يكـــــابر
فكـــل صـــادح مـــن غنـــاك اســـتعار ... فـــافخر، وقـــل هـــل مـــن مفـــاخر
ولـــيس هـــذا القـــول منـــا انتـــصار ... حـــسنك كفـــاك عـــن كـــل نـــاصر
وقيـــت ريـــب الـــدهر، ريـــب المنـــون ... ونلـــــت غايـــــات التمنـــــي

* * *

يـــارب واصـــلح لي جميـــع الـــشئون واغفـــر، وحقـــق فيـــك ظنـــي
وازكـى الـصلاة ماشـن وابـل هتـون عـــلى النبـــي، والآل منـــي

قال العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة كانت وفاة المولى الشاعر إسماعيل أثناء القرن الثالث عشر الهجري.

ويأتي رابعاً الشاعر:

الأديب العلامة أحمد بن عبدالكريم إسحاق صنو شاعرنا محسن بن عبدالكريم إسحاق الذي ترجم له العلامة محمد زبارة في "نيل الوطر" وقال إنه قد أشتغل بعلم المعقول "ووقف على أسرار علوم الإشراقيين، وانفتحت له مباحث الصوفية، ومشى في تلك الطريق حتى وقف على الحقيقة"، وقد توفاه الله ولم يتجاوز الثلاثين من عمره، فرثاه أخوه محسن بن عبدالكريم في سنة وفاته بقصيدة قال فيها:

حننـــت عـــلى فـــراق أخـــي حنـــين الأنيـــق[1] النيـــب[2]
ومـــن كـــأخي فـــإن أخـــي فتـــى الفتيـــان والـــشيب
فتـــى كملـــت خلائقـــه وطابـــت منتهـــى الطيـــب

إلى أن قال:

تـــوحش إذ توحـــد في ســـبيل غـــير مـــسروب[3]
ســـبيل كـــان يـــسلكه عـــلى صـــهوات يعبـــوب[4]

(١) الأنيق: المحب الذي يؤثر محبوبه على غيره، والحنين: الترحم

(٢) النيب: الذي أثر فيه فراقه كأنما عض عليه بناب فترك عليه أثراً موجعاً لا يزول.

(٣) قوله: "غير مسروب": كأنه حصر فيه لا نسداد مجراه لأن (المسروب) هو من دخل في خياشمه ومنا فذه دخان الفضة فأخذه حصر، وكان الشاعر قد شبه في بيت سابق السنين التي قضاها من عمره في (بني إسحاق) كيوسف في آل يعقوب.

(٤) اليعبوب: الفرس السريع الطويل، والجواد السهل في عدوه، كأن أخاه سريع الخطو، سريع الإنفعال فهو في حالين نقيضين، فتوحش لذلك وانفرد، ولذلك نرى من معاني (اليعبوب) الجدول كثير الماء، وأن السرب: القناة يدخل فيها الماء، وأن إخوة يوسف قد ألقوه في غياهب الجب.

سبوق[1] دون شق غباره قرع[2] الطنايب[3]
فلم يأنس بمأنوس ولم يرغب لمرغوب

وكان المولى الشاعر أحمد بن عبد الكريم أثيراً مقرباً عند أخيه محسن، فكان لوفاته دون عقب من العيال أشد الأثر في نفسه، ولا غرو فقد كان العلامة أحمد بن عبد الكريم ذا طبع رقيق، ونفس شفافة، وله مشاركات أدبية مع أدباء وعلماء عصره، ومن ذلك رده الأدبي على سؤال العلامة ابن حريوه السماوي حتى علق العلامة القاضي محمد بن صالح بن أبي الرجال على ذلك فقال: "ثم عرض على سيدي العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق" (ذي الذكاء الوقاد)، والفهم السليم المنقاد، فأجاب واستحسن السائل ذلك الجواب"، ومعلوم أن السائل الذي استحسن الجواب هو العلامة الشهيد محمد بن صالح السماوي الذي اشترك معه أحمد بن عبدالكريم في الهم الواحد أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر فلم يترددا في البوح حيث يقول الشاعر العلامة أحمد بن عبدالكريم إسحاق:

ورب صدور أقوام حوت ما خلت عنه سطور المستفيد
ودعني عن حديث نسيم نجد وحكم الدهر جار على العبيد

وهو الموقف الأخلاقي نفسه لكثير من معاصري شاعرنا، ومنهم الشاعر العلم عبد الرحمن الآنسي وإن كان أسن منهما، فقد قال في واحدة من أشهر قصائده وأكثرها ذيوعاً:

---

(١) السبوق (من الخيل): الذي يسبق دائماً.
(٢) أقرع (الدابة) بلجامها: كبحهابه، و(المقرع) من الخيل: الذي أقرع باللجام فرفع رأسه.
(٣) الطنابيب: بعيدة الذهاب، ومنه (أطنب في الكلام) إذا أبعد، (وأطنب) في عدوه إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة، وفرس في ظهره (طنب) أي طول، (والطنب): طول في الرجلين في استرخاء، وطول في الظهر وهو عيب كما قال صاحب القاموس، وقال ابن منظور: ومنه قول النابغة:
لقد لحقت بأولى الخيل تحملني كنداء لا شنج فيها ولا طنب
وأطنبت الخيل (والإبل): إذا تبع بعضها بعضاً في السير، و(أطنبت) الريح: إذا اشددت (في غبار)، فانظر كيف جمع الشاعر محسن بن عبدالكريم كل هذه المعاني في وصف (يعبوب) أخيه (السبوق)، وعيب (طنابيب) من يجاريه في بيت واحد.

قـــد ضـــاقت الأحــــوال وضـــاع الاحتيـــال، والاجتهـــاد
وخابـــــــت الآمـــــــال إلا فيـــك يـــارب العبـــاد

ونرى شفافية الشاعر أحمد بن عبدالكريم في حبه للشمس الساطعة في سماواتها حيث لا يحب احتجابها إلا (الخفافيش)، وعبر عن ذلك بقوله:

ما احتجاب الشمس عن وجه السماء طـــاب إلا للخفـــافيش وراقـــا
بـــين نفـــسي وســـناها نـــسبة لا قـــضى بيـــنهما الله افتراقـــا
ضُربـــت في الـــذكر أيـــضاً مـــثلاً لظـــلام الكفـــر تمثـــيلاً وفاقـــا
ثـــم في الأشـــعار بـــالإعراض أو برقيـــب عـــن لقـــاء الخـــل عاقـــا
أنـــا لا أرتـــاح في الغـــيم وقـــد كـــان مـــشتقاً مـــن الغـــم اشـــتقاقاً
إن عنـــدي ســـحب الجـــو قـــذى كـــل مـــن عـــاف قـــذى كـــأس أراقـــا
مـــا عـــلى مادحهـــا مـــن لومـــة يـــستلذ المـــر مـــن ســـاء مـــذاقا
بـــددت ريـــح النعـــامى شـــملها ويـــصوت الرعـــد أبكاهـــا احتراقـــا
ورمـــى الـــومض لآلي عقـــدها بانتشـــار لا يـــرى فيـــه اتـــساقا
لا رقـــت في الجـــو إلا أن تـــرى ترشـــف الأزهـــار أكوابـــاً دهاقـــاً

ولأن "الشعر الحميني" يمثل موقفاً أخلاقياً وأدبياً خصوصاً في عصر الشاعر العلامة أحمد بن عبد الكريم إسحاق الذي أبدع واشتهر فيه علماء أعلام، مثل العلامة القاضي عبد الرحمن بن يحيى الآنسي، وولده أحمد عبد الرحمن، ومحسن بن عبد الكريم إسحاق صنو أديبنا الشاعر أحمد، وغيرهم أمثال القاضي علي بن صالح العماري صاحب القصيدة المشهورة بالبيت الذي يقول:

"لا افتش مغطى، ولا اغطي على مفتوش"

ومما قاله الشاعر أحمد بن عبد الكريم إسحاق هذه القصيدة الحمينية البديعة :

أحبابنـــا مـــا عـــدا ممـــا بـــدا أوقــد معــاكم عــن المـضنى بـدل
فـالطرف مـن بعـد بعـدك مـا غفـا والقلـب مـن طيـب ذكـرك مـا غفـل
فعلـت لي يارشـا[1] فعـل العـدا مـا هكــذا في المحبــه مــن عــدل
فقـد فعـل في الحـشا طـول الأسـى فعل السيوف المـواضي[2] والأسـل[3]
ألحـا ظـك ازرت بأعيـان[4] المهـا فـارمي بهـا اسـهام مـا فيهـا مهـل
وسـحر طرفـك بقلبـي مـا اكتفـى حتـى ضـمن لـه بروحـي واكتفـل
بـالله يـا غـصن مـا يـس[5] في نقـا[6] لا تـستمع مـن بـزوره لـك نقـل
أمـــا أنـــا مـــا القلبي دوا في الحــب إلا لقــازين الــدول[7]
فمـن عـلا الغيـد حـسنه قـد عـلا ومـن سـقاني طـلا[8] حبـه علـل[9]
حبـه لغـيري مـن المهجـه[10] محـا ومـا بقلبـي لغـيره مـن محـل
وهـب لـه في الهـوى قلبـي جبـا[11] لكـن قلبـه عليـا مـن جبـل
فـضل طبـع الجفـا منـه أمـا يبلـغ أسـير الهـوى منـه أمـل

(١) أصل (الرشا) من قولهم (إسترش) الفصل إذا تبع أمه يطلب الرضاع فهو كناية عن صغر سن المحبوب أو الصاحب، ومن ذلك قولهم: "أتبع الدلو رشاءها" يضر بونه مثلاً في اتباع أحد المتصاحبين الآخر.
(٢) مضى (السيف) مضاءً: قطع
(٣) الأسل: الرماح، وكل حديد رهيف من سيف وسكين، يقال: "جمع بين اليراع والأسل" أي بين الآداب والعلوم الحربية.
(٤) بأعيان: عيون.
(٥) المايس: من مشى وهو يتمايل ويتبختر
(٦) ما يس في نقا : في امتلآء جسم
(٧) من يتحفز في مشيه، وقد يكون من "دال، دولاً" من الغلبة أو الشهرة.
(٨) الطلى: المرض الشديد، والطلى (بالفتح): الهوى، والطلى (بالكسر): اللذه.
(٩) علة الشيء: سببه، والعلة: المرض الشاغل.
(١٠) المهجة: الروح، ومهجة (كل شيء): أحسنه.
(١١) الجبا: الرفد.

يـا قلـب مـا مثـل خلـك في المـلا[1] إن كـان في طبـع مـن يهـوى ملـل
أخلف وعـوده، وصـدق مـن وشـى من بعد ما قد سـلب روحـي وشـل[2]
لو طول هجري[3] على طـول الحصى لـذاب في الحـب ممـا قـد حـصل
شاصـبر علـى طايـل الفرقـه عـسى يعـود مـر الجفـا عنـدي عـسل
الـدمع بـاكر، أرحنـي قـد فـشا حتى اعترى الصب في الحـب الفـشل
أنـا الـذي همـت في حبـه،أنا لكـن طيـب التلاقـي لم أنـل

وقبل ختام هذه المنظومة لشعراء من بيت إسحاق التي يمثل صاحب هذا الـديوان محسن بن عبد الكريم إسحاق خامس الخمسة الأعلام في عصره، نذكر شيئاً من شعر أحد أعلامهم المتقدمين وهو الحسن بن إسحاق (١٠٩٣-١١٦٠هـ) الـذي افتتحنـا هـذه المنظومـة بطـرف شجي من ترجمته وذكرنا أبياتاً من قصيدته المرسلة للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير من سـجنه بعد أن منعه السجان من الكتابة بأخذه الدواة مـن بـين يديـه تاركـاً القلـم يـسقيه المـاء تعلـلاً وتعسياً .. فمن شعره الحميني قصيدته ذائعة الصيت التي يقول فيها:

يـا مـن بخـل عنـا بـرد الـسلام رد الـسلام في الـشرع واجـب
مـن بلغـك بالـسر عنـي كـلام كـلام منـه صرت عاجـب
لمـا فتحـت أذنيـك لأهـل المـلام وخفـت مـن عـين المراقـب
أمـا أنـا تركـي لحبـك حـرام عـلي في كـل المـذاهب

* * *

أنـا الـذي في فـن أهـل الهـوى قريـت في الـسبع المقـاري
وفي النـوى، والقـرب حتـى اسـتوى والله بـذا عـالم وداري

---

(١) من يملأ عينك من الناس.
(٢) أخذ.
(٣) هجره لي.

شاصبر على فعلك،صواب أو غوى   وأقول هي تجري الجواري
أنا الذي دقيت باب الغرام   من قبل ما انظر في العواقب

* * *

قلبي الشجي لما دخل في هواك   يا سيد ما زد تمالك
بل فارق احشائي،وصار في رضاك   وقال لي ما عاد نالك
فاحسن بوصلك أحسن الله جزاك   قد صرت حانب في حبالك
وحق راسك يا رشيق القوام   ما أتركك حاضر وغايب

بين الحكمي والحميني:

إن أول مسألة جامعة بين "الشعر الحكمي" الفصيح المعرب "والشعر الحميني" الملحون هي في كونهما "شعراً" إنما بالشروط المجمع عليها منذ عصر شاعرنا قبل قرنين ونصف من الزمان، ومن قبله، ومن بعده حتى يوم الناس هذا.

لقد كان – وما يزال – تعريف الشعر أنه الكلام الموزون، المقفى، الظاهر الموسيقى بتوالي مقاطع الكلام، وخضوع تلك المقاطع إلى نظام خاص، مع تردد القوا في وتكرارها. تلك هي أهم الخصائص المميزة للشعر عن النثر، ثم كانت إضافة "المعنى" و "الخيال" عند بعض المتقدمين، وما يزال ذلك من شروط كون الكلام "شعراً" كما في إشارة صاحب كتاب (البيان والتبيين) حيث قال إن "الشعر شيء تجيش به صدورنا، فتقذفه على ألسنتنا"، ثم في قول ابن خلدون: "إن الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة، والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي".

إن هذا وذاك مجمع عليه في وصف الكلام بالشعر، وأما الخلاف ففي غيره من قصيدة التفعيلة إلى قصيدة النثر، وهل هما من الشعر أم لا ؟!.

وكذلك يقول الكاتب والناقد العربي محيي الدين صبحي: "إذا فقد الشعر غنائيته"، فقد ما

هيته وجوهره، فلا مكان للحلم والصبابة دون نظم غنائي يضع الكلمات في عقد نفيس:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد؟ لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت -كما يبكي الوليد -ولم تكن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا أن المحب إذا دنى يمل، وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

ونحن نعترف معه أن مثل هذه النفثات التي يتردد صداها في أرجاء القلب، فتنطلق معها الروح في عالم من النشوة، وسورة الحنين، لم يعد لها مكان في الشعر العربي منذ خمسينيات القرن الماضي على الأقل.

وإذا فقد الشعر غنائيته فقد الحدس التعبيري الذي ينطبع في النفس بإيقاعاته، وصوره، ودهشته أمام انفعالات الحزن، والألم، والخير، والشر، وبالتالي فإن هذا الحدث التعبيري يأتي مصفى من كل أوشاب اليومي، والواقعي، والمبتذل المألوف، والتافه المتداول" .. ويخلص الكاتب إلى القول بأن صبا نجد ليس في البيت هواء نجد، ونجد ليست نجد الجغرافيا، بل هي نقطة انطلاق للعروج إلى عالم الحنين خارج هذا العالم .

ويبقى لنا بعد ذلك القول إن "الغنائية" ضرورة لازمة للغناء بأي شعر ولإنشاده، فهي بما لها من جرسٍ "داخلي" وروي "خارجي" في الموشح والشعر الحميني خصوصاً تضاعف الإيقاع والطرب عند التغني به أو إنشاده، لذلك نلحظ ما قد يكون إغراقا في القصيدة الحمينية الواحدة حيث "التصريع" يشكل بحثا عن التنوع "الغنائي"، وتحرراً من القافية لدرجة قد يضيق بها شاعر مثل محسن بن عبدالكريم إسحاق حتى قال:

فمصراع باب الشعر ما يوسع الكلام وما به هنا ما يوجب البسط في النظام
وان قصدكم نوجز فكان المسا في (شبام) سرحنا من الروضه، وهذا خبر أكيد

وهذا بخلاف الغرض من التصريع في القصيدة العربية وأكثر الشعر الحكمي (الفصيح) حيث المصراعان بابا القصيدة الفصحى فهما بمنزلة المصراعين اللذين هما بابا البيت .

قال أبو إسحاق: واشتقاقهما من الصرعين وهما نصفا النهار .

قال الأزهري: والمصراعان من الشعر ما كان فيه قافيتان في بيت واحد.

والتصريع في الشعر: تقفية "البيت الأول" قيل: مأخوذ من مصراع الباب، وإنما وقع التصريع في القصيدة الفصحى ليدل على أن صاحبها مبتدئ قولها.

وقد أشار الدكتور محمد عبده غانم في كتابه (شعر الغناء الصنعاني) إلى العلاقة بين (الرجز) الشائع من بحور الشعر وبين (التصريع) من حيث كثرة حضورهما في الشعر الحميني فقال إنه قد قيل: إن الرجز الذي يقفى فيه الشطران هو أقدم ظهوراً من القصيد الذي يعتمد على تقفية الشطر الأخير، وإن التقفية الرجزية قد تركت أثرها في (التصريع) وهو تقفية شطري البيت الأول في القصيدة .. وقد ظهرت هذه التقفية في شطري البيت، فيما بعد، بحيث أصبحت للأشطر الأولى جميعها، من القصيدة الأولى، قافيةً خاصةً بها إلى جانب القافية التي تنتظم جميع الأشطر الثانية الموازية لها .. وقد وجدت هذه التقفية الثنائية التي عرفت "بالتشريع" طريقها إلى الشعر الحميني".

أسماء ومسميات:

فالأصل اللغوي لهذا "التشريع" الذي ذكره د/ غانم، والذي يستخدمه شعراء "الحميني" كثيراً هو: بلوغ الهدف بالشيء اليسير وذلك من قولهم: (شرعك ما بلغك المحل) يضرب في التبلغ باليسير، نضرب له مثلاً بقصيدة (حسن ذات الخال) لمحسن بن عبدالكريم إسحاق حيث يقول:

حسن ذات الخال # ما أبقت خلي # كل العقول# ثامله من كاس # وده أصبحت تختال # ربات الحلي # ذات الحجول # من شذى أنفاس # برده.

فالشاعر هنا يستخدم في "تشريعه" إيقاعاً، ووزناً مختلفاً، غير ملتزم ببحر وروي بعينه فهو يبدأ هكذا:

حسن ذات الخال .... (فاعلن - فعلن)

ما أبقت خلي ....(فعلن - فاعلن)

لينتقل بعدها إلى قول جديد على وزن مخالف:

كل العقول.................. (مستفعلن)

بعدها يعود كما بدأ أول مرة:

ثامله من كاس .... (فاعلن - فعلن)

خاتما " تشريعه" هكذا:

وده .... (فعلن)

فهو يكتفي في كل مقطع باليسير من "تفعيلاته" التي "يشرع" بها ما يبلغه المراد الذي يتكرر وينتظم في قول ومعنى مستجد في مقاطع القصيدة الأخرى كلها، من مبتداها إلى منتهاها، وذلك أمر شائع في الشعر الحميني على غير قياس من أبحر الخليل بن أحمد وتلميذه الأخفش في المتدارك.

إن هذا "التشريع" يذكرنا بأشعار المولدين في الشعر العربي حيث يقول مؤرخوا الأدب "إن المولدين قد تملك بعضهم حب الابتكار، والميل إلى الجمال، والتفنن حتى في أوزان الشعر وطرقه ، فهم قد مزجوا بين الأوزان المختلفة، وربما آلفوا بين وزنهم المخترع وواحد من الأوزان المعروفة، بل يكاد أهل العروض أن يجمعوا على أن

للمولدين أوزاناً مخترعة لم يسبقوا إليها، وكذلك نرى الأمر في الشعر الحميني، فهـذا "التشريع" عند محسن ابن عبد الكريم إسحاق لا يراعي فيه وزناً أو روياً خاصاً، بل إن لكل مقطع روي بعينه وتفعيلة مختلفة، وهو في تشريعه هذا لم يتحلـل مـن قواعـد الإعراب فحسب، بل أيضاً من قيود القافية والميـزان الـشائع للـشعر، ونحـن بهـذا وذاك نستطيع أن نعد "التشريع" تطوراً سبق شعر التفعيلـة، والتـزم بغنائيـة الـشعر العربي، بأكثر من قرنين من الزمان.

ونعود للدكتور غانم الذي يستطرد فيقول :

وليست القصيدة ذات القافيتين بأقدم مثـال يقدمـه الـشعر القـصيد لنـا في بـاب الشعر الملحون، فابن خلدون ذكر عدداً من القصائد ذات القافيـة الواحـدة نظمـت بأسلوب الشعر الملحون، وهي القصائد المعروفـة بالأصـمعيات والتـي ظهـرت في شمال أفريقيا، وتناولت المغامرات التي قيل إنها وقعت في تغريبة بني هلال المشهورة، وقد قارن ابن خلدون هذه القصائد بقصائد الشعر الملحون المعروف بالشعر البدوي والذي كان ينظم في سوريا على عهده. ولا تختلف الأصمعيات عن حمينيـات الغـزل الصنعاني ذات القـافيتين في أنهـا تقتـصر – كالـشعر الفـصيح – عـلى قافيـة واحـدة فحسب، بل إنها تقتصر على بحر واحد أيضاً هو البحر الطويل. أما شعر البدو الذي ينظم في البلاد العربية فإنه يستعمل القصيدة ذات القافيتين إلى جانب القـصيدة ذات القافية الواحدة ويجري من حيث الوزن في مجال أوسع من الأبحر المتعددة.

ومع العلاقة الحاصلة بين الحميني وبحر الرجز كـما أشـار إليـه الـدكتور / محمـد عبده غانم، إلا أنه يكثر أيضاً استعمال أبحر أخـرى في قـول الـشعر الحمينـي حيـث وهي متوافقة مع أبحر الشعر الحكمي الفصيح مثل البحر البسيط، إلا أن هذا البحر يمتاز في الحمينيات عموماً بمسائل أشار إليهـا الـدكتور غـانم مـن مثـل التـذييل و الترفيل وليس هنا محل لتفصيلها، لكننا بهذه الإشارة نريد التأكيد على مسألة المخالفة

الدائمة بين شعر العامية الملحون كالحميني، وبين الشعر الفصيح الحكمي لا من حيث الإعراب من عدمه، بل أيضاً من حيث الأوزان و القوافي، وأسلوب استخدام الأبحر الأخرى غير السريع أو الرجز، والتنوع في الروي والبحر أحياناً كثيرة في القصيدة ذاتها، حتى ابتدع شعراء الحميني أسماء لإبداعاتهم التي تميزوا بها فهي وإن (اشتركت مع الفصيح في الاسم ذاته لكنها تحمل دلالات غير ذات الدلالة في معجم الشعر المعرب الفصيح).

فالموشح – مثلاً – اسم يطلق على القصيد الحميني حين يتألف من مقاطع (أو فقرات)، لكل فقرة منها في العادة ثلاثة أجزاء أو أكثر، وللفقرات كلها نمط مشترك .. بينما نجد أن الأصل اللغوي للتوشيح مأخوذ من (الوشاح) الذي قال عنه صاحب القاموس: إنه كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر وأديم عريض يرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها.

ومما قاله ابن منظور: الموشحة من الظباء والشآء والطير: التي لها طرتان من جانبيها. والوشحاء (من المعز): السوداء الموشحة ببياض، وثوب موشح: ذلك لوشي فيه.

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيقول وهو يتحدث عن أوزان المولدين في الشعر العربي: (إن سر تسميتها بالموشحات هو تشبيهها بالوشاح أو القلادة حين تنظم حباتها من اللؤلؤ والجوهر على نسق خاص وترتيب معين، فالصانع الماهر حين ينظم العقد من أنواع مختلفة من الأحجار الكريمة يرتب خرزاته ترتيباً يرتضيه ذوقه، وقد بدأ باثنتين من نوع، ثم ثلاث من نوع آخر، ثم واحدة من نوع ثالث، ويلتزم هذا النظام الخاص حتى نهاية العقد أو القلادة ويضيف الدكتور أنيس "وهكذا الموشحات يبدأ الناظم فيها بوزن خاص، وقافية خاصة، ولا يكاد ينظم منها أشطراً حتى ينتقل إلى وزن آخر وقافية أخرى، ثم يعود بعد قليل من الأشطر إلى القافية

والوزن اللذين بدأ بهما، وتتكرر هذه المغايرة في الأوزان والقوافي، خاضعة لنظام خاص حتى ينتهي الموشح انتهى.

وعندنا – رغم التشبيه المستعار عن المعنى اللغوي – يبقى الموشح في الشعر العربي شيء مغاير للتوشيح في الشعر الحميني، فذلك مقصود به كامل العمل الشعري أي القصيدة وهنا التوشيح يمثل شيئاً من القصيدة لا يكتمل إلا بأشياء أخرى كالبيت (أو التقميع) والتقفيل، فالبيت أو التقميع إن هو إلا أبيات تأتي بعد التوشيح مطابقة لأول القصيدة في الوزن والروي.

بين الإنشاد والغناء:

يبدو أن هناك خلط عند الدكتور محمد عبده غانم بين الغناء للشعر الصنعاني وبين إنشاده وذلك عندما قال في كتابه القيم شعر الغناء الصنعاني ما نصه :

"وحتى الشعراء الذين جاءوا بعد عبد الرحمن بن يحيى الآنسي لم يسلموا من طغيان شهرته. ومع أنه يحق لنا أن نقول ليس بينهم من يساويه في المكانة الأدبية، إلا أن ما أسهموا به من القصائد في شعر الغناء الصنعاني لا يمكن أن يغني عنه شعر الآنسي، ولا شعر غيره من عمالقة الشعر الحميني، لأن لكل قصيدة قالها هؤلاء الشعراء المتأخرون قيمتها الخاصة، ويصدق ذلك بالذات على القصيدة (بآء ٧٧) وهي لمحسن بن عبدالكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق .. الخ"، وعندما رجعنا إلى القصيدة المقصودة في كلام الدكتور غانم وجدنا أنها نشيد نعم التي لا يخلو منها إنشاد منشدي الحميني أو الحكمي في صنعاء، سواء كانت المناسبة زفافاً، أم مجلس عزاء، وحتى في كثير من موالد النذور، ومطلع تلك القصيدة:

نعم، نعم شكري لمولى النعم　　　في كل حاله[1] فرض لازم

وهي أشهر وأهم حمينيات الشعر الصنعاني على الاطلاق لدائم إنشادها في مدينة

(١) في بعض النسخ: في كل (وقت) فرض لازم

من أعرق مدن الدنيا لما يزيد على مائتي عام.

يقول الأستاذ الدكتور / إبراهيم أنيس ما نصه: "ولا شك أن أصحاب الروايات القديمة قد عنوا بالإنشاد شيئاً غير الغناء. وليس بين أيدينا ما يدل على أن الشعراء في الجاهلية كانوا يتغنون بالشعر وإنما تحدثنا الروايات دائماً عن الإنشاد وما فيه من قوة وحماس، وأن الشاعر كان ينظم القصيدة، ويقدمها فينشد بها في الأسواق مفاخراً أو مادحاً، ولم يكن الغناء من عمل الشاعر، ولا مما ينتظر منه ومع أننا لا نعني بالفرق بين الغناء بالشعر وإنشاده هذا المعنى الذي يتحدث عنه أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر، إلا أن المعنى عندنا شيء مشابه وهو أن التغني بالشعر غير إنشاد المنشدين، خصوصاً في الحميني، ففي الشعرين الحكمي والحميني لا يقوم ناظم القصيدة بإنشاد شعره، وإنما قد يعهد بها إلى أي من المنشدين، هذا ما نعرفه في هذه الأيام على الأقل[1]، ذلك أن النشيد في صنعاء مهنة كالغناء. أما بالنسبة للتغني بشعر محسن بن عبد الكريم أو إنشاده بصحبة آلة موسيقية فنراه أقل قليلاً – من حيث الشهرة والكم – من شعر عمالقة الحميني الآخرين حتى عصور متأخرة ربما بسبب الطابع المحافظ لصنعاء، وكونها مركز الدولة في أغلب العصور، ومحل فقهاء السلطة، وربما لأنها كانت أيضاً محلاً لمنفتحين لا يجرؤن، ومعارضين لا يقدرون، ومتطلعين لا يرفعون أصواتهم،ولا تبلغ أمانيهم حنا جرهم إن اشتعل القلب برغباتهم في الطرب والغناء، ولذلك فنحن نرى شهرة محسن بن عبد الكريم بين المغنين والمطربين الهواة والمحترفين أقل من نظرائه من عمالقة الحميني والحكمي في صنعاء وكوكبان وغيرهما كابن شرف الدين والعنسي والآنسي، على أهمية بيت إسحاق، وليس شاعرنا محسن بن عبدالكريم وحده، ممن أسهم في هذا المجال عبر السنين، وذلك كما هو في استدراك الدكتور محمد عبده غانم في كتابه"شعر الغناء الصنعاني".

---

(١) راجع ماذكرناه في القياس مع ابن شرف الدين كما سيأتي حيث يقول جامع ديوانه بأنه عهد ذات يوم إلى أحد المنشدين لإنشاد إحدى قصائده.

أسباب ومسببات :

من أشهر قصائد المولى محسن بن عبد الكريم إسحاق التي سمعناها تغنى القصيدة التي يقول فيها:

أهلاً، وسهلاً بالغزال الاشنب　　　راعي المسالس، باهي المحيا
أهلاً بمن أبدى الجفا وغيب　　　عن مغرمه، لا غيبه عليا
أهلاً بمن هو لي أجل مطلب　　　يرحب على راسي، ومقلتيا

من الواضح أن الشاعر قد نظم هذه القصيدة بقصد التغني بها مزيلاً عنها الذّكر والطابع السائد في عصره، وله مثلها كثير فلماذا قل الشعر الذي يغني مقطوعاته المغنون من شعر محسن بن عبد الكريم رغم عذوبته وجودته وعديد قصائده التي – كشعر كثيرين من بيت إسحاق – لا تقل جودة عن شعر عمالقة الحميني إن لم تضارع قصائدهم بحسب رأي الدكتور محمد عبده غانم؟!

نعود فنوافق الدكتور غانم في أن الشعر الحميني الذي أسهم به ابن شرف الدين في الغناء الصنعاني بالغ الأهمية من حيث الكمية، وأن أهمية هذا الشعر الحقيقية تأتي في الأول من ناحية الجودة.

كذلك نتفق مع الدكتور في أن من الشعراء الحمينيين الذين يضارعون.

ابن شرف الدين في التعبير الرقيق، عن العواطف الرقيقة، شاعر أخر يعد من عمالقة الشعر الحميني هو علي بن محمد العنسي"، وكذلك فنحن لا نختلف مع صاحب كتابه"شعر الغناء الصنعاني" في قوله إنه "وحتى الشعراء الذين جاءوا بعد عبد الرحمن بن يحيى الآنسي، لم يسلموا من طغيان شهرته"، لكننا أيضاً مع الأستاذ الدكتور / إبراهيم أنيس في أن أصحاب الروايات القديمة في الشعر العربي – والقضية مشابهة لرأينا في الحميني – قد عنوا بالإنشاد شيئاً غير الغناء، ولم يكن كل الشعر مما يصلح للغناء، وإنما تخير المغنون بعضاً مما رأوه أليق بالغناء وأقبل للتنغيم

والتلحين، إما لرقة ألفاظه، أو تلاؤم موضوعه مع الغناء ومجالس الطرب، وأغلب هذا النوع من الشعر قد نظم في الغزل ونحوه من الموضوعات التي تنسجم مع تلك المجالس"[١].

قياس على ابن شرف الدين :

ولذلك فإن الاختيار لما يُغنى أو ينشد لا يعتمد على جودة الشعر وشهرة الشاعر فحسب، بل إن الاختيار على مدار الأزمان وفي مختلف البلدان يعتمد على الذوق العام الذي يؤثر على اختيار المغني، وانتقاء المنشد بمعنى أنه يتم أولاً بناءً على ذائقة المغني وتصوراته، متأثراً بثقافته وعلاقته الزمنية والنفسية بالشاعر، والمحيط أو البيئة التي سيغني لها وفيها، ولمن يتوجه بالغناء، وأي جماعة تهتم به ويهتم بها. وهنا لا تختلف ذائقة المغنى تبعاً لثقافته، والجماعة التي يغني لها من زمان لزمان فحسب، بل ومن مكان لمكان، وحتى في المكان نفسه، والزمان عينه قد يختلف اختيار المغني باختلاف الثقافة، والجماعات التي سيغني لها، واللحن المختزن في ذاكرته، وقدراته الإبداعية حتى مع تقدم وسائط الإعلام، وإمكانات التسجيل والتوزيع، وحتى الفيديو كليب. فهذا – في نظرنا – أول أسباب قلة ما يغنى من شعر محسن بن عبد الكريم إسحاق لأن بيئة محمد بن عبدالله شرف الدين مثلا كانت أكثر تقبلاً وانفتاحاً وقرباً من أنفاس المحب الولهان في كوكبان منها إلى بيئة صنعاء المحافظة إلى درجة الانغلاق حتى عهود متأخرة جداً.

أما السبب الثاني الذي يمكن استخراجه فهو (موضوع) الشعر نفسه، لأن الكثير من شعر محسن بن عبد الكريم يجنح بعذوبته ورقته إلى مثل أعلى، نبوي أو إلهي، لا يعدل به إلى غيره، ولا يتحرج منه، على عكس ابن شرف الدين الذي قال عنه د/ محمد عبده غانم: "ولما كان هذا الشاعر قد أظهر في سلوكه نزعة إلى التصوف،

---

(١) راجع "موسيقى الشعر" للدكتور/ إبراهيم أنيس

أنكرها عليه معاصره الإمام القاسم بن محمد، فقد توهم بعض نقاد شعره أن ما قالـه في الغزل قد كان على الطريقة الصوفية، ولكن الشاعر نفسه قـد أنكـر ذلـك عنـدما صرح بأن مصدر إلهامه هو الحب الجنسي، بل ويضيف الدكتور عبد العزيز المقالح في تقديم ديوان ابن شرف الدين: "وتكاد تكون كل قصيدة من قـصائد شـاعرنا نابعـة من تجربة حب ذاتية، والقليل منها فقط كتبه على لسان بعض المحبين، وبعـض هـذه القصائد القليلة كتب على لسان الإمام الناصر المطهر بن أمير المؤمنين، فقد طلب إليه هذا الإمام، بعد أن زفت إليه الشريفة حوريه بنت أحمد التهامية أن ينظم – على لسانه – قصيدة يذكر فيها محاسن هذه الشريفة، قال الـشاعر: فقلـت سـمعاً وطاعـة، فلـما كتبتها وأدخلتها عليه قرأتها وهو مصغ، فلما وصلت إلى قولي: ممن لا أبـوح باسـمه، قال: لم لا ذكرت اسمها؟!، لا بد ما تذكر اسمها .. فنظمت قصيدة أخرى مبيتة أولها "صادت فؤادي بالعيون الملاح"، فذكرت اسم الشريفة في قولي جنانيه، مثل القمـر، حوريه فناسبته واستراح".

وتوقف جامع ديوان "مبيتات وموشحات" لمحمد بن عبدالله شرف الـدين بعـد قصيدته التي استهلها بقوله:

يامخجـــل البـــدر في الـــتمام ومـــشبه الـــشادن الأغـــن

والتي منها:

أفـــديك طولـــت في التجنـــي أيـش كـان ذنبـي ومـا جنيـت !؟
حتـــى بنظـــرة بخلـــت عنـــي وغبـــت في الـــستر واختفيـــت
وكـــم تعللـــت بـــالتمني وهـــام شـــوقي بلـــو، وليـــت
آح لـــو ترى في الـــدجى هيـــامي عليـــك والـــدمع كيـــف شـــن

فقال عيسى بن لطف الله بن المطهـر بـن شرف الـدين: "حكـى لي بعـض أهـلي، ونحن مجتمعون في (مقام أنس) وعندنا منشد متقن في تحريكه، (وتـصاريف الغنـاء)، فأنشد بهذه القصيدة، فداخل السامعين من سماعها (طـرب شـديد)، فقـال لي ذلـك

الذي من أهلي: نظم سيدي محمد بن عبدالله – رحمه الله – هذه القصيدة في حضرتي، وكنت في سن الصغر، فقلت له: ما الموجب لذلك ؟!، فقال: كان السبب في ذلك أنه كان شديد التعلق بتلك الغادة التي عرفت ميله، وقد كنت عارفاً بذلك وصورة طمعه في التزويج بها.

قال الراوي: فسمعته يقول: ليت من رآها حتى نظرة، ولو بذلت الروح فيها. قال: فقلت له: اشهد عليك من حضر مقامنا هذا أن قد نذرت علي بكيت وكيت إذا أريتك إياها؟، فقال: نعم نذرت بذلك عليك إن فعلت. قال: وكان عندنا صديقان، وهما ممن يخفّ علينا، فقلت له: اشهد عليك فلاناً وفلاناً بذلك؟، قال: نعم ، قال: فقمت، وقام صحبتي، ودخلت البيت الذي هي فيه، وأظهرت أن تحت البيت شيئاً مما يوجب الفرجة، فلم يشعر سيدي محمد بن عبدالله إلا وقد فتحت الطاقة، فلمحها لمحة واحدة، ورجعت القهقرى، وغلقت الطاقة[1]. قال الراوي: فحينما لاح له محياها خر مغشياً عليه، وأفاق وقد تغير لونه، وذهل عقله، وذهب حسه، ورجعت أنا وإياه إلى المكان الذي كنا فيه، وبات تلك الليلة كئيباً، ساهراً، واكف الدمع، فقيد الهجوع، ونظم هذه القصيدة المتقدمة في تلك الليلة". فكيف كان مقيل محسن بن عبدالكريم، وإلام كانت نفسه تتوق ؟!. لنتركه يصف هو نفسه مقيله، وما يتوق إليه مع جلسائه:

هموا القوم؛ تاقت نفوسهم ... لأحسن من دار الغرور مقيلاً
فما سحرتهم بالغرور حياتهم ... ولا سلبتهم بالخداع عقولاً

ثم قال ملمحاً لمن يتطلعون إليها:

وقالوا لها: لا تسفري، وتبرقعي ... ألم تعلمي أنا نؤم سبيلاً

ولو راجعت ما قلناه عن "علاقة الشاعر بالإمام الشوكاني"، وسؤال العلامة

(١) الطاقة: النافذة

يوسف الأمير والردود عليه، وجواب محسن بن عبدالكريم على أهل نجد بقصيدة جاوزت حدود أربعين بيتا[١]، لوجدت أن شاعرنا كان إلى جانب ما يتوق إليه من جنة أصحابها يومئذ خير مستقراً، وأحسن مقيلاً، كان في مقيله ذاك في "بير العزب" يهتم بما نسميه اليوم "الشأن العام"، ويدير أحاديث تتعلق بالإمامة والإمام، والخلافة والخليفة، حتى أغلق "مقيله" بأمر من ولي الأمر، لكنه استعاده بعد حين، ربما بشروط والتزامات قبل بها، فدعا إخوانه، ممن يؤم مجلسه، للعودة في واحدة من أجمل قصائده الحمينية وهي "غزال رامه" معارضاً فيها الشاعر حيدر آغاء الصنعاني المولد الرومي الأصل للقصيدة نفسها التي مطلعها:

من يبلغ غزال رامه ... مذهب الخد، ساجي العين[٢]
قد مسرنا على السلامه ... وارتشفنا سلافة العين[٣]
وعزمنا على الإقامه ... (بعد طول الفراق والبين)
إنما (جارت الغرامه) ... هات قرشين بعد قرشين

والواقع أن هذا الشاعر منذ صباه كان يفتش عن ذاته بين ركام المعارف وظلمات التأمل وبارق ما قد يلوح في سماوات لياليه حتى خاطب من قد يكون سميره الذي لا يرى في ليل بهيم وهو في سن الصبا كما ذكر ذلك جامع ديوانه الفقيه العماري :

بادر فإنا في مقام وصفه ... لم تحصه مجلدات الكتب
ترى القناديل به غانية ... تمنعت عن صبها في حجب
والماء في أرجائه كأنه ... قوس، نضار، سهمه من ذهب

فمن هذا الذي كان المحسن في مقام وصفه، هذا الوصف الذي "لم تحصه مجلدات الكتب" ؟!.. نظن أننا سنسمع الإجابة، وتكتمل عندنا الصورة فيما بعد !!،

(١) الاصل المثبت في الديوان إضافة لما وجد بخط العلامة يوسف الأمير
(٢) عين الغزال أو الحبيب
(٣) عين الماء

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بعد كل هذا:

مـن المنـشد أو المغنـي في عـصره خـصوصاً سـيجرؤ عـلى الـترنم بقـصائده هـو أو بقصيدة لأي أحد من أعمامه أو بني عمومته الذين طالما احتـضنهم سـجن وادي القصر بصنعاء، وضاقت بهم دورهم ومقايل محبيهم وذويهم لعدة أجيال تعاقبت مع تعاقب الأئمة أوالخلفاء مهما بلغت جودة قصائدهم وشعبيتها ؟!..

ثم، والحال هكذا، مـن الـذي يقـدر عـلى مجاراتـه شـاعراً، وعالمـاً، ومتـصوفا .. وسياسياً لماحاً أو مصرحاً، ومفكـراً منـشغلاً بـالهم العـام كثـيراً، وبالخـاص أحيانـا أخرى كثيرة ؟!.

والله ولي التوفيق والسداد

صنعاء - أكتوبر - ٢٠٠٤م

الأستاذ: عبد الله محمد إسحاق

د . إبراهيم محمد إسحاق

نماذج مصورة من المخطوطات
التي تم التحقيق عليها

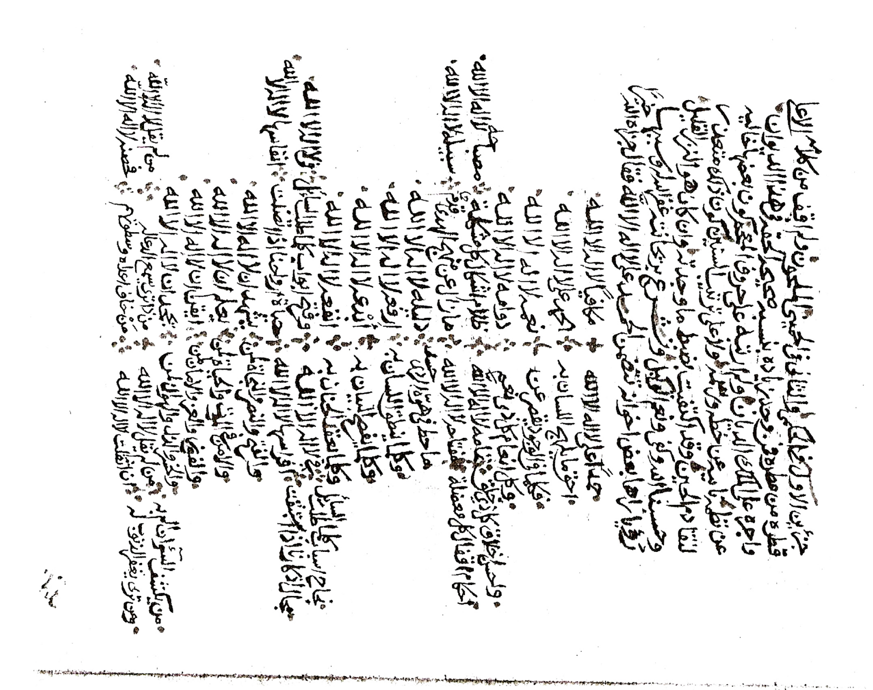

ذوب العسجد في الأدب
المفرد نظم المولى العلامة
حسام الدين محسن بن
عبد الكريم بن أحمد
بن محمد بن إسحق
المهدي
رضي الله
عنه

صورة رقم (١) الغلاف


ذوب العسجد في الأدب المفرد
نظم المولى محسن بن عبد الكريم
بن أحمد غفر له الملك
الصمد آمين

... إليه هو السيد العلامة العظيم حسام الدين محسن بن عبد الكريم
بن أحمد بن محمد بن إسحق بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام
المنصور القاسم بن محمد رحمهم الله تعالى أجمعين
وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه
إلى يوم الدين

صورة رقم(٢) لغلاف الديوان نسخة أخرى



صورة رقم(٣) مقدمة الديوان

بسم الله

الولد العزيز الفخري عبد الله محمد
بن عبد الله اسحق حفظه الله تعالى وسلم عليه
قد كان التعقيب في السفينة
على الموجود من قصائد سيدي
محسن بن عبد الله بن اسحق فلم نجد
غير تسع قصائد واعتقد
وجودها في ديوانه فتأملوها
واذا لم نجد احدهن فيمكن
نقلها وارجوا ارسال النسخة
الذي حيث قد حصل الاستغناء

صورة رقم(٤)

سفارة الجمهورية العربية اليمنية
روما
السفير

EMBASSY
OF YEMEN ARAB REPUBLIC
ROME
THE AMBASSADOR

٢٩/١٠/٨٦ بسم الله

الأخ العزيز النبيل عبدالله بن محمد إسحاق الأكرم

تحية واشواقاً مع اجمل التمنيات

ارجو ان تكونوا انتم والأسرة الكريمة وكل الأصدقاء في خير وصحة وسعادة

نحن هنا ندخل مرحلة الزمهرير القارس في اوروبا بعد [illegible] لم تطل في فصل الصيف وصيفناها في يوغوسلافيا [illegible] انتهى الامر بالفرار الى الوطن العزيز تجنباً لمواجهة الثلوج والبرد اللذين لا تقوى على تحمل اجوائهما صحتي رغم وجود التدفئة ولكني اتذكر الأتربة والأوساخ وكل ما يرهق الصحة في بلادنا العزيزة الجميلة جداً كما تعرفون، ولكن يبدو انه لا بد مما ليس منه بد واني سآتي اليكم خلال هذا الشتاء

بالنسبة لطبعكم الديوان شعر الجد رحمه الله سررنا [illegible] لكم مع هذا على ان [illegible] لم يكن [illegible] حاجة الى تنقيح [illegible] اعمال [illegible] وانا كان ذلك ترتيب [illegible] التي تتكامل الطبع والذي ارغمنا على الا ننتظر طول هذه المدة التي قد تزيد وطويلة سننتظر ظهور الديوان مطبوعاً محققاً ولكني [illegible] نسخ لأصدقاء [illegible] محفوظة [illegible] هذا اجزاء [illegible] فانا مستعد دائماً وابداً لأي خدمة او [illegible] للاستقبال [illegible] الاشعار التي يتضمنها الديوان شعراً [illegible] بعد ذلك نسخة اخرى هذا واني في خدمة اخي [illegible] تحياتي لكم وللاخوة [illegible] على دكتور مصطفى [illegible] على قاسم [illegible] الى اللقاء اخوكم [illegible]

صورة رقم (٥)

المراجع التي تم اعتمادها ومراحل التحقيق

في مطلع عام ١٩٨٣م تم العثور على النسخة التي قمنا باعتمادها كنسخة أصلية للتحقيق والتي جمعها صديق الشاعر القاضي / عبد الله بن أحمد بن سعيد العماري وبخط الفقيه أحمد محمد زايد ولأن التحقيق كان يقتضي البحث عن نسخ أخرى للديوان ومراجع عدة (كالسفن) بغرض التحقيق والمقارنة خاصة أن جامع الديوان قد أفاد في كل النسخ أن (هذا الموجود من ديوان سيدي المولى الحسام) وهي قطرة من مطره وإذا منّ الله تعالى لوجود زيادة أثبتناها إن شاء الله تعالى)، وقد تركزت عملية البحث والتحقيق على النحو التالي:

أولاً: مكتبة الجامع الكبير (المكتبة الغربية): والتي وجد بها نسختان مخطوطتان أثناء تولي السيد أحمد زبارة مسئولية إدارة تلك المكتبة، وتمت مقابلة تلك النسختين مع النسخة الموجودة موضوع التحقيق هذا فلم نجد فيها زيادة بل إن ما بأيدينا كان أشمل.

ثانياً: محاولة الاستعارة ممن لهم اهتمام بالأدب والشعر لأي نسخة من النسخ التي لديهم ووجدنا نسخة لدى الوالد العلامة جليل القدر صاحب الفضيلة عبد القادر بن عبد الله رحمه الله.

فوجدنا كذلك أن ما بأيدينا هو أشمل. غير أني وجدت في السفينة التي بحوزته رحمه الله تسع قصائد موجودة أصلاً في الديوان وبحسب المراسلة المثبتة في التحقيق.

ثالثاً: تم الاتصال بالأخ الأستاذ السفير والشاعر أحمد محمد الشجني رحمه الله الذي كان حينها سفيراً لليمن في إيطاليا للبحث من جانبه على نسخة للديوان قد تكون موجودة في مكتبة الفاتيكان، وبحسب علمنا أن الكثير من المخطوطات اليمنية توجد بتلك المكتبة، وقد قام مشكوراً ببذل جهد لتصوير نسخة من

الديوان موجودة بتلك المكتبة، وقام بإرسال صورة لها وذلك في تاريخ ٢٩/١٠/١٩٨٦م، كما هو مثبت صورة الرسالة التي أرسل بها تلك النسخة، وقد تم مقارنتها مع الديوان موضوع التحقيق ومع النسخ التي اعتمدناها للتحقيق فوجدنا أن النسخة التي بأيدينا هي أشمل أيضاً، كما أنه تم العثور مؤخراً ونحن بصدد التحقيق على نسخة (تم اكتمال نسخها في ليلة الجمعة المباركة الموافق ١٢ذو القعدة الحرام سنة١٣٥٥هـ صورة مثبتة لمقدمة الديوان رقم (٣) صفحة (١٤)).

رابعاً: تم البحث في العديد من السفن لنفس الغرض، وهو المزيد من التحقيق، والمراجعة، وإثبات ماله صلة بالشاعر في تلك السفن المراجع التي قمنا بالعودة إليها هي :

١ - سفينة الوالد العلامة عبد القادر بن عبد الله رحمه الله .

٢ - سفينة السيد العلامة محمد بن حسين بن عبد القادر رحمه الله

٣- سفينة القاضي الأديب و الشاعر المبدع إبراهيم بن أحمد الحضراني.

٤ - سفينة السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي رحمه الله .

وقد وجدنا في بعض هذه السفن مثل سفينة حفيده الوالد الحسام المرحوم محسن بن علي بن عبد الكريم إسحاق، وسفينة القاضي الأديب إبراهيم بن أحمد الحضراني والسيد العلامة محمد بن حسين عبد القادر رحمه الله (بعض قصائد) ولم نجد في أي نسخة من نسخ المخطوطات التي تم العودة إليها ما يثبت إلى القصائد الخاصة بالديوان ما يثبت نسبة أي قصيدة من القصائد الموجودة في السفن إلى الشاعر، فوجدنا أن من المفيد عدم إثبات تلك القصائد في تحقيقنا لهذا الديوان توخياً للدقة.

والقصائد التي وجدناها ولم نثبتها هي:

١ - القصيدة التي مطلعها:

أيها البدر قـد راح روحـي في هـواك وتملـــــــك فـــــــؤادي ودادك

وهي موجودة في سفينة كل من السيد محمـد بـن حسين عبـد القـادر، والـشاعر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضراني.

٢ - القصيدة التي مطلعها:

يادولـــــة الحـــسن والـــسلطان كـــم لي إليـــك أرفـــع الـــشكوىٰ

وهي موجودة في سفينة السيد / محسن بن علي بن عبد الكريم إسحاق ومنها :

لا وخــــدك ياكحيـــــل العـــــين فـــيما جنـــاه طرفـــك الـــساحر
الله شـــــا يــــرحم الـــضعفين منـــي ومـــن جفنـــك الفـــاتر
والآن زد شـــــل قلبــــي ديـــــن يبقــىٰ معـــك جـــبر للخـــاطر
الــــــدهر في غفلــــة الهجــــران لابــــد للوصـــــل مــــايقوىٰ

وهناك أربع قصائد أخرىٰ رأينـا عـدم ذكرهـا؛ لأنهـا مـا وجـدت إلا في سـفينة الأديب الشاعر إبراهيم الحضراني وما وجدت في غيرها من السفن التـي بـين أيـدينا فرأينا عدم ذكرها.

صنعاء٢٦/١٠/٢٠٠٤م

من كتب ومؤلفات الشاعر والأديب والمحقق

العلامة/ محسن بن عبدالكريم بن إسحاق

١- التحقيق الشافي في الرد علي لطف الله بن أحمد جحاف - المكتبة الغربية ـ الجامع الكبير ـ صنعاء مجموع رقم(٢١:-٤٢-٥٠)

٢- جمع المفردات وشرحها ـ في النحو -مجموع رقم(١٩) الجامع الكبير ـ صنعاء.

٣- جواب وسؤال في مسألة الرواية -مجموع رقم(٥ :٩٠) الجامع الكبير ـ صنعاء.

٤- ذوب العسجد ـ أدب ـ (موضوع التحقيق هذا) -مجموع(٦١ -٦٢ -٦٣) الجامع الكبير ـ صنعاء.

٥- الرسالـــــة -مجموع(٥ :٩١ -١٠٢) الجامع الكبير ـ صنعاء.

٦- السلك المغنى لجمع مفردات المغنى ـ نحو - مجموع(٣٢).

٧- شرح مغنى الليب ـ منظومة -مجموع(٧٣: ٨٢: ٩٥) الجامع الكبير ـ صنعاء.

٨- عدّة الموشح لتحقيق الموشح -مجموع(٧٣: ٨٨: ١٧١) الجامع الكبير ـ صنعاء.

٩- نظم مفردات المغني وشرحها في علم الكلام ـ مجموع(١٥٩ :)

١٠- الهيكل اللطيف في مدح حلية الجسم الشريف ــــ مجمــــوع(٥: ٥١: -٨٩) ومجموع(:١٩٩: ٢١٦) شرح للقصيدة الموجودة في الجزء الحكمي بهذا الاسم.

١١- بحث في حديث الصباح ـ مجموع : (٥٠).

هذه بعض الكتب والمؤلفات التي وجدت أثناء عملية التحقيق للديوان في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، ولعل العديد من المؤلفات والكتب للشاعر والعلامة محسن بن عبدالكريم إسحاق قد فقدت ،أو موجودة في أماكن عدة. لذا وجب التنوية.

والله مـــــن وراء القصد.

مقدمة جامع الديوان

عبد الله بن أحمد العماري

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وبدأه بالإحسان، ونوّه بتعليمه البيان، في أول سورة الرحمن ﴿**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[الرحمن:١-٤] والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، نور الله الذي ملأ الأكوان، ورحمته الشاملة للإنس والجان، وعلى آله قرناء القرآن، الذين قام بسيوفهم خير الأديان، حتى أصبح راسخ البنيان، ثابت الأركان، وعلى التابعين لهم بإحسان.

أمَّا بعد.. فلما كان الأدب روضة تقطف منها ثمار الأفكار، ومنصة تجلى عليها أبكار عرائس الأنظار، لا سيما ما كانت جواهره منظومة في سلك النظام، محفوظة بأوزان البحور المشهورة بين الأنام، فإنه لا يقيّد من الأوابد إلا ما يخشى شروده، ولا يحبس من الطير إلا ما يطرب تغريده، ويعزّ وجوده، قال الأرجاني:

كالطير يرتع في الرياض وإنّما

حُبِسَ الهزار لأنه يترنم

فلذلك اعتنى أهل الأدب بجمع أشعار الأدباء في الدواوين، وحفظوها عن الضياع فيما يكون لها كالمخازين، وقد خطر في البال العناية بجمع شعر مولانا بحر المعارف الزخار، وقمر الهداية النوار، شمس العلوم المنيرة في مشارق الأنوار، إمام الصناعة الأدبية، وأمير المعاني الشعرية، حسن الشمائل والأخلاق، المتحلي بجوامع مكارم الأخلاق، محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق، لا زال بالذكر الحسن مذكوراً في الآفاق.

إذا كان فضل المرء في الناس ظاهراً

فليس بمحتاجٍ إلى كثرةِ الوصف

ألم تــر نــور الــشمس في الأرض باديــاً

غنيــاً عــن الوصــف المرصــع بالرصــفِ

لكني لما لم أجده مجموعاً لديه، ولا محفوظاً في مجموع يرجع إليه، لحقتني غيرة على محاسن الكلام أن تكون مفقودة، وعلى بنات الأفكار أن تظل موءودة، فتطلبته من أوراق قد نسجت عليها عناكب الخمول، وطارت بها أدراج الرياح من شمال وقبول، و"سفاين"[1] قد تلعبت بها أمواج الحوادث حتى تعذر إليها الوصول، وسميته **"ذوب العسجد في الأدب المفرد نظم المولى محسن بن عبد الكريم بن أحمد"** وجعلته جزأين: الأول في "الحكمي" والثاني في "الحميني" الملحون، ولم أقف من كلامه إلا على قطرة من مطره، فمن وجد زيادةً بنسبة صحيحة ألحقها في هذا الديوان، وأجره على الملك الديّان.

ولم أرتّبه على حروف المعجم كون بعضها خالية عن نظمه، نابية عن خطه ورسمه، ولا على ترتيب السنين، كون ذلك متعذراً لتقدم الحين، وقد اكتفيت بضبط ما وجدته وإن كان هو النزر القليل، وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل.

---

(١) "السفينة" يطلقها أدباء اليمن على المختارات الشعرية التي ينتخبها أهل الذوق من الأدب.


الجزء الأول الحكمي

١. نشيد التوحيد

حمـــــداً عــــلى: لا إلــــه إلا الله   مكافيــــــــاً: لا إلـــــــه إلا الله

أحـــق مـــا يلهـــج اللـــسان بـــه   حمـــــداً عــــلى: لا إلــــه إلا الله

فكـل مـا في الوجـود يقـصر عـن   نعمــــــة: أن لا إلـــــه إلا الله

وكـــل إنعـــام كـــل ذي نعـــم   دوامـــــه: لا إلـــــه إلا الله

وحـسن أخـلاق كـل ذي خلـقٍ   تمامـــــــه: لا إلـــــه إلا الله

ظـــلام إشـــكال كـــل مـــشكلة   مـــــصباحه: لا إلـــــه إلا الله

إحكـــام إقفـــال كـــل معـــضلة   مفتاحـــــه: لا إلـــــه إلا الله

مـــا زلّ عـــن مـــنهج الهـــدى قـــدمٌ   ســـــبيله: لا إلـــــه إلا الله

مـــا حـــطّ في هـــوّة الـــردى جـــسد   دليلـــــه: لا إلـــــه إلا الله

وكـــل مـــا ينطـــق اللـــسان بـــه   أرفعـــــه: لا إلـــــه إلا الله

وكـــل مـــا يفـــصح البيـــان بـــه   أبدعـــــه: لا إلـــــه إلا الله

وكـــل مـــا ينعقـــد الجنـــان بـــه   أنفعـــــه: لا إلـــــه إلا الله

نجـــاح أســـباب كـــل مـــا طلـــب الآمـــل في: لا إلـــه إلا الله

وفـــتح أبـــواب كـــل مـــا ســـأل الـــسائل في: لا إلـــه إلا الله

مجـــال أفكارنـــا إذا اســـتبقت   أفراســـــها: لا إلـــــه إلا الله

حيـــاة أرواحنـــا إذا اتـــصلت   أنفاســـــها: لا إلـــــه إلا الله

والفـــتح والنـــصر والنجـــاة لمـــن   يـــــشهد أن: لا إلـــــه إلا الله

والأمــن في المــوت والحيــاة لمــن ... يعلــــم أن: لا إلــــه إلا الله

والفــوز والعــز والأمــان لمــن ... أيقــــن أن: لا إلــــه إلا الله

والـخُـسر والــذل والهــوان لمــن ... يجحــــد أن: لا إلــــه إلا الله

مــن يكــشف الــسوء إن أَلمَّ بــه ... مــن لم يقــل: لا إلــه إلا الله؟

مــن ذا تــرى يــسمع الــدعاء لــه ... إن لم يقــــل: لا إلــــه إلا الله؟

ومــن تــرى يغفــر الــذنوب لــه ... إن أثقلتــــه الـــــذنوب إلا الله؟

مــن خــاف أعــداءه وســطوتهم ... فحــــصنه: لا إلــــه إلا الله

حِــصنٌ إذا مــا حللــت ذروتــه ... كنــــت بــــه لا تخــاف إلا الله

يــردُّ مــن رام كيــد عقوبتــه ... بغيظــــه: لا إلــــه إلا الله

مــن أشرقــت نفــسه لنيــل غنــى ... فالملــــك في: لا إلــــه إلا الله

مــن حلَّقــت للــسموِّ همتــه ... فــــالعز في: لا إلــــه إلا الله

والمــرء في رق كــل كائنــة ... مــا لم يقــل: لا إلــه إلا الله

والــنفس تحــت الأســار موثقــة ... فكاكهــــا: لا إلــــه إلا الله

فكيــف لا نحمــد المليــك عــلى ... إفهامنــــا لا إلــــه إلا الله

فالحمــــد لله كلــــما وجــــب الحمــــد عــــلى: لا إلــــه إلا الله

صــلاة ذي العــرش والــسلام عــلى ... الـــــداعي إلى: لا إلــــه إلا الله

والآل والــصحب كلــما ذكــرت ... وكـــــررت: لا إلــــه إلا الله

٢. الهيكل اللطيف في وصف حلية الجسم الشريف[١]

حتَّـــامَ أضرب في مـــرتٍ مـــن الأمـــل
وأرتجـــي وصـــل مـــن أهـــوىٰ ولم أنـــل
إن لم أكـــن أنـــا أهـــلاً للوصـــال فكـــن
أنـــت الحـــريُّ بطـــولٍ منـــك واســـتطل
أو باعـــدتني ذنـــوبي عـــن زيـــارتكم
فـــانظر إليَّ بعـــين العفـــو واحتمـــل
تـــأبىٰ شـــمائل حـــسن غـــير مـــشترك
أن تـــستهل بهجـــر غـــير محتمـــل
عطفـــاً عـــلىٰ قلـــب صـــبٍ أنـــت ســـاكنهُ
عطـــفُ الغريـــب عـــلىٰ أوطانـــه الأول
مـــا هبـــت الـــريح مـــن تلقـــاء أرضـــكم
إلا تنـــسم ريَّـــا تلكـــم الكلـــل
ولا تـــرنم فـــوق الأيـــك طـــائره
إلَّا وحـــنَّ حنـــين الأنيُـــق الـــذلل
ولا شرىٰ الـــبرق في أكنـــاف غاديـــةٍ
إلا قـــدحت زنـــاد الـــشوق كالـــشعل
وســـاجلت مقلتـــيَّ الـــسحبُ واكفـــةً
بواكـــفٍ مـــن دمـــوع العـــين منهمـــل
يـــا آمـــريَّ بـــسلوىٰ عـــن هـــواه لقـــد
محـــضت نـــصحاً ولكـــن مـــا شـــج كخـــلي

(١) لهذه القصيدة شرح للشاعر في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وشمائله(ذكر هذا ص٢١).

لــك الــسلامة مــن وجــدي ومــن حرقــي

دع عنــك لــومي فــإني عنــك في شــغل

يــا بالغــاً في بليــغ المــدح طاقتــه

لتبتغــي كــل قــول غــير مبتــذل

ارجــع بخفــي حنــين بعــد خيبتــه

وقــف فلــست بوقــافٍ عــلى أمــل

لأنــت أقــصر باعــاً أن تمــد يــداً

إلى مــديح حبيــب الواحــد الأزلي

وكيــف بالــشعر تبغــي مــدح مــن نطقــت

بمدحــه ســور التنزيــل في الأزل

حقيقــة اللفــظ لا تــدلي حقيقتــه

إلى العقــول ولا تُــشفي مــن الغلــل

وفي المجــاز تماثيــلٌ وقــد حكمــت

عليــاؤه بتعاليــه عــن المثــل

كــم رامــت المــدحَ أفكــارٌ مهذبــةٌ

تــستن مثــل اســتنان الخيــل في الطــول

ينــازع الأدب المــرضي باعثهــا

عــلى المــديح فلــم تــصبر ولم تنــل

لــذاك عــدت إلى مــدحِ لحِلْيتــه

كمــن ترفــع مــن بحــر إلى جبــل

* * *

لمـا حــوىٰ العــدل في الأخــلاق كــان لــه
مــن كــل خُلــق جميــل كــل معتــدل
فـــالروح في عـــالم الأرواح واصـــلة
إلىٰ محـــل إليـــه الـــروح لم يـــصل
والجـــسم في عـــالم الأجـــسام متـــصف
بغايـــةٍ مِـــن بـــديع الـحُـــسنِ لم تنـــل
فلـــم يكـــن بطويـــل القـــدِّ مُمَغَّـــطٍ
ولا قـــصير مـــن الأقـــوام لم يطـــل
بـــل كـــان حـــال انفـــراد ربعـــةٍ فـــإذا
ماشــىٰ الطــوال فــلا يعلــوه مــن رجــل
إذا مـــشىٰ فكـــما يـــنحط مـــن صـــببٍ
تقلعـــاً غـــير مختـــالٍ ولا عجـــل
وكـــان يجهـــد مـــن مـــا شـــاه متبعـــاً
لخطـــوه، وهـــو يمـــشي الهـــون في مهـــل

* * *

ولـــيس بـــالأبيض المملـــول ناصِـــعُه
كـــلا ولا الأدم المـــشتد في المقـــل
بـــل مـــشرب فلهـــذا قيـــل أبـــيض، بـــل
قـــد قيـــل أســـمر مهـــما شـــئته فقـــل
تـــدنو إلىٰ شـــحمةِ الأذنـــين جمتـــه
ويعبـــق الطيـــب مـــن فينانـــه الرَّجِـــلِ

بـــين الجعـــودة والتـــسبيط لا قطـــط
ولا ســـبيط فـــلا تعـــدل، ولا تمـــل
تُـــزِينُ هامتُـــه العظمـــىٰ بمنفـــرق
طـــوراً وآونـــة أخـــرىٰ بمنـــسدل
صَـــلْتُ الجبـــين أزجَّ الحـــاجبين لـــه
نـــورٌ يلـــوح كـــبرق العـــارض الهطـــل
مـــدوَّرُ الوجـــه ســـهل الخـــدِّ متَّـــسمٌ
بالبـــشرِ يطبـــق جفنيـــه عـــلىٰ كحـــل
مُـــشفَّق أهـــدب الأشـــفار نـــاظره
دان إلىٰ الأرض محفـــوظ عـــن الزلـــل
في وجهـــهَ بلـــجٌ، في ثغـــره فلـــجٌ
في طرفـــه دعـــجٌ مغـــن عـــن الكحـــل
مُقـــصَّد الخلـــق أقنـــىٰ الأنـــف تحـــسبه
أشـــمَّ مـــن ذاد عنـــه الطـــرف مـــن خجـــل
يهابُـــــه مـــــن رآه في بديهتـــــه
ويـــصطفيه حبيبـــاً كـــل متـــصل
يفـــترُّ عـــن مثـــل حـــبِّ المـــزن ذي شنـــبٍ
يجـــول فيـــه شـــفاء الـــسقم والعلـــل
إذا تكلـــم لاح النـــور مـــن فمـــه الـــضـ
ـــليع وهـــو جهـــير الـــصوت ذو صـــحل
مـــضخم الـــشكل كـــث اللحيـــة انتـــشرت
في نحـــره ومـــشت في العـــارض الرســـل

لم يبلــــغ الـــــشيب فيهـــا مـــا يغـــيره
صــــبغ ولم يـــك في فـــــود بمـــــشتعل

كـــــأنما عُنْقـــــه الإبريـــــقُ قـــدَّره
مـــن فـــضة خـــالق الإنـــسان مـــن عجـــل

ضـــخم الكـــراديس شـــثن الكـــف واســـعه
عبـــل الـــــذراعين والعـــضدين إن تـــسل

مـــــا بـــــين لبتـــــه العظمـــــى وسرتـــــه
في الـــصدر مُـــسربة خُطـــت بـــلا عمـــل

وفي الــــــذِّراع وأعـــــلى منكبيـــــه وأعـــــــ
ـــلى صـــدره نبـــت شـــعر غـــير منفـــصل

قـــد اســـتوى صـــدره والـــبطن ثـــم خلـــت
عـــن كـــل شـــعرٍ ســـوى مـــا مـــرَّ فانتقـــل

* * *

تماســــك الجـــــسم منـــــه فهـــــو مكتنـــــزٌ
معـــــدل غـــــير مـــــسترخ ولا رهـــــل

وأنبـــأ البعـــــد مـــــا بـــــين المناكـــب عـــــن
صـــــدر رحيـــب لحفـــظ الـــسر محتمـــل

إذا تحـــــدَّر رشـــــح مـــــــن معاطفـــــــه
كالطـــل ظـــلَّ عـــلى زهـــر الربـــا الخـــضل

والطيـــــب في فـــــضلات الجـــــسم معجـــــزةٌ
لخرقهـــــا عـــــادة في النـــــاس لم تـــــزل

في ظهـــره خـــاتم أنـــشاه خالقـــه
تأويلـــه أن هـــذا خـــاتم الرســـل
يقـــول رائيـــه لا والله مـــا نظـــرت
عينـــي لـــه مـــثلاً في النـــاس عـــن كمـــل
وقـــد تعارضـــت الأخبـــار في قـــدَمَيْ
خـــير البريـــة مـــن حـــاف ومنتعـــل
فبعـــضها يقتـــضي خمـــصان أخمـــصه
وبعـــضها المـــسح فـــاعرف حاصـــل الجمـــل

***

إليـــك يـــا صـــاحب النعـــل الـــذي افتخـــرت
بمـــشيها الأرض بـــل تاهـــت عـــلى زحـــل
وقبلتهـــا الملـــوك الـــصيِّد صـــاغرة
مـــسرورة بالـــذي نالـــت مـــن القبـــل
هـــذا الحـــديث إلـــيكم سـيق مـــن ولـــدٍ
لـــه إليـــك انتـــسابٌ غـــيرُ منتحـــل
ينمـــى إليـــك فيـــستحيي لنـــسبته
إلى عـــلاك فيكـــسى حلَّـــة الخجـــل
لـــولا تـــذكر مـــا أوتيـــت مـــن خُلـــقٍ
ووصـــلك الـــرَّحم الآتـــين كـــالأول
وأنـــك الرحمـــة العظمـــى التـــي بـــرزت
للعـــالمين فـــلي مـــن فيـــضها أمـــلي

قـــدَّمت بـــين يـــدي نجـــواي تـــذكرة
بمثلهـا قـد نجـا "كعـب" مـن الخطـل

إن الملـــــوك وإن عـــــزَّت مناصـــــبها
يهـدى لهـا مـن حقـير الـشيء والجلـل

ظلمـــت نفـــسي كثـــيراً ثـــم جئـــت بهـــا
إليـك هــذا مقــام الخــائف الوجــل

عـــسى بجاهـــك أن أحظـــى بخاتمـــة
تمحـى بهـا سـيئات القـول والعمـل

لـــك المقـــام الـــذي مـــا نالـــه أحـــدٌ
مـــن النبيـــين فاشـــفع للأنـــام ولي

صـــلى عليـــك الـــذي يعطيـــك نافلـــة
يـوم القيامـة مـا يرضـيك مـن أمـل

والآل والـــصَّحب مـــن أبـــدى فـــضائلهم
مـاخط في الـصحف الأولى مـن المثـل

٣. أمير المؤمنين عليه السلام

ألا مـــــن لـــــنفسٍ لا يبـــــل غليلهـــــا
فـــدىً لأمـــير المـــؤمنين قليلهـــا

فـــإن عليـــاً حلقـــةٌ مـــن تعلقـــت
بهـــا يـــده طالـــت وطـــال طويلهـــا

لقـــد شـــمَّ في حجـــر النبـــي روائـــحَ
النبـــوة لمـــا جـــاءه جبريلهـــا

ومـــا زال يقفـــو في المكـــارم إثـــره

كـــما يتبـــع الأم الهجـــان فـــصيلها

فآخـــاه مـــن بـــين الأنـــام وإنـــما

يـــضم إلى وســـطى العقـــود مثيلهـــا

وألبـــسه "يـــوم الغـــدير" ولايـــةً

تجـــر عـــلى رغـــم العـــدو ذيولهـــا

* * *

أجـــل نظـــراً في محكـــمات فـــصوله

إلى خطـــب يَـــشفي القلـــوبَ طويلهـــا

هنـــاك تـــرى أن "النبـــي" مدينـــةٌ

وأن "عليـــاً" بابهـــا وســـبيلها

إذا وصـــف الـــرحمن كـــادت لوصـــفه

تفـــارق أشـــباح الجـــسوم عقولهـــا

وإن عرضـــت في جانـــب الـــدين شـــبهة

تعمـــد أقـــصى أصـــلها فيزيلهـــا

وإن وصـــفوا مـــن خلقـــه فـــضل نجـــدة

يزلـــزل أركـــان الكمـــيّ رعيلهـــا

فـــلا تـــدعن أن لا فتـــى غـــير "حيـــدر"

ولا ســـيف إلا "ذو الفقـــار" تقولهـــا

٤. الثقة بالله

ثــق بمـــن في يمينـــه البـــسط والقـــبض
ومـــن تحـــت حكمـــه الأفـــلاك
الـــذي أذعنـــت لـــه الجـــنُّ والإنـــس
وذلـــــت لعـــــزه الأمـــــلاك
وأتـــت طاعـــة لـــه الأرض والـــسبع
الـــسماوات والـــسها والـــسماك
ملـــك شـــأنه التكـــرم والفـــضل
علينـــــا وشـــــأننا الإمـــــساك
مالـــه في جلالـــه مـــن شريـــكٍ
ولنـــــا في نوالـــــه الاشـــــتراك
تتنـــاهى في مدحـــه صـــيغ الحمـــــ
ـــــد ويفنـــى مـــن دونـــه الإدراك
بـــدأ الخلـــق بـــالنَّوال ووالاه
دوامـــاً فلـــيس عنـــه انفكـــاك
وهـــداهم فـــضلاً إلى الـــشكر حتـــى
نُظمـــت في ثنائـــه أســـلاك
وقـــضى أن الـــشكر مـــنهم كفـــاء
وأداء لحقـــــه وفكـــــاك
شـــاكر للمطيـــع عـــافٍ عـــن الذنـــــ
ـــــب إذا لم يكـــن بـــه إشراك

فلـــه الحمـــــد تمــــلأ الكـــون بـــشـــــ
ـــــــراه فثغـــر الرضـــا بـــه ضـــحَّاك
ولـــه الــشكر نـــستزيد بـــه النعمـــــ
ـــــــاء والـــشكر للمزيـــد مـــلاك
وصـــــلاة منـــــا عـــــلى عـــصمة الله
الـــــذي استمـــسكت بـــه الهـــلاك
وعـــلى آلـــه مـــصابيح نـــور الحـــــ
ــــــق إن كـــان للـــضلال ارتبـــاك

٥. دعاء

ربِّ عُـــد بالجميـــل منـــك وأحْـــسِن
وامـــحُ ذنـــب المـــسيء عبـــدك "محـــسن"
الـــــذي قـــاده هـــواه إلى الجهـــــــ
ـــــل كـــما قيـــدت الـــذلول بمَرْسِـــن
لا نَهـــاه نُهـــاه عـــن عمـــل الـــســ
ـــــوء ولا الـــواعظ البليـــغ ولا الـــسن
رحمـــةٌ منـــك تجعـــل الـــترب تـــبراً
وتـــــصفي مزاجـــــه المتأســـــن

٦. استغفار معترف

أستغفر الله الذي ... أنا عبده الجاني المسيءُ
أستغفر الله الذي ... أنا بالذنوب له أبوءُ
لا عذر لي فيما أتيـ ... ـت به إذا اعتذر البريءُ
إلا اعترافي بالذنـ ... ـوب وأنني عبد جريءُ
إن أسرع السباق في ... سبل الهدى فأنا البطيءُ
أو أكثر العباد من ... حسناتهم فأنا البكيءُ(١)
ما زلت في الطغيان والعصيـ ... ـان أذهب أو أجيءُ
ماذا أعدد من ذنـ ... ـوب لا أكاد بها أنوءُ
سبحانك اللهم بحر ... سماحك العذب المريءُ
إن فزت منه بقطرةٍ ... فأنا الغنيُّ بها المليءُ
ولقد تعودت الجميل ... وكان منك هو البديءُ
فضل الصلاة على الذي ... أنواره أبداً تضيءُ
وأنله موقفه الذي ... ما ناله أبداً نبيءُ
واغفر لعبد لا يملُّ ... من الذنوب ولا يفيءُ

٧. عقيدتي

عقيدتي في ليل أهوائهم ... كالشمس من مشرقها بازغة
الله إن عاقب كانت له ... على العصاة الحجَّة البالغة
وإن أثاب العبد كانت له ... على المطيع النعمة السابغة

---

(١) بكأت الناقة: قل لبنها.

٨. بين الرجاء والخوف

لـــك مـــن قلبـــيَ عقـــد النـــدمِ ومـــن النطـــق اعـــتراف المجـــرمِ
ربِّ إن تعـــف فعـــن عبـــد عـــصى وعليـــه لـــك مـــنٌّ الـــمُنعمِ
أو تؤاخـــذ فبعـــدل صـــدعت لـــك فيـــه حجَّـــة المنـــتقمِ
غـــير أن الفـــضل والرحمـــة والـــ ـعفـــو مـــن شـــأنك يـــا ذا الكـــرمِ
ســـبقت رحمتـــك الخلـــق عـــلى الغـــضب المـــستأصل المـــصطلمِ
أنـــا إن فكـــرت فـــيما جئتـــه مـــن كبـــير في الخطـــا أو لمـــمِ
كـــاد أن يفـــسد خـــوفي طمعـــي وتوقعـــت حلـــول الـــنقمِ
كـــم حقـــوق لـــك قـــد ضـــيعتها ولإخـــواني وأدنـــى رحمـــي
كـــم أيـــادٍ لـــك مـــا وفيتهـــا عُـــشُراً مـــن حـــق شـــكر الـــنِّعمِ
ولكـــم مـــن موبقـــات ســـترت وهـــي عـــن علمـــك لم تنكـــتمِ
لـــو تبـــدَّت لحبيـــب مخلـــصٍ فـــرَّ منـــي كحـــذار الأجـــذمِ
لم أطـــق يـــا ســـيدي تعـــدادها خجـــلاً مـــن ذكرهـــا في الكلـــمِ
وإذا فكـــرت في الحلـــم وفي فـــيض جـــود فوقهـــا في العظـــمِ
غلـــب الخـــوف رجـــائي وســـمت لـــسؤال العفـــو عنهـــا هممـــي
فـــاغفر اللهـــم ذنبـــاً قـــد مـــشت ســـفهاً منـــي إليـــه قـــدمي
واغفـــر اللهـــم ذنبـــاً بطـــشت لتعاطيـــه يـــدي عـــن أمـــمِ
واغفـــر اللهـــم ذنبـــاً جـــرَّه الـــسـ ـــمع والعـــين وأبـــداه فمـــي
وقنـــي شرَّ ذنـــوبي كلهـــا وأقلنـــي وبخـــيرٍ فـــاختمِ

وتحمـــــل تبعـــــات نلتهـــــا   مـن بنـي جنـسي ويـرئ ذممـي
وإذا أفـــسدت عبـــداً صـــالحاً   فبإصـــــلاحٍ لـــــه ربِّ قُـــمِ
وتقبَّـــل تـــوبتي ربِّ فـــما   لي سـوئ بابـك مـن مُعتـصمِ
وعـــلى (أحمـــد) والآل معـــاً   صـلِّ يـا ربِّ وسـلم وارحـم
وعـلى الأصـحاب أعـلام الهـدى   وعـــلى تـــابعهم في اللَّقـــمِ

٩. أغثني أغثني

دعوتـــك يـــا ربِّ فـــيما ألم   بكـل عظـيم حـواه القـسم
بـــذاتك ربِّ بأســـمائها   بقولـك للـشيء كـن مـن عـدم
بعـزِّ الجـلال بنـور الجـمال بوصـف الكـمال بنعـت القـدم
بتـسخير أفلاكـك الـدائرات بتـسبيح أملاكهـا بـالقلم
بفتقـك بـين الثـرى والأثـير وخلقـك مـا فـيهما مـن أمـم
بـصبِّ الفـرات مـن المعـصرات لبعـث المـوات وبـث الـنعم
بـشق الأديـم لـزرع الجمـيم   بـذرء النـسيم بـبرء النـسم
بخلقـــك آدم مـــن طينـــةٍ   عـلى صـورة بـالجمال الأتـم
بجعلـك مـن نطفـةٍ نـسله   وتطـوير أطـوارهم في الظلـم
بعهـد عهـدت إلـيهم بـهِ   أنـا الـربُّ قُلـتَ: فقـالوا نعـم
برســـلٍ بعثـــتَ لتجديـــدهِ   بكُتـب أنـار بهـا مـا ادلهـم
بخـير الخيـار كـريم النجـار   حبيبـك طـود الفخـار الأشـم

بـــذكر تحـــدَّىٰ بـــه المفلقـــين فعـــادوا وهـــم عـــربٌ كـــالعجم
بـــسفن النجـــاة الهـــداة التقـــاة حمـــاة الـــذِّمار رعـــاة الـــذِّمم
أغثنـــي أغثنـــي أقـــل عثـــرتي وخـــذ بيـــدي في مـــزلِّ القـــدم
وكـــف أكُـــفَّ العـــدىٰ كلَّهـــم وكـــن نـــاصري واكفنـــي مـــا أهـــم
ومـــن دركـــات الـــدُّنا رقِّنـــي إلىٰ درجـــات الكـــمال الأتـــم
وهـــبْ مـــن لـــدنك لنـــا رحمـــة تجـــلِّي بهـــا كـــل هـــمٍّ وغـــم
وعـــد بالجميـــل وجـــد بالجزيـــل علينـــا فإنـــك أهـــل الكـــرم
ومُـــنَّ بمغفـــرة واعـــف عـــن خطيئاتنـــا بيـــد أو بفـــم
وصـــلِّ وســـلِّم عـــلىٰ مـــصطفاك والآل والـــصحَّب غـــرَّ الـــشيم

١٠. وهكذا العمر تولَّى

أســـتغفر الله منيبـــاً تائبـــا مهـــاجراً عـــن الـــذنوب آيبـــا
كـــم ليلـــةٍ بـــتُّ بهـــا مـــنعِّماً لـــذيل لهـــوي والـــضلال ســـاحبا
ســـوَّدت فيهـــا صـــحفي كـــأنني بليلهـــا المـــسود كنـــت كاتبـــا
مـــستخفياً عـــن الأنـــام غـــافلاً أن عـــليَّ شـــاهداً مراقبـــا
وأخجلتـــاهُ عنـــد نـــشرها غـــداً إن لم يكـــن مـــولاي عنهـــا تائبـــا

* * *

وكـــم صـــباح قـــد أضـــاء نـــوره مـــشارق الأرضـــين والمغاربـــا
أصـــبحت فيهـــا خابطـــاً في ظُلَـــمٍ مـــن الـــذنوب لاهيـــاً ولاعبـــا

وكـم أصـيل غربـت شموسـه ركبـت فيـه للعتـوِّ غاربـا
وهكـذا العمـر تـولَّىٰ كلُّـه وشـابه الـوارد منـه الـذاهبا
وتوبـةٍ نقـضتها وطاعـةٍ نويتهـا ورحـتُ عنهـا جانبـا
ونعمـةٍ حـاضرةٍ كفرتُهـا ولم أكـن لهـا علـيَّ حاسـبا

* * *

يـا ويـح نفـسي مـا الـذي تعـده إذا أتـىٰ كـلَّ امـرءٍ محُاسـباً؟
مـاذا أقـول إن وقفـت في غـدٍ بـين يـديك للحـساب راهبـا؟
إذا اعترفـت بالـذنوب كلهـا كنـت إذاً مـن العقـاب هائبـا
وإن جحـدتُ شـهدت جـوارحي وقـام مـن نفـسي علـي عاتبـا

* * *

لا غـرو إن ظِلْـتُ زمـاني كلَّـه للعـبرات في الخـدود سـاكبا
ونحـت كـالعيس علىٰ أفالهـا أو كـالحمام في الغـصون نادبـا
خـذ بيـدي يـاذا الجـلال واهـدني إلىٰ الـصِّراط بالعنـان جاذبـا
وتـب علـيَّ كـي أتـوب توبـة تبعـث لي مـن الرضـا سـحائبا
بمـن سرىٰ علىٰ "الـبراق" راكبـاً إلىٰ الطِّبـاق للأمـين صـاحبا
ومـن رفعـت إذ رفعـت قـدره عـن سبحات وجهـك الحواجبـا

١١. سندس الورق الأخضر

ولـــــد الغـــــصن زهـــــرة أصـــــنافا
وامــــــترى درَّ ســــــحبه أخلافــــــا
نفحتــــــه ريــــــح الحيــــــاة فأحيتــــــه
فهـــــزَّت مـــــن قـــــدِّه أعطافــــــا
وكـــسته مـــن ســـندس الـــورق الأخـــضـ
ـــــــــر بُـــــــرداً مزهـــــــراً أفوافــــــا
أفـــــلا يـــــؤمن الكفُـــــورُ وقـــــد شـــــا
هـــــد بعـــــث المهـــــيمن الألفافــــــا؟
بـــــدأ الخلـــــق أولاً ثـــــم مـــــن بعـــــ
ـــــــد فنــــــاء أعـــــاده اســـــتئنافا
فاكـــشف الغـــين وافـــتح العـــين واقـــرأ
تلـــــق في كـــــل كـــــائنٍ "كـــــشافا"
إن حـــــق اليقـــــين في صـــــحف الكـــــو
ن كفـــاك "النَّظـــام"[١] و"العلَّافـــا"[٢]
لا تـــسائل "رسطالـــسا[٣]" عـــن هيـــولاه

(١) النظام: هو إبراهيم بن سيار، أحد علماء علم الكلام وفلاسفة هذا العلم. توفي سنة ٢٢٤هـ/٨٤٠م والجاحظ أحد تلامذته.
(٢) العلاف: شيخ البصريين في الاعتزال ومن أبرز علماء الكلام. توفي سنة ٢٢٧هـ..
(٣) رسطالساً: من أشهر فلاسفة اليونان، وهو معلم ومؤدب الاسكندر الأكبر، والشاعر يعني بذلك "أرسطو

ولا تـــــــستمع لـــــــه أوصـــــافا

ودع القـــــــــول بالتنـــــــــاهي وأن لا

تتنـــــاهى أجـــــــسامهم أطرافـــــا

ذاك مَــــرْتٌ تـــــسابقت فيـــــه أفكـــــا

رٌ إلى غـــــــير غايـــــــة إسرافـــــا

وإذا لم يغـــــــضّ مَـــــــن أرن المهـــــــــــ

ـــــــــر جـــــرى في جماحــــــه قـــــذافا

يتعـــــاطى الإنـــــسان مـــــا لـــــيس يعنيـــــه

ويلقـــــى مـــــن دونـــــه الأخوافـــــا

ويُحـــــــبُّ الخــــــلاف إلا إذا النفـــــــــــ

ـــــــس دعتـــــه فـــــلا يُحـــــبُّ الخلافـــــا

١٢. على الفلك

ســـبحان مـــن ســـلك الـــسبيل بعبـــدِهِ

في قفـــــــرة فيحـــــــاء ذاتِ فجـــــــاجِ

تـــسري بـــه الأنعـــام وهـــي بـــصيرة

بطريقـــــه في جـــــنح ليـــــل داجـــــي

والفلـــك ســـخَّرها لـــه تجـــري بـــه

كالـــسهمِ فـــوقَ تلاطُـــم الأمـــواج

طاليس".

حتـــــى يــــــتم مـــــــرادَه ويـــــــردَّه
مـــــن كــــل أنــــواع المهالـــــك نـــــاجي

وتحفـــــه الألطــــــاف وهـــــو بفعلـــــه
مــــع ذاك منـــــه للمثوبـــــة راجـــــي

١٣. في المدينة المنورة

رســـــول جـــاء بالبـــــشرى   وخِـــــــلِّي باللقــــــــا سُرا
ســــــخا بوصــــــاله طوعـــــاً   فكــــان المنيـــــة الكــــــبرى
وحيَّـــــــــاني فأحيــــــــاني   وأبــــــدل وحـــــــشتي سرًّا
وداواني فـــــــــــــــأبراني   وكـــــــان بعلتـــــــي أدرى
ثنـــــى لي قـــــدَّه غـــــصناً   وأطلــــع وجهـــــه بـــــدرا
ونظـــــمٌ مـــــن تَبـــــسُّمه   وحُـــــــسنُ كلامــــــه درا
وأبـــــدى مـــــن شــــمائله   ولطــــف دلالـــــه ســــحرا
فطــــاب بطيبـــــة وقتـــــي   وكانــــــت ليلتـــــي غـــرًّا
وبتنـــــا تــــــارة شــــفعا   وعنـــــد عناقـــــه وتـــــرا
وبحــــت لــــه بـــما أخفـــي   وبـــــاح بـــــسره جهـــــرا
وتهــــت بوصــــــله حتـــــى   ملكـــــت الـــــبرَّ والبحــــرا
"فقيــــــصر" قـــــاصرٌ دوني   وقــــدري خــــافض "كــــسرى"
وكـــــدت أنـــــال مـــــن شرفي   بكفـــــي الأنجــــم الزهـــــرا
وحـــــسبي وصــــله شرفـــاً   وحـــــسبي وصـــــله فخــــرا

بـــروض مـــن جنـــان الخلـــد كانـــت جنَّـــة صـــغرىٰ

غبـــار ترابهـــا يـــبري ويعـــدل تربهـــا التـــبرا

وطيـــب مـــن رســـول الله يكـــسو جوَّهـــا عطـــرا

بـــه ابتهجـــت ولاح ضـــيا ء طلعتـــه بهـــا فجـــرا

تـــبلَّج نـــوره فيهـــا ومبلـــغ أوجـــه ظهـــرا

ومنهـــا كـــان مطلعـــه وفيهـــا أســـبل الـــسترا

كـــأني إذ أودِّعـــــه أودع مهجتـــي قـــسرا

وأرســـل أدمعـــي بيـــضاً وأتبـــع بيـــضها حمـــرا

كَـــدُرٍّ أو كيـــاقوتٍ وأغـــلا مـــنهما قـــدرا

فيـــا عـــين أكففـــي دمعـــا ويـــا قلـــب ادَّرع صـــبرا

لعـــلَّ ليـاليـــاً ســـلفت ســـترجع مـــرة أخـــرىٰ

عليـــك صـــلاة ربـــك يـــا أجـــل عبـــاده طـــرا

وســـبطيه معـــا والآل مـــا ثغـــر الـــضُّحىٰ افـــترَّا

١٤. جل ربنا وعلا

جـــــلَّ ربنــــــا وعـــــــلا كـــــل شــــــأنه عجـــــبُ
ظـــــــاهر بــــــه ولـــــــه مـــــن ظهــــوره حجـــــبُ
مـــــن عظــــيم قدرتــــــه ســــخرّت لنـــــا الـــسُّحبُ
في الـــــــسماء أنـــــــشأها حــــــشو مائهـــــا لهـــــبُ
لا عــــــــماد يمـــــــسكها في الهــــــوا ولا طنـــــــبُ
كــــــل قطـــــرة ولهـــــا حـــــــافظ ومكتتـــــــبُ
إن ســــــقت لنـــــا بلـــــداً هـــــزَّه لهـــــا الطــــــربُ
والبحـــــــــار زاخـــــــرة كالجبــــــال تــــــضطربُ
تحمــــــل الـــــسفين لنـــــا فـــــوق موجـــــه تثـــــبُ
يــــــا قـــــديم لا زمــــنٌ قبلــــــه ولا ســــــببُ
يــــــا رحـــــيم رحمتــــــه لا يـــــــشوبها غـــــــضبُ
العبـــــــاد في تعـــــــب مـــــن عظـــيم مـــــا اكتـــسبوا
أعرضــــــــوا بجـــــــانبهم ســــــــاء مــــــنهم الأدبُ
عفــــــوك الـــــذي ألفـــــوا حلمـــــك الــــذي يجـــــبُ
ســــترك الحــــصين غـــــداً يـــــوم تنـــــشر الكتــــــبُ
بـــــــالرفيع منزلــــــــة يـــــوم ترفـــــع الرتـــــبُ
الـــــــصلاة تبلغـــــــه مــــــا تثنَّـــــت القـــــضبُ
بعـــــــــده قرابتـــــــــه والـــــــصحابة النُّجـــــــبُ

١٥. اشتدي أزمة تنفرجي

لـــذ بالأعتـــاب ولا تعـــجِ والـــزم بـــاب المـــولى تلـــجِ
لا تنـــزل حاجـــات الـــدارين بغـــير حمـــاه المنـــبهج
وإذا مـــا اشـــتد الأمـــر فقـــل اشـــتدي أزمـــة تنفرجـــي
والهـــج بالـــذكر فـــإن لـــه سرًّاً في توســـيع الحـــرج
واذكـــر "ذا النـــون" ودعوتـــه في بطـــن الـــسَّابح في اللجـــج
و"خليـــل" الله وقـــصته في شرح الـــصدر المنـــثلج
ألقَـــى الأســـباب وكثرتهـــا فأتـــاه الواحـــد بـــالفرج
ونجـــا "نـــوح" بهدايتـــه لركـــوب الفلـــك عـــلى الثـــبج
و"كلـــيم الله" ســـقى فـــدعا فأتـــاه الأمـــن فلـــم يهـــج
وكفـــى بـــالطُّهر وعترتـــه حججـــاً إن درت مـــع الحجـــج
فامـــدد كفيـــك إلى ملـــكٍ بيديـــه الخـــير ومنـــه يجـــي
فَتَـــقَ الأجـــواء وزيَّنهـــا بـــضياء الأنجـــم كالـــسرج
وأثـــار الـــسحب وأرســـلها مـــدداً لينـــابيع الخلـــج
وبهـــا الأرض اهتـــزَّت وربـــت وأتـــت بالنبـــت المـــزدوج
فلـــه فانـــصَبْ، ولـــه فارغـــب في كـــشف الهـــم المعـــتلج
يـــا ربَّ النـــاس ومـــالكهم عجِّـــل بالنـــصر وبـــالفرج
وأغـــث يـــا ربِّ عبـــادك مـــن عـــضَّات حـــدابير[1] اللجـــج
وأقـــم بالـــشرع أمـــورهم مـــن زيـــغ الباطـــل والعـــوج
وأقـــل عبـــداً مـــن عثرتـــه نـــاداك بقلـــب منـــزعج
وعـــلى المختـــار وعترتـــه صـــلوات طيِّبـــة الأرج

---

(١) الحدبار: بالكسر الناقة الضامرة والسنة الجدبة. ج حدابير.

١٦. قصة حجَّ ولده إسماعيل

شـــكراً لمـــن مـــنَّ بوصـــل الحبيـــب
وعـــوده مـــن بعـــد طـــول المغيـــب
وبعـــــد مـــــا بلَّغـــــه كـــــلَّ مـــــا
يأملـــــه وهـــــو الكـــــريم الحـــــسيب
إذ خـــاض لـــجَّ البحـــر لم يخـــش مـــن
هـــول اضـــطراب ومقـــام عـــصيب
وفـــــارق الأحبـــــاب لم يثنـــــه
حُسَـــنُ زمـــان ومكـــان وطـــيب
بهمَّـــــة تـــــسموا إلى غايـــــةٍ
مـــن دونهـــا يقـــصر شـــأو النجيـــب
حتـــى أتـــى البيـــت لـــه محُرمـــاً
ملازمـــاً هـــدي الأديـــب الأريـــب
فطـــاف ســـبعاً حولـــه ذاكـــراً
واســـتلم الـــركن بقلـــب منيـــب
وبعـــد صـــلَّى في المقـــام الـــذي
لله فيـــــه أي سرٍّ عجيـــــب
وســـفَّ مـــن زمـــزم مـــاء التقـــى
تـــضلعاً يـــشفي فـــؤاد الكئيـــب

وخـــــب في مروتـــــه والـــــصفا
تأســـياً منـــه بفعــــل الحبيـــب
وســـار للموقـــف لـمَّـــا دعـــي
لــــه فلبـــاه فـــنعم المجيـــب
فظَّــــــل في موقفــــــه داعيــــــاً
لربِّـــه وهـــو المجيـــب القريـــب
وبـــات بالمـــشعر مستـــشعراً
عـــزَّ المباهـــاة وذلَّ الغريـــب
ويـــوم عيـــد النحـــر وافى منـــى
مجمـــلاً في بـــرد عفـــوٍ قـــشيب
ثـــم رمـــى الـــشيطان لمـــا رمـــى
كـــما رمـــى الـــشيطان نجـــم مـــصيب
ثـــم قـــضى أوطـــاره وانثنـــى
يـــودِّع البيـــت وداع الحبيـــب
ذلـــك فـــضل الله يؤتيـــه مـــن
شـــاء وراجـــي عفـــوه لا يخيـــب

١٧. ظلمت نفسي

إني فقـــــير حقـــــير إلى غنـــــيٍّ كبـــــير
خلقـــت عبـــداً ضـــعيفاً مـــولاي ربي القـــدير
ســـميت عبـــداً كفـــورا لفـــضل ربٍّ شـــكور

وإن أســـــأت فظنـــــي عفـــو الــــرحيم الغفـــور
كـــما بـــراني عجـــولاً ســــبحانه مـــن صـــبور
ظلمـــت نفـــسي بجهـــلي عـــدل الحلـــيم الخبـــير

١٨. دمعة أخوة(١)

حننـــت عـــلى فـــراق أخـــي حنـــين الأنيـــق النَّيـــب
ومـــن كـــأخي فـــإن أخـــي فتـــى الفتيـــان والـــشَّيب
فتـــى كملـــت خلائقـــه فطابـــت منتهـــى الطِّيـــب
فـــضاهى في بنـــي "إســـحاق" "يوســـف" آل "يعقـــوب
قـــضى فَرقـــاً بـــلا فـــرقٍ وصأصـــأ كـــل محجـــوب
تـــوَّحش إذ توحَّـــد في ســـبيل غـــير مـــسروب
ســـبيل كـــان يـــسلكه عـــلى صـــهوات يعبـــوب
ســـبوق دون شـــق غبـــاره قـــرع الطنابيـــب
فلـــم يـــأنس بمـــأنوس ولم يرغـــب لمرغـــوب
أجـــلَّ محاســـن الـــدنيا لديـــه أقـــل مـــصحوب
عـــصامك ربَّنـــا الـــشجٍ لـــه زفـــرات مكـــروب
فـــشدَّ عـــلى حـــشاشته بـــصبر غـــير محـــسوب

---

(١) قالها يرثي أخاه العلامة أحمد بن عبد الكريم إسحاق سنة ١٢٢٢هـ.

١٩. تبارك الله[1]

تبــــارك الله كـــــلٌّ دونـــــه فــــاني
ووجـــهُ ربِّـــك بـــاق مالـــه ثـــاني
مـــن ذا الـــذي صرفـــت عنـــه وقايتـــه
كـــأس المنـــون بأنـــصار وأعـــوان؟
أيـــن الملـــوك الألى شـــادوا القـــصور علـــى
سـامي الـصخور وأيـن القـصر والبـاني؟
يمـــرُّ يـــوم ويـــأتي ليلـــه تبعـــاً
ويحـــدث الله يومـــاً بعـــده ثـــاني
فيُبليـــانِ عـــلى طـــول اخـــتلافهما
مـــا فـــيهما وهمـــا فيـــه جديـــدان
فـــما التنـــافس في أهـــل وفي ولـــد؟
ومـــا التكـــاثر في مـــال وبنيـــان؟
لـــيعلم المـــرء أنَّ الـــدار دار فنـــاً
ويـــستعد لمـــا يُمنـــي لـــه المـــاني
ويجعـــل الـــصبر زاداً والتقـــى عتـــداً
لحـــشره فهـــما نعـــم القرينـــان
مـــضى الهـــمام الـــذي كانـــت مواهبـــه
كـــصيِّب مـــن خـــلال المـــزن هتَّـــان

(١) قالها يرثي السيد محمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم المهدي صاحب المواهب سنة ١٢٤١هـ ،انظر التعريف به في (نيل الوطر) للعلامة زبارة. ج٢ ص ٢٨٩.

عِــزَّ الأنــام ســليل الأكــرمين ومــن
ســادوا الكــرام بأفــضال وإحــسان
أعــدى نــدى كفِّــه عينــي فــما بخلــت
بــدرّ دمعــي ولا ضــنّت[1] بمرجــان
لــو كــان يُفــدى فــديناه وحــقَّ لــه
بـما عـلى الأرض مـن إنـس ومـن جـان
فرحمــة الله تغــشاه وتنزلــه
بجنــة الخلــد في روح وريحــان
وأودعَ الله مــا أولاه مــن خُلــق
بنجلــه ليكونــا فيــه ســيان
حتــى يقــول جميــع النــاس أيّهــما
كــان المــبرَّز في ســبق بميــدان؟
فــإن أراد مجيــب أن يــنصَّ عــلى
ذي الــسَّبق عــنَّ لــه رأي إلى الثــاني

٢٠. قُطِفت زهرتي

كنــت أخــشى عليــك يــا قــرة العيــ
ــن مــن الــشمس أو مــن الأنــواء
وأخــاف الأذى مــن النــاس إن حــا
نــت وفــاتي وأنــت في الأحيــاء

(١) في نسخة: ولا جاءت

عجبـــــاً للفـــــؤاد لم يتـــــصدع
حــــين أنَّـــت مــــن شــــدة البرحــــاء
عجبــــاً لي كيـــف اســـتقر فـــؤادي
مــــن ســــماع الأنـــين في أحـــشائي
قطفـــت زهـــرتي التـــي كنـــت أنـــسى
حــــين اشـــتمَّها جميـــع عنـــائي
قطفـــت زهـــرتي التـــي هـــي أنـــسي
وحيــــاتي في بكـــــرتي ومـــــسائي
قطفـــت بـــالمهات ريحانـــة القلـــب
التـــــي ريحهـــــا دواء لـــــدائي
وإذا مـــا ســـمعت منطقهـــا الحلـــــ
ـــــو وتبـــديل دالهـــا باليــــاء
فكـــأنِّي ســـمعت نغمـــة داؤود
ودســـت الرحيـــق في أعـــضائي
غـــير أني أبـــثَّ مـــا بي مـــن الحـــــ
ـــزن عليهـــا إلى بـــديع الـــسماء
راجيـــاً مـــن نوالـــه الجـــم "بيـــت الحمـــد"
في الخلـــد أن يكــــون جزائــــي
فلـــه الحمـــد والثنـــاء علـــى مـــا
قـــد قـــضاه مـــن نعمـــة وبـــلاء
حمـــد مـــسترجع وإن مـــسَّه الـــســـ
ـــوء وراض بأخـــذه والعطـــاء
وبكـــائي علـــى المـــصاب وحـــزني
رحمـــــة في جبلَّــــة الـــضعفاء

علِـــــم الله كونهـــــا فعفـــــا عنـــــــ
ـــــــها وكـــــان الـــــرحيم بالرحمـــــاء

٢١. دموع الصداقة[١]

ضـــاق صـــدري وعيـــل مكنـــون صـــبري
ورمــــــاني بأســــــهم البـــــين دهــــــري
مــــات مــــن كــــان في المــــسرَّة والبــــؤ
س شريكـــي في حـــال عـــسري ويـــسري
مـــات مـــن كـــان إن ســـعت نـــوب الدَّهــــ
ـــــــر وقـــــاني عنهـــــا بـــــصدر ونحـــــر
مــــات مــــن لــــو أني وزنــــت بــــه النــــا
س جميعـــــاً مـــــا وازنـــــوه بعـــــشر
مــــات مــــن كنــــت أصــــطفيه وللــــدهر
خطـــــوب تـــــشوب حلـــــواً بمـــــر
لم يكـــــدِّر صـــــفاه بعـــــد ولا شـــــا
ب وفـــــاه صـــــد ولا طـــــول هجـــــر
بـــــرَّد الله مـــــضجعاً هـــــو فيـــــه
وجـــــزاه عنـــــي بحمـــــد وشـــــكر
وأعـــــاذ الإلـــــه أولاده مـــــن
كـــلِّ شرٍّ ومـــن حـــسود ومغـــري

---

(١) قالها يرثي صديقه الفقيه حسن بن علي معوضة سنة ١٢٥٨هـ.

٢٢. جواب تعزية[١]

حفظــت لــذات الفــضل عهــداً مــضيعا
وشــيدت لــلآداب بيتــاً مزعزعــا
بكيــت عــلى شــمس الهــدى إذ تغيَّبــت
ونحــت عــلى جــسم العــلا إذ تمزَّعــا
ومــن أخلــصت مــن طينــة الفــضل ذاتــه
ســمت نفــسه للمخلــصين تطلعــا
ونــاح عــلى أحبابــه غــير كــاتم
وبــاح بمكنــون الــشكاية موجعــا
إذا قــرَّ عينــاً بالوصــال عــشيَّة
أســال بــه عنــد التفــرُّق أدمعــا
لكــل اجــتماع مــن خليلــين فرقــة
كــأنهما لم يــسهرا ليلــة معــا
ووالله لا أنــسى شــهيداً رزئتــه
بحصن "وُصاب" ما أجبت لمن دعا
همامــاً كــريماً ناســكاً متهجــداً
رؤوفــاً رحــيماً مؤمنــاً متخــشعا
وأقــسم لــولا عــصمة الله أمــسكت
عــلى القلــب مــن حــزن إذاً لتــصدعا

---

(١) قالها عندما اطلع على مرثاه لوالده السيد عبد الكريم للعلامة السيد عبد الحميد بن علي أبو طالب، ترجم له المؤرخ محمد زبارة في (نيل الوطر) ج٢ ص ٢٢، ووفاته تقريباً سنة ١٢٦٦هـ.

فـــإن صـــعدت أبياتـــك الغـــرَّ زفـــرة
لهـــا كبـــدي قـــد أوشـــكت أن تقطعـــا
لقـــد مـــلأت قلبـــي عـــزاء وآذنـــت
بـــأنَّ لمفقـــود الفـــضائل مرجعـــا
وأن زمانـــا أنـــت مـــن بعـــض أهلـــه
لمطَّلـــع في ذروة المجـــد[1] مطلعـــا
ولـــو أنـــه مستـــشفعٌ لخطيئـــةٍ
لكـــان بـــما أولاه منـــك مـــشفعا
فـــلا زلـــت للعلـــم الـــشريف وللتقـــى
وللمجـــد والعليـــاء عينـــاً ومـــسمعا

٢٣. تسبيح وابتهال

جنـــاب لا يـــرام ولا ينـــال ... ومجـــدٌ لا يـــزول ولا يـــزالُ
وحـــسن تـــدهش الأبـــصار فيـــه ... فيحجبهـــا عـــن النظـــر الجـــلال
وملـــك لا يحـــيط بـــه زمـــان ... فيخـــشى في نهايتـــه الـــزوال
ونـــور تـــستمدّ الـــشمس منـــه ... تعـــالى أن يكيِّفـــه مثـــال
تـــسابقت العقـــول إلى مـــداه ... وعـــادت لا يحـــل لهـــا عقـــال
عنـــت لخطابـــه الأشـــياء فكانـــت ... وكـــان لأمـــره منهـــا امتثـــال
فـــدارت باســـمه الأفـــلاك طوعـــاً ... بـــلا ملـــلٍ كـــما رســـت الجبـــال

(١) في نسخة: الفخر.

وأرسـلت الـسماء بـه عيونـاً تـداهقها لنـا الـسحب الثقـال

وأجـوى بالنبـات الأرض جـوداً لنـا منهـا غنـى ولهـا جمـال

فطـور العقـل تـسبيح وحمـد يـصاحبه دعـاء وابتهـال

فهـب يـا ربِّ مـن نفـسي لنفـسي تقـى يزكـو بـه منهـا الفعـال

وصن باليسر وجهـي عـن سـؤالٍ وجـاهي أن يكـون لـه ابتـذال

وصلِّ عـلى الـدليل إليـك "طـه" صـلاة لا يحـيط بهـا المقـال

٢٤. حنين الشوق

أذم لكـم صـبري الـذي خـان موثقـا
وكنـت بـه منـي بـدهري أوثقـا

أردت بـه يـوم الفـراق تجمّـلاً
فـلما التفـت المحـزون حتـى تمزَّقـا

سـلام عـلى روح الأصـائل بعـدكم
وريـح تباشـير الـصباح مُحلّقـا

سـلام امـرئ لم تبـق منـه بقيـة
مـن العـيش إلا لوعـة وتـشوُّقا

إذا رنّقـت في عينـه سـنة الكـرى
أطـاف بهـا طيـف الجـوى فتقلّقـا

وإن شرب المـاء الـزُّلال وعـاده
ادِّكـار الهـوى عـاد الأجـاج المرنَّقـا

وأمــا المغــاني والريــاض التــي زهــت
بكـــم فَنَــضَتْ عنهـــا جمـــالاً ورونقـــا
فـــلا الطــائر الغرِّيــد في الــدوح مــازجٌ
كعهـــدكم ســـجعاً ولا الـــدوح مونقـــا
ســـقى الله دهـــراً في (وصـــاب) قطعتـــه
وعيـــشاً مـــضى في (دن) [1] نعـــمان ريِّقـــا
شربـــت بـــه كـــأس النعـــيم مـــصفقاً
وفـــاخرت خرطـــوم المـــدام مروِّقـــا
ومـــاكرت في ورد الخـــدود تـــسلقاً
وخادعـــت في درِّ الثغـــور تـــسرّقا
فـــما تركـــت نفـــسي مـــن العـــيش لـــذة
ســـوى مـــا نهـــت عنـــه الـــشمائل والتقـــى
إذا ذكرتـــه الـــنفس يومـــاً تـــصعدت
غرامـــاً وكـــادت أن تـــذوب وتزهقـــا
عـــسى ولعـــل الله يرجـــع مـــا مـــضى
ويجمـــع منَّـــا شـــملنا المتفرقـــا

(١) دن نعمان: اسم جبل شاهق في وصاب.

٢٥. نصيحة للحاكم[١]

مــولاي إن مــدار أمــرك كلّــه ... ومــلاك شــأنك دقّــه أو جلّــه
إصلاح نيتك التي هي مركب ... للمــرء تبلغــه نهايــة فعلــه
فـاعلم وقيـت مـن المكـاره كلّها ... وسقيت من غيث النعيم ووبلـه
إنَّ الـذي خلـق الخلائـق كلهـا ... أعطـاك كـلَّ فـضيلة مـن فـضله
ورعاك واسترعاك في هـذا الـورى ... لتكــون عنــه خليفــة في عدلــه
فاسلك بهم سبل السَّداد وربِّهم ... بالعــدل تربيــة الكبــير لطفلــه
لتكـون سـابع سـبعة قـد خـصَّهم ... ذو العـرش في يـوم المعـاد بظلـه
وانظـر لتوليـة الأمـور مكمَّـلاً ... فـإذا وقعـت علـى الخبـير فولِّـه
واستلذ من شـهدت مخايـل سـمته ... بـصلاح سـيرته وغايـة نبلـه
فـافتح لـه بـاب المشورة مـصغياً ... لكلامــه لــترى إصــابة نبلــه
واخضع لعزَّة ذي الجلال تواضعاً ... فالعبــد غايــة عــزِّه في ذلِّــه
واســتبق نعمتــه بطاعــة أمــره ... وتــوق نقمتــه بجهــدك كلِّــه
فـإذا صـلحت فـأمر بابـك صـالحٌ ... والله يوليــك الجميــل بمثلــه
ولأنــت أجــدر بالمكــارم كلهــا ... إذ كنت من أصل الفخـار وفـصله
واســمع نــصيحة بــالغ في قولــه ... حــدّ الكــمال مقــصراً في فعلــه
جعل النصيحة منـه أصـدق شـاهدٍ ... بــــوداده ومنــــوّه بمحلــــه
فــأتي بهــا ولعــل عــين عنايــة ... تهـب القبـول لهـا بـأعظم سـؤله

(١) هو الإمام المهدي عبد الله بن الإمام المتوكل أحمد، ولد سنة ١٢٠٨هـ وبويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة ١٢٣١هـ، توفي سنة ١٢٥١هـ. انظر: (البدر الطالع) ج١ ص٣٧٦، و(نيل الوطر) ج١ ص ٦٤، وكتاب الدكتور حسين العمري (مائة عام من تاريخ اليمن).

٢٦. تحية

شـــاق الفـــؤاد إلى تهامـــه بـــرق تـــألق في غمامـــة
شـــــوقاً إلى ذاك الحـــــما شـــوق الـــسقيم إلى الـــسلامة
حلـــت بـــه نعـــم الكـــريم وصـــافحته يـــد الكرامـــة
وأطـــال هتـــان الحيـــا لوجـــوه ترتبهـــا التثامـــه
حتـــــــى أرى ذاك الأرا ك مُطنَّبـــاً فيهـــا خيامـــه
والطلـــــع في أكمامـــــه ككميِّهـــا المرخـــي لثامـــه
وشـــقيقها كلوائـــه المنـــصو ر منشـــــوراً أمامـــــه
لأجـــلِّ مـــن رفـــع اللـــوا ء وخـــير مـــن وضـــع العمامـــة
وأرى الـــسيول كجيـــشه والـــسُّحب مـــشبهة قتامـــه
والـــبرق يحكـــي رمحـــه يـــوم الكريهـــة أو حـــسامه
والقطـــــر في غـــــدرانها كـــسهامه في ظهـــر لامـــه
يـــا راكبـــاً صرف النـــزوع إلى مواطنهـــــا اهتمامـــــه
بلِّـــغ إلى تلـــك المنـــا زل مـــن محبِّهـــا ســـلامة
وإذا ســـئلت عـــن المُحـــب فـــصف لـــساكنها غرامـــه
قـــل: مغـــرم أبقـــى الغـــ ـــرام دموعـــه ونفـــى منامـــه
ســـكران مـــن كـــأس الهـــوى والـــودِّ لا كـــأس المدامـــة
لا الـــروض يـــصرف ودَّه عـــنكم ولا ســـجع الحمامـــة
أخبـــاركم ريحانـــه يزهـــي مكررهـــا مقامـــه
لله ســـفح حجبـــت ســـمر القنـــا عنـــي بـــشامة
وحمـــت حمـــاة فـــوارس شرعـــت أســـنتها حرامـــه

إن لم أزره فخـــــــــــاطري يطفـــــي تـــــذكره أوامـــــه
وعليـــــه خـــــير تحيــــة حاكـــا معطِّرهـــا خزامـــه

٢٧. رسالة وداع

خلـــــيلي لا أخــــلى لــــك الله منــــزلا
ولا ريـــع يومـــاً منـــك لحـــظ المـــشوَّق
لقــد كــان حظــي منــك في الوصــل غــرة
تـــضيء كـــضوء البـــارق المتـــألق
وســـحر جمـــال مـــن جلالـــك بـــاهر
يتيــــه بلحــــظ النـــاظر المتعمــــق
وخلقـــاً كهـــذا الـــروض حـــسناً وبهجـــة
ونظـــماً كـــنظم اللؤلـــؤ المتنـــسَّق
وثاقــــب رأي في الحـــوادث صـــائب
يفتِّـــق أجـــزاء الـــصَّميم المرتَّـــق
فـــإن تمـــض مـــصحوباً بخـــير ونعمـــة
فـــذلك حظـــي منـــك عنـــد التفـــرُّق
فـــزوَّدك الـــرحمن زاداً مـــن التقـــوى
وحاطـــك مـــن كـــل الـــشرور بخنـــدق
ولا زلـــت محمـــولاً عـــلى ظهـــر نعمـــةٍ
تبلِّغـــك المـــأمول غـــير معـــوِّق
وعـــدت إلينـــا عـــاجلاً في ســـلامةٍ
إيـــاب الحبيـــب النـــازح المتـــشوق

٢٨. ليت شعري أي عذر؟

ليــت شــعري ليــت شــعري أي عـــــذر أي عـــــذر
لـــــك يــــا غايـــة مطلـــوبي ويـــا مالـــك أمـــري
حـــين أرتــــاح لـــراحِ دائـــــرٍ في كـــــأس در
أو لألحــــان تــــألفن عــــلى أغـــزل شـــعر
أو لــــورق صــــادحاتٍ بــــين أنهـــار وزهـــر
قطـــع الـــروض ســـجاياك لهـــا مـــا عـــشت شـــكري
وحـــديث منـــك بالليـــل "زبيـــب" بعـــد عـــصر
فـــإذا زرت فـــما غـــاب ســـوى لبـــي وفكـــري
وإذا غبـــت تـــذكرت وهـــل ينفـــع ذكـــري
يـــا ســـقى الله زمانـــاً لم يـــشب حلـــواً بمـــرِّ
ورعـــى عهـــد ليـــالٍ بنظـــام الـــشمل غـــرِّ
آه مـــن دهـــري قلَّـــت حيلتـــي فيـــه وصـــبري
كلَّـــما سرَّ بوصـــل ســـاءني منـــك بهجـــر
أبـــدل العـــين بـــدمعٍ مثـــل مـــاء المـــزن يجـــري
وأداوي القلـــب مـــن بـــرد تلاقينـــــا بجمـــــر
فـــإذا العـــين تمنَّـــي قبـــساً مـــن نـــار ذكـــري
ويـــوَّد القلـــب منهـــا قطـــرة مـــن فـــيض بحـــر
لـــيس إلا بوصـــالٍ منـــك يـــا شمـــسي وبـــدري
يرفـــع الأيـــن مـــن البـــين بجـــبر بعـــد كـــسر

٢٩. يا من تملك حسنه

غنــت عــلى الأرواق شــدوا ورقُ الحــمام فهجــن شــجوا
وفهمــت مــا هــدرت بــه في الــدَّوح تــصريحاً وفحــوى
فــاشرب عــلى ذكــر الحبيــب عقــار هــذا الكــأس صــفوا
واشــكر نــسيم خميلــة حملــت شــذاه إليــك عفــوا
واســحب عــلى هــام المجــرَّة ذيــل تيهــك وامــش زهــوا
وإذا فخــرت عــلى النجــوم بــه فــما أبعــدت دعــوى
يــا مــن تملــك حــسنه قلبــي العميــد وكــان خلــوا
إني أعــذَّب في هــواك فــأطعم التعــذيب حلــوا
إلا الفــراق فــما أظــن عليــه هــذا الــروح يقــوى
يــا راحلــين ومهجتــي أبــداً لكــم مــأوى ومثــوى
قلبــي عــلى مــا تعهــدون يــوَّد قــربكم ويهــوى
وإذا حَلفــتُ بأنــه معكــم فــما أقــسمت لغــوا
عــودوا تعــد أيامنــا الــلاتي مــضت ضــحكاً ولهــوا
فالــصبر أقــصر مــدة مــن موعــدٍ للوصــل يلــوى
والــنفس لا تقــوى وقــد ضَــمِيَتْ بقــول عنــك يُــروى

٣٠. يا نسيماً[1]

يــا نــسيماً قــد سرت مهــلا نقعــت أنفاســها غُلــلا
وردت صــنعاء موهنَــةً فاكتــست مــن جوِّهــا حلــلا
وتلــوَّت واختبــت وبــدت بــين أكــمام لهــم ومــلا

(١) أرسلها إلى السيد العلامة إبراهيم بن محمد بن إسحاق من وصاب.

وأتـت صـبحاً "وصـاب" وقـد حملـت مـن طيـبهم مـثلا

هـا قفـي لي يـا نـسيم كـما يـتملّى رائـثٌ عجـلا

بـك أستـشفي فيـا عجبـاً لعليـل قـد شـفى علـلا

خبرينـي عـنهم فلقـد منعـوني الكتـب والرسـلا

هـل زهـت أعنـاب روضـتهم وتـدلّى كرمهـا وحـلا؟

هـل بهـا غنـى الهـزار؟ وهـل رقـصت أغـصانها جـذلا؟

وخِبـان البـير مـا صـنعت يـا سـقاها وابـلاً هطـلا

هـل جـرت فيهـا العيـون وهـل رقَّ فيهـا الجـوُّ واعتـدلا؟

وأقـاحي الزهـر هـل ضـحكت قِحـة والـورد هـل خجـلا؟

هكـذا قـد كنـت أعهـدها لـست أنـسى عيـشها الخضلا

تلـك أوطـاني نـشأت بهـا ولبـست العمـر مقتـبلا

وشربـت الـصفو مـن زمـنٍ لا أرى الـدنيا بـه بـدلا

حـين يجفـوني فأعطفـه رشـأ كالبـدر مكـتملا

في تثنيـه ومقلتـه قـد رأيـت البـيض والأسـلا

عـذلي في حبِّـه تعـب سـبقت ألحاظـه العـذلا

يـا محـلِّي لـست أول مـن تحـت ظـل الـسيف قـد قـتلا

آه منـه غـاب عـن نظـري فأقـام الـسهد وارتحـلا

شـحَّ حتـى بالتحيـة في بِطـن رق بئـسما فعـلا

أعـلى مـثلي يـشح ؟وفي كفـه روحـي إذا قـبلا

ليتـه عـن جـود صـارمنا الفـذ (إبـراهيم) قـد سـألا

الـــــذي في بحـــــر نائلــــه بيديـــــه أغـــــرق الأمــــلا
والـــذي يـــولي بــــلا عـــدة والـــذي يعطـــي ومـــا سُـــئلا
ذاك يــــدري أنهــــا خلقـــت نفـــــــسه للارتقــــــــاء إلى
فهــــو لا ينفــــك مرتقيــــاً رتبــــاً فـــوق الـــسِّماك عـــلا
شـــغل النـــاسَ الزمـــانُ ومـــا هــــو إلا بــــالعلى شــــغلا
خــــصَّه الله الــــسلام بأســــنى ســــلام مــــا قــــرا وتــــلا

٣١. تحية للجيلاني(١)

ثنـــا الـــبرق رمحـــاً في الـــسما وتألَّقـــا
فـــشقق أكنـــاف الـــسحاب ومزَّقـــا
وســـارت جيـــوش الـــسحب تحـــت لوائـــه
وهيـــنم صـــوت الرعـــد في الجـــوِّ محنقـــا
فـــسلَّت عليــــه الأرض ســـيف خليجهـــا
وخاطـــت مـــن الغـــدران درعـــاً محلقـــا
وقـــام لـــركض الـــريح نقـــعٌ وأشرعـــت
أســـنة أغـــصان بهـــا البـــأس يتقـــى
فلـــما تجلَّـــت عـــنهما حومـــة الـــوغى
ولـــلصلح مـــن بعـــد التحـــاجز وفقـــا

(١) **قال جامع الديوان:** في سنة ١٢٣٦هـ وصل إلى صنعاء السيد حسين البغدادي الجيلاني الحسيني ويتصل نسبه بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وكانت له معرفة في شتى العلوم الحكمية طبيعيها ورياضيّها وإلهيّها، وله في الطب يد طولى وإتقان تام في معرفة النبض مع لطف طباع، وحسن سمت، واطلاع على أصول الفقه وفروعه، وعلم الحديث، وله سليقة عجيبة في الشعر، وقد حياه صاحب الديوان عند قدومه بقوله.

تـــضاحكت الأزهـــار أمنـــاً وبهجـــة
وأبـــدت سروراً بالوفـــاق ورونقـــا
وألبـــست الأغـــصان حلـــة سـنـدسٍ
وزيَّنـــت الآفـــاق غربـــاً ومـــشرقا
كـــأن لهـــا علـــماً بـــإشراق طلعـــة الحـسيـ
ـــن علينـــا فهـــي تـــزدان للقـــا
كـــريم رأى وصـــف الكـــمال مفرقـــاً
فجمـــع مـــن أوصـــافه مـــا تفرقـــا
تمكـــن في بحبوحـــة المجـــد أصـــله
فطـــال ســـمواً في الـــسماء وأورقـــا
أديـــب إذا هـــزَّ الـــيراع بنانـــه
تـــساقط مـــن أقلامـــه الـــدرُّ مونقـــا
حكـــيم إذا نـــال الـــسقيم دواؤه
ينـــال مـــن الله الـــشفاء المحققـــا
كـــأن لديـــه للأنامـــل مـــسمعاً
تعلَّـــم مـــن نـــبض الـــشرايين منطقـــا
ريـــاضيٌّ خلـــق والريـــاضي فنـــه
أحـــاط بـــه كـــماً وكيفـــاً وحققَّـــا
لطيـــف لـــه علـــم الكـــلام سـليقة
إذا مـــا تعاطـــاه ســـواه تخلَّقـــا

إلهـــيُّ أفكـــار طبيعـــيُّ عفـــةٍ
تـــسربل سربـــال المكـــارم والتُّقـــى
فـــأهلاً بـــدهرٍ قـــد قـــضى الله جمعنـــا
بـــه ورأينـــا بـــدره فيـــه مـــشرقا
ولا زال محفـــوف بأســـنى تحيَّـــة
وأزكـــى ســـلام ثابـــت العـــز والنَّقـــا

٣٢. حنين إلى صنعاء(١)

أناسٍ مـن هجـرت مـن الأنـاس ... وراضٍ بالكثيـب عـن الـرواسي؟
واسـأل عـن مقيلـك تحـت ظـلٍ ... ذكـي العـرف مـن وردٍ وآس؟
يـدار عليـك فيـه المـاء عـذباً ... فتـسقى منـه كأسـاً بعـد كـاس
بـــلى والله لـــولا أن بيتـــاً ... "بيكـة" نحـوه أسـعى بـراسي
وقـبراً قـد تـضمن خـير ميـتٍ ... وأكـرم مـن تزَّمـل في لبـاس
لمـا اسـتبدلت عـن ظـل حـرورا ... ولا اسـتغنيت عـن نـاس بنـاس
معـــاذ الله أن أنـــسى ولكـــن ... أسـلِّي الـنفس عـنهم بالتنـاسي
عـــلى أني لأرجـــو الله قربـــاً ... ووصـلاً عـاجلاً مـن بعـد يـاس

٣٣. يا خليلي قد مللت الجبال

يـــا خلـــيلي قـــد مللـــت الجبـــالا
فـــانزلا لا أحـــب أن أتعـــالى

(١) قالها الشاعر وهو في تهامة عندما تعذر عليه السفر للحج.

وتعـــالوا بنـــا نـــذلَّ لمـــن عـــزَّ

فمــــن ذل للعزيـــــز تعـــــالى

ربـــما أثمـــر الهبـــوط صـــعوداً

كانتقـــاصٍ للبـــدر عـــاد كـــمالا

جاءهـــا الـــنقص وهـــي بـــدر تمـــام

فترقـــت إلى الكـــمال هـــلالا

فاســـم للعـــزِّ ضـــالعاً وضـــليعا

وتنقـــل في الـــسير حـــالا فحـــالا

لا تقـــل نُـــصبت ســـهام المعـــالي

ربـــما حُـــزت عـــشرها أمثـــالا

واغتـــنم مـــن معـــارك الجـــد جِـــداً

واقتـــنص مـــن شـــوارد الآل آلا

٣٤. كؤوس الوصل[١]

قـــد قـــضينا مـــن زيـــارتكم بعـــض حـــقٍ للهـــوىٰ وجبـــا
وتـــــساقينا عـــــلىٰ ظمـــــأ مـــن كـــؤوس الوصـــل مـــا عـــذبا
زادني شربي لهـــــــا عطـــــــشا وهـــــي سلـــــسالي فواعجبـــــا
كلـــــما دارت عـــــلىٰ خلـــــدي هـــــزَّني تـــــذكارها طربـــــا
أومـــضت كـــالبرق ثـــم مـــضت فاســـتهلَّت عـــبرتي ســـحبا
ليتهـــــا دامـــــت وأيّ منـــــىٰ مـــن لذيـــذ العـــيش مـــا ذهبـــا؟
إن ســـلا عنهـــا الفـــؤاد فـــلا نـــال مـــن عـــود لهـــا أربـــا
كيـــف أنـــساها وقـــد عقـــدت مـــن أواخـــي ودِّهـــا ســـببا؟
في قـــصور كـــالبروج علـــت بعـــلا ســـكانها رتبـــا
لا نـــــآىٰ عنهـــــا الـــــسرور ولا لقيـــت مـــن حـــادث وصـــبا
بـــين إخـــوان وجـــدتهم خـــير مـــن يمـــشي ومـــن ركبـــا
أنجـــم ضـــاءت وجـــوههم في مراقـــي أوجهـــا حـــسبا
إن ســـعت جـــنَّ العـــدا ســـفهاً نحـــوهم كـــانوا لهـــا شـــهبا
وإذا ضـــــيف ألم بهـــــم زار أهـــــلاً واصـــطفىٰ أدبـــا
حملـــت منـــي الـــسلام لهـــم كلـــما هبَّـــت نـــسيم صـــبا

---

(١) استدعاه بعض سادة كوكبان لزيارتها في سنة ١٢٣٧هـ ولما عاد إلىٰ "صنعاء" كتب إلىٰ السيد عبد الله بـن أحمـد هذه القصيدة.

٣٥. للنرجس أعين

مـــولاي إلى متـــى التنـــائي   قـد طـال وكـم أكـون صـابر؟[١]
لي منـــك كـــما علمـــت وعـــد   هـــل أنـــت لمـــا وعـــدت ذاكـــر؟
قلـــتم سيـــضمنا ربيـــع   قـــد مـــرَّ وذا جمـــاد آخـــر
والوعـــد وفـــاه منـــك حـــتم   فالـــشرع بـــذاك خـــير آمـــر
للنـــرجس أعـــين ســـواج   لا تـــبرح للّقـــاء نـــواظر
قـــد مـــس جفونـــه اصـــفرار   إذ كـــان لوصـــلكم منـــاظر
في قطعـــك للفـــلاة وصـــل   بـــالقطع فـــلا أراك حـــاسر
فالوقـــت كـــما تريـــد زاه   والـــروض كـــما تحـــب زاهـــر
والـــصبُّ كـــما عهـــدت وافٍ   والـــشوق كـــما علمـــت وافـــر
والقلـــب إلى لقـــاك صـــاب   والليـــل كـــما يقـــال كـــافر
فـــالبس حلـــك الظـــلام درعـــاً   قـــد زيَّـــن سرده الزواهـــر
واركـــب متـــسربلاً بـــروداً   حاكـــت بـــسوادها الغـــدائر
تحمـــد تعـــب الـــسُّرى صـــباحاً   لا زلـــت بـــما تـــروم ظـــافر[٢]

---

(١) هو السيد الحسن بن عبدالرحمن (من كوكبان).
(٢) هذا بحر شعري جديد.

٣٦. شكوى وشوق

يــا خلــيلي قــد مللــت الــشعابا وغياضـــاً يغتـــشين الهـــضابا
وعيونـــاً خلـــتهن الأفـــاعي روعـــة تنـــساب فيهـــا انـــسيابا
لـــست حوتـــاً بيتـــه لجـــة المـــا ء فـــلا يـــبرح عنهـــا انـــسرابا
في جبـــال أرتقيهـــا ذهابـــاً ثـــم أثنـــي العـــزم عنهـــا إيابـــا
فكـــأني قـــافر لـــشريدٍ فـــصعوداً مـــرَّة وانـــصبابا
عرجـــا بي بعـــض يـــوم عـــلى الروضـــة ألقـــى جـــيرة وصـــحابا
وهـــوى رق وأرض موطـــأة ومـــاء يـــستقل انتـــصابا
نفحـــة مـــن ريحهـــا تطّبينـــي وحـــساً فيهـــا يـــروق شرابـــا
حيـــث ألقـــى حـــين ألقـــى عليَّـــا بـــدر تـــم وخـــضماً(١) عبابـــا
وهمامـــاً أريحيـــاً كـــريماً حـــاز مـــن كـــل كـــمال نـــصابا
حافظـــاً ينـــشر متنـــاً قـــديماً بحـــديث لا يمـــلَّ اقتـــضابا
يقـــظ يـــصمت صـــمتاً حكـــيماً وإذا قـــال فقـــولاً صـــوابا
هـــذَّبت أخلاقـــه فنفـــى سفـــسافها عنـــه وأبقـــى اللَّبابـــا
بلغـــاه مـــن مـــشوق ســـلاماً كـــان عـــن محـــض وداد فطابـــا

---

(١) بحراً زاخراً.

٣٧. الهوى والسلوَّ

جعلـــــت قلبـــــه الـــــصبابة دارا
واســـتطارت عنـــه الـــسلوُّ فطـــارا
ودعتـــــه إلى الغـــــرام فلبَّـــــى
دعـــوة الحـــسن راضـــياً مختـــارا
لم يـــدع حـــسنك الـــذي بهـــر الأبـــصـــ
الأبـــصار للقلـــب في الأمـــور خيـــارا
أي عـــذر لمـــن رأى وجهـــك الفتـــان إن
إن لم يخلـــــع عليـــــه العـــــذارا
ولمـــــن لم تفـــــز بمـــــرآك عينـــــاه
إذا قـــــرَّ أو أطـــــاق اصـــــطبارا
تتنـــاهى منـــى النفـــوس وفي حـــسنـ
ـــك مـــا يـــترك العيـــون حيـــارى
والـــــذي صـــــيَّر الملـــــوك عبيـــــداً
لمحيَّـــــاك والقلـــــوب أســـــارى
مـــا ثنـــى القلـــب عـــن ودادك ثـــانٍ
لا ولا هـــــمَّ عـــــن هـــــوىً إقـــصارا
فـــارحمي مغرمـــاً بحبـــك مغـــرىً
أيـــــنما دارت الزجاجـــــة دارا
يحـــسب المـــوت في هـــواك حيـــاة
ويـــرى الـــذل في هـــواك فخـــارا

وصــــليه وقـــصِّري مـــدة الهجـــــــــ
ـــــــر وردِّي تلـــك الليـــالي القـــصارا
طـــال لـــيلي عليـــك واعتـــضت طرفـــا
لا يـــــذوق المنـــــام إلا غـــــرار
وعــــــذول إذا تقنَّعــــــت بالتــــــذ
كـــار في البـــين شـــوَّش الأفكـــارا
قـــال إن الـــسلوَّ في القلـــب بـــردٌ
قلـــت والحـــب قـــد تمثـــل نـــارا
فـــالهوىٰ والـــسلوُّ في القلـــب ضـــدَّا
ن محـــــال أن يـــــسكنا قـــــط دارا
هـــــذه نفثـــــة إليـــك وشـــكوىٰ
هاجهـــا الـــشوق في الحـــشا وأثـــارا
وشـــكائي عليـــك منـــك ولـــولا
ك لمـــــا صـــــغت هـــــذه الأشـــــعارا
لـــست أشـــكو مـــن الزمـــان ولـــو شئـــــ
ـــــت لـــوافى بـــما أروم بـــدارا
مـــا ربيعـــي ســـوىٰ اللقـــاء ولا أخـــشـ
ـــىٰ ســـوىٰ الهجـــر عَيلـــةً وافتقـــارا
هيئـــة الـــدَّهر فحمـــة دبَّ فيهـــا
لهـــب الـــصُّبح فاســـتحالت نهـــارا
ســـخرته يـــد العنايـــة للخلـــــــــ
ــــــق فـــصلَّىٰ لربِّـــــه دوَّارا

سـبقت قبـل خلقـه قـدرة اللـــــ
ــــه وأمـضت في ضـمنه الأقـدارا
فـإذا سرَّ والـسرور مـن اللـــــ
ــــه ومنِّـي الـشُّرور لا أتمـارى
مـثلما سرَّني بـدر مـن الـنظم فنظـــــ
ــــمت مثلــه أحجـارا
رمـت في حلبـة البـديع مجـارا
ةً وهيهـات أن أشـقَّ غبـارا
لكـريم قـد بوَّأتـه ذرى المجـــــ
ــــد سراة إلى العـلى تتجـارى
طـاب نفـساً فطـاب خَلقـاً وخُلقـاً
ومحـلا ومنبتـاً ونجـارا
وعـدتني بـزورة لمحيـاه
الليـالي ثـم اسـتقالت عثـارا
فـاتني أن أرى الـديار بطـرفي
فلعـلِّيَ أرى بقلبـي الـديارا
فهـي إن لم تكـن بـذاتي لـلأو
طـان كانـت لمهجتـي أوطـارا
فـسقاها الحيـا وأهـدى لهـا اللـــــ
ــــه سـلاماً ممَّـسكاً معطـارا

٣٨. دن نعمان[١]

يــا دن نعـــمان كـــساك الحيـــا ما شئت مـن خـضر ومـن دَكْـنِ
مـــا أنـــت إلَّا جنـــة للـــبلا وجنـــة تحــسب مـــن عـــدْنِ
خافــت عليــك الــسحب مــن عــين حــسادك للبهجــه والحــسن
فحجبــت شخــصك حتــى بــدا في طـــيِّ أثـــواب مـــن الـــدّجن
كالـــدر في الأصـــداف والزهـــر في الأكـــمام والمقلـــة في الجفـــن
فــتّ الجبــال الــشمَّ طــولاً فمــن دونــك مرمــى الــشهب للجــن
لا يطـــرق الـــذل ذراك الـــذي عمرتـــه بـــالعزِّ والأمـــن
دَنَـتْ لنـا فيـك قطـوف المنـى فـــنحن مـــن أثمارهـــا نجنـــي
نكــرع مــن "بــوتج"[٢] في مــوردٍ ســـلمه الله مـــن الأجـــن
وقــات "جــران"[٣] لــه نــشوة كأنـــه الجريـــال في الـــدن
خــضنا إليــك الليــل في فتيــةٍ كـــأنهم بعـــض القنـــا اللـــدن
قــوم دعــوا للمجــد فاســتعجلوا مــن غــير لا ريــث ولا وهــن
بـالحزم والعـزم وقطـع الـسَّرى جــابوا ســهول الأرض والحــزن
يقـــــودهم أروع آلائـــــه مقرونـــة بالنـــصر والـــيمن
أنَّـى أرى في الأرض أوصـــافه؟ قالـت لعـرف المسك خـذ عنِّـي
شـــدنا بـــك العـــزَّ فمـــن شـــاء فليَـــأتِ مـــن العـــز إلى ركـــن

---

(١) دن نعمان: أعلى قمة في وصاب.
(٢) بوتج: من المياه المشهورة في وصاب. وأجن الماء تغير.
(٣) جرّان: اسم مكان اشتهر بزراعة القات.

٣٩. روضة أحمد

وما الروض إلا غادة قد تزينت | لتأخذ من قلب الشجيِّ بمجمع
فلطَّرف في أقطارها أيُّ مسرحٍ | وللنفس في ساحاتها أيُّ مرتع

* * *

ما للرياض عندي | في الأرض مثل يوجد
الجوُّ لازوردي | والأرض من زبرجد
وفي الأصيل تهدي | إلى الغصون عسجد
كل الرياض تفدي | في الحسن روضة أحمد

* * *

ترى الشجر السيَّال والنهر تحته | لحسن مزاياها براعة مطلع
قد اصطفَّ في باب الحديد تأدبا | وتكرمة للنازل المتطلع

* * *

أغصانها الموائل | قامت بها على ساق
خدمة لكل نازل | والنهر مثل مشتاق
تجري وللمنازل | إلى التَّزيل أشواق
كل الرِّياض تفدي | في الحسن روضة أحمد

* * *

وتنزل منه ساحة الجامع التي | تجمع فيها الحسن كل تجمع
هنالك تلقى راحة وبشائراً | وتبهت من ذاك الضياء المشعشع

* * *

إن طفـــــت في حماهـــــا تاهـــت بـــك المحاســـن
فمــــن أتـــاه تاهـــا ان كنـــت في الأمـــاكن
وافـــاك مـــن هواهـــا حظـــك وأنـــت ســـاكن
كـــلَّ الريـــاض تفـــدي في الحـــسن روضـــة أحمـــد

* * *

مفارجهـا محجوبـة تحـت شرعـة كحـسناء في الـشباك ذات تمنّـع
وقد ظهر العنقود مـن تحـت خلبهـا[1] ظهور عيون الغيـد مـن تحـت برقـع

* * *

هزارهـــا تغنَّـــى فـــوق الغـــصون وردَّد
لمـــا شـــدا بمعنـــى أنـــساك صـــوت معبـــد
لـــذاك قـــد تثنَّـــى مـــن يـــسمعه وأنـــشد
كـــلَّ الريـــاض تفـــدي في الحـــسن روضـــة احمـــد

* * *

تحـــن غواديهـــا إلى لـــثم تربهـــا فتهـــوى هـــوى الـــشائق المتـــسرع
وتنحـو نواحيهـا الـسيول مـشوقة لهـــا في مجاريهـــا حنـــين المولَّـــع

* * *

وكرمهـــــا المعتَّـــــق مـــا قـــط فيـــه مخـــالف
كـــالقرط قـــد تعلَّـــق في الجيـــد والـــسَّوالف
هـــذا الكـــلام محقَّـــق واســـتنطق المخـــالف[2]
كـــلَّ الريـــاض تفـــدي في الحـــسن روضـــة أحمـــد

* * *

(١) الخلب: أوراق العنب المنزوع.
(٢) المخالف ج مخلاف.

فـإن فـضَّل النـاس الكُـروم وطيبهـا رأوا حـــدَّة في جنـــسها المتنـــوِّع
بيـاض كأوجـان العـذارئ و"أسـود" كأحـداقها فاشــهد محاسـنها معـي

* * *

بــــادر إلى معنَّـــــاك فـــالهجر غـــير لا يـــق
فـــالروض مـــن ســـجاياك للطـــف صـــار ســـارق
وبهجتــــي محيَّـــاك وطبعـــــك الموافـــــق
ووجنتيـــــك وردي والغـــصن ذلـــك القـــد

* * *

ولا زلـت مرفـوع المقـام مبلـغ المـــرام قريـر العـين غـير مـروّع
يخـصُّك مـن أسـنئ الـسلام جزيلـه ورحمـة ربِّ العـرش غـير مـودع

٤٠. ابن الأكرمين

خلـــيلي بــــل أخـــي وشـــقيق نفـــسي
ورب أخ لغـــــــــــــــــير أبٍ وأم
رجوتـــــك في النوائــــب لي نـــصيراً
بفعـــــل أو بقـــــول أو بهـــــمٍّ
لقـــــد طالــــت مــــسالمتي زمانـــاً
ألا بـــــسه عـــلى غـــيظ وكظـــم
عزمـــت عـــلى مواصـــلة (المـــوامي)[1]
لأفـــرج غمَّـــة الحـــدث الملـــمِّ
بكـــلِّ مجـــرَّد العزمـــات شـــهمٌ
كـــرمح أو كنـــصل أو كـــسهم
طمـــوح الـــنفس عنـــد بيـــات عـــزمٍ
وقـــور الجـــأش عنـــد بيـــات حـــزم
وأخطـــب بالقنـــا بكـــر المعـــالي
ومـــثلي كفوُهـــا مـــن غـــير ظلـــم
أنـــا ابـــن الأكـــرمين بنـــي عـــليٍّ
خيـــار الخلـــق مـــن عـــرب وعجـــم
ليـــوث الغـــاب إن كـــشفوا لحـــربٍ
غيـــوث الأرض إن عطفـــوا لـــسلم

(١) المفازات؛ الصحراء.

فإمَّــــا أن تنـــال الــــنفس ســــؤلاً
وإمـــا أن تـــسيل عـــلى الأصـــمِّ
فـــإن المـــوت خـــير مـــن حيـــاةٍ
يعــــيش بهـــا الكـــريم قـــرين ذمِّ

٤١. يا لائمي

يـــا لائمـــي دعنـــي ودأبي   هـــا قـــد عزمـــت عـــلى التـــصابي
وخلعـــت عـــذري واســـترحت فـــما أنهنـــه بالعتـــاب
وحللـــت مـــن عقـــلي عقـــا   لاً حـــال مـــن دون (الهبـــاب)
ورضـــيت مـــن وصـــل الحبيـــب بوقفـــة دون الحجـــاب
وإشـــــارة يـــــأتي إليَّ   بهــــا رســــول في كتــــاب
وقنعـــت مـــن ســـفري إليـــه مـــن الغنيمـــة بالإيـــاب
إن نلـــت لا منـــه فحـــسبي قـــد منحـــت بـــلا حـــساب
أصـــبو إلى الغـــصن الـــشبيه بقـــد جادلـــة الحقـــاب
وإلى النـــسيم لأخـــذها   لطـــف الـــشمائل والـــدعاب
وأودُّ تقبيـــــل الحبـــــاب   لأجـــل ثغـــرٍ كالحبـــاب
وأرى ســـموط اللؤلـــؤ المكنـــون مـــن شـــبه الخطـــاب
لا تعجبـــوا مـــن لم يجـــد   مـــاء تـــيمم بـــالتراب
الحـــسن أســـلب للنفـــوس مـــن المنيـــة للقـــراب
والحـــب أنهـــى للنُّهـــى   عـــن أن تـــرى طـــرق الـــصواب
كـــم ذا التكـــتمّ والتـــوقر   والتـــستُّر بالنقـــاب؟

مـــا الحـــب إلا أن يكـــون   مـــشهَّراً بـــين الـــصحاب
متجـــــــــرداً متكـــــــشفاً   ســـيماه تمزيـــق الثيـــاب
كالبـــدر يـــوم الأضـــحيان ممزَّقـــاً ثـــوب الـــسحاب
فاذهـــب معـــي إن شـــئت عنـــك إذا بَـــدا لَـــكَ في الـــذهاب
واخلـــــع رداء العـــــزِّ عنـــــك إذا وردت إلى الجنـــــاب

٤٢. سوء ظن

ولامـــوا علـــى آمـــال نفـــس تَجُـــدْ بهـــا
تعـــرَّض لي مـــن دونهـــا كـــلُّ عـــائق
ولـــو وجـــدت نفـــسي ســـبيلاً إلى المنـــى
لمـــا صـــبرت عـــن نيلـــه خفـــق بـــارق
وقـــالوا ومـــا عنـــدي مـــلال ولم تكـــن
تقطَّـــعُ عـــن أهـــل العـــذيب علائقـــي
إذا كنـــت مـــشتاقاً خلقنـــا تـــشوقاً
وهيهـــات مـــا المـــشتاق كالمتـــشاوق
وظنـــوا محـــالاً بي لقـــد ســـاء ظـــنُّهم
فلـــيس الـــذي ظنـــوه بي مـــن خلائقـــي

٤٣. تقريض خطاب

أقول وقد جاء من نحوكم جوابٌ وتالله ما قلت زورا
ألا هكذا فليرِقّ[1] الكلام لتحسد فيه الصدور السطورا
كلام رصين وقول متين وفهم يحُلَّ العويص العسيرا
وحفظ تكاد به أن تكون بما غاب عنك سميعاً بصيرا
تنسَّمت منه عبيراً وخلت رياضاً وأسقيت ماء نميرا
وأنك تشفي فؤاد الجليس وتكسو الحديث بهاء ونورا
وإذا ما تكلمت في مجلسٍ علوت السرير وكنت الأميرا
يمدُّون نحوك أعناقهم كظامية تستمد البحورا
تعيد لنا أعصر الأقدمين وتحيي دروسهم والدثورا
وتغني المسامع عما حوت بطون الدفاتر شيئاً كثيرا

٤٤. البرق

أبِنْ لي أبِنْ لي ما سراج بضوئه
تغطّى عن النظار ما هو ظاهر؟
إذا خالط الأمرُ الجليُّ شعاعَه
فقد وضعت منه عليه الستائر
يجيء إلى المطلوب من غير بابه
ويبعد عن ساحاته وهو زائر

---

(١) في نسخة: فليروى.

ويهـــدي إليـــه مـــن طريـــق ضـــلاله
ويـــصرف عنـــه وجهـــه وهـــو نـــاظر
يقـــرِّب للرَّائـــي البعيـــد وإنَّـــما
يبعِّـــده عـــن لحظـــه وهـــو حـــاضر

٤٥. عاثر الفتك

يقولـــون: في أهـــدابها وجفونهـــا
مـــن النقـــع مـــا شـــان الجفـــون بـــلا شـــكِّ
فقلـــت مجيبـــاً للعـــدىٰ عـــن مقـــالهم
وبي ظمـــأ يلهـــي الهـــداة عـــن النـــسك:
تجهَّـــز جـــيش اللحـــظ فينـــا عيونـــه
فيعلـــق في أهـــدابها عثـــير الفتـــك

٤٦. شكوى إلى شيخ الإسلام

غـــسلت بالمـــاء ســـبعاً والـــتراب يـــدي
عـــن أن تنـــال خلـــيلاً دائـــم الـــصّرد
ومـــا اجتزيـــت بـــماء المـــزن مغتـــسلاً
حتـــىٰ انتـــضحت بـــماء الـــثلج والـــبرد
وقمـــت أنفـــض بـــرداً كـــان قـــد علقـــت
بـــه أثـــارة رأي غـــير مقتـــصد

مـــن كـــان يأســى لمفقـــود فهـــا أنـــذا
والحمـــد لله لا آســـى عـــلى أحـــد
عينـــي عـــلى ســقطات الخـــل نائمـــة
عـــلى الـــوثير وقلبـــي ظـــاهر الجلـــد
مـــن فاتـــه أدب الأشـــياخ في صـــغرٍ
كانـــت لتأديبـــه الأيـــام بالرصـــد
يـــا رب جـــوهر عقـــد قـــد نفثـــت بـــه
مـــن الكـــلام بـــديع النَّـــسج مطّـــرد
مـــا قـــصَّرت فيـــه ألفـــاظ ولا فـــضلت
عـــن المعـــاني فلـــم تـــنقص ولم تـــزد
منـــزه عـــن غريـــب اللفـــظ مرتفـــعٌ
عـــن التبـــذُّل بـــين البعـــد والـــصدد
لـــو عانـــد الـــدهر حـــرَّاً واســـتميل بـــه
لأدركتـــه عليـــه رقـــة الولـــد
وهـــو الجـــسور الـــذي لا العتـــب يعطفـــه
يومـــاً ولا الـــرّحم تدنيـــه إلى الرشـــد
أهديتـــه لخليـــل قـــد ترعـــرع في
بحبوحـــة المجـــد لا جـــاف ولا نكـــد
فـــما اشرأب ولا اهتـــزَّت معاطفـــه
ومـــا أجـــاب عـــلى نظمـــي ولم يكـــد

أشكو إلى شيخي[1] البدر الذي ختمت
به الكرام فأضحى جملة العدد
رجاء خصميه موقوف وخوفهما
معاً على الحق من أحكامه فقد
لا النفس قط ولا الأهواء تحمله
على اجتناب سبيل العدل والسدد
عساه أن يسمع الشكوى فيعتبني
إن الكريم لنصر الحق ذو حرد

٤٧. ليت شعري

غيّض الدمع زماناً فسفح ... وأجنَّ الحب دهراً فافتضح
طال ما جمجم حتى هاجه ... طائر من فوق غصن قد صدح
هاج أشواقي ولا شوق له ... بأغان ومعان لم تضح
يا أحبائي أما من عطفة ... يدمل الدهر بها ما قد جرح
لمحبٍّ لو تراءى شخصكم ... من بعيد طار من فرط الفرح
وصلكم في كل حال حسبه ... من جميع المشتهى والمقترح
يحسب الدهر ربيعاً كلَّه ... إن سخا بالوصل منكم وسمح

(١) العلامة المشهور شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني مؤلف (الفتح) و (نيل الأوطار) وغيرهما، وراجع نيل الوطر للمؤرخ زبارة، ج٢، ص٢٩٧-٣٠٢، وكذا الرسالة الأكاديمية للأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري. مولده سنة ١١٧٣هـ، ووفاته بصنعاء سنة ١٢٥٠هـ.

ليت شعري هل له من وقفةٍ   بين أكناف الحمى تنفي الترح
يمنح الناظر وجهاً مشرقاً   يمسك الطرف إذا الطرف طمح
ويبيح السمع درَّاً مونقاً   من فكاهات حسان وملح
لست بالناسي عشيات الحمى   أبداً ما صاحب الروح الشبح
واجتماعاً رايقاً كنَّا به   في ضمير الليل سرَّاً لم يبح
في سرور بالتلاقي لم يكن   بالذي يؤخذ من جذر القدح
أبدل الدهرُ بصفوٍ كدراً   وأراقَ الكاس عن صادٍ[1] نشح

* * *

يا ضياء العصر يا يوسفه[2]   زين الله بعلياك المدح
لك ذكر في السماوات سما   عن تراكيب الكلام المصطلح
لست أشكو الدهر إلا أنه   بتملِّي حسن أخلاقك شح
وسلام الله يُهدى لك ما   عسعس الليل وما انشق الوضح

٤٨. مفاتيح الغنا

يا ساكناً بالقلب لا بالمنحنى
ماذا عليه لو تعطَّف أو حنى
أمسى عليَّ مع الزمان وليته
قد كان لي عوناً عليه بما جنى

---

(١) الصاد: العطشان "نشح" شرب حتى امتلأ دون الري.
(٢) يوسف بن إبراهيم الأمير.

قـــد كـــان في ســـعي الزمـــان كفايـــة
كـــاد المحـــالُ بكيـــدها أن يمكنـــا
يامـــا يلـــين مـــع الزمـــان ألم يكـــن
عـــون الـــضعيف عـــلى القـــويِّ الأحـــسنا؟
قـــد ذقـــت فـــرقتكم وذقـــت وصـــالكم
فوجـــدت ذا حلـــواً وذا مـــرَّ الجنـــى
مـــرَّت محاســـنكم بطـــرفي مـــرَّة
لكنَّهـــا جعلـــت فـــؤادي موطنـــا
فـــالطرف يـــشكو مـــن ألـــيم فراقهـــا
وَيَـــودَّ في إطباقـــه أن تـــسكنا
والقلـــب يـــشكو الاتـــصال وبُـــرؤُه
في الانتقـــال إلى هُنـــا مـــن هاهنـــا
والـــدهر قـــد علـــم المـــراد فلـــم يـــزل
يهـــدي لكـــل مـــنهما عكـــس المنـــى
ولقـــد سرقـــت عـــلى الزمـــان عـــشيَّة
جـــاءت بـــأنواع المـــسرَّة والهنـــا
فـــابتزَّ ثـــوب ســـوادها فـــرح اللقـــا
وكـــذا ليـــالي الوصـــل واضـــحة الـــسنا
فـــافتر ثغـــر الفجـــر منهـــا ضـــاحكاً
ومـــضت كلمعـــة بـــارق برقـــت لنـــا
وبـــدا الـــصباح ومـــا قـــضينا غلـــة
فاعجـــب لأيـــدي الـــدهر مـــا صـــنعت بنـــا

لكـــــن إذا شـــــاء المهـــــيمن قــــربكم
جـــاء الزمـــــان بــــه مطيعــــاً مـــــذعنا
فالـــــدهر طـــوع مـــراده والكـــون تحـــــ
ـــــــت قيــــاده مـــا شــــاء منـــه كوَّنــــا
ملـــــكٌ إذا أُنزلـــــتْ حاجــــاتي بــــــه
قبــضت يـــديَّ عــلى مفـــاتيح الغنـــى

٤٩. بكاء الأيام الغر

قفـــا نبـــك مـــن تـــذكار أيامنـــا الغـــرِّ
وذكــر حبيــب[١] غــاب عنــي في (العــر)[٢]
ولـــــذَّ لــــــه فيـــــه المقــــام وأفــــصحت
قريحتـــــــه بـــــالنظم فيـــــه وبــــالنثر
كما وصــــف ابــــن الجهــــم بغــــداد إذ رأى
"عيـــون المهـــا بـــين الرصـــافة والجـــسر"
فـــوا أســـفاً للـــشعر إذ صـــار واصـــفاً
خرائـــــب أوعـــــار مـــــساكن للنــــسر
وقـــد كـــان يـــأبى أن تفـــيض بحـــوره
"بـــسقط اللـــوى" أو "بالعـــذيب" أو النهـــر
وبـــالغرب مـــن صـــنعا ســـقى الله ســـفحها
وبالروضـــة الغنـــاء والـــشعب والقـــصر

(١) هو الأديب يحيى بن محمد بن علي عبد الواسع كما جاء في البدر الطالع للشوكاني.
(٢) العر: قرية في الحيمة الداخلية، فيها مركز الناحية.

ولكـــن جــرت أحكـــام دهــرك كلهـــا
برفـع لـــذي خفـضٍ وخفـضٍ ذوي القـــدر؟
فغـــير عجيـــب ذم "صـــنعا" وأهلهـــا
ومـــدح ربـــوع القـــريتين أو "العـــــــر"
ولا عجـــب أن فـــرَّق الـــدهر بيننـــا
فـــإن ليـــالي الوصـــل غـــصب عـــلى الـــدهر
أحبَّـــاي أنـــتم كـــل أنـــسي وراحتـــي
وبعـــدكم عـــسري وقـــربكم يـــسري
وكـــل مكـــان أنـــتمُ فيـــه روضـــة
وكـــل زمـــان ضـــمَّكم زمـــن البـــشر
أُسِّـــكن وجـــدي بادِّكـــارِ وصـــالِكم
كـــما يتـــداوى شـــارب الخمـــر بـــالخمر
وأظهـــر للـــــواشي ســـلوَّاً ولم أكـــن
ســـلوت ولكـــن زدت جمـــراً عـــلى جمـــر
عـــسى ولعـــل الله يجمـــع شـــملنا
وشـــمل عـــماد الـــدين نـــادرة العـــصر
أخـــي وحبيبـــي والخليـــل الـــذي صـــفت
خلايقـــه حتـــى حكـــت خـــالص التـــبّر
بعثـــت لي الـــروض النـــضير بمهـــرقٍ
فـــصدَّقت مـــا قـــد قيـــل فيـــك مـــن الـــسحر

فــإن كــان هــذا ذنــب صــنعا وأهلهــا
فــذلك ذنــب للبلاغــة والــشعر
وعــش وابــق واســلم في نعــيم وصــحةٍ
مقابلــة بالحمــد منــك وبالــشكر

٥٠. الرنجس الزاهي

افهــم وقيــت مــدارك اللــبس   شــكر الريــاض بألــسن خُــرسِ
فلكــلٍّ نــوع مــن أزاهرهــا   شــكر يقــوم بــه كــذي الحــسِّ
هــذي الأقــاحي قــد بــسمن لنــا   عــن ثغــر لمــي نــاعم اللمــس
و الرنــد داهــشة الجــلال فــلا   ينفــكُّ فيهــا نــاكس الــرأس
و النــرجس الزاهــي لــه نظــر   نحــو الــسماء بــأعين نعــس
و الــورد مــن نعــم الإلــه لــه   خجــل لــذاك بثوبــه مكــسي
وأصــابع المنثــور رافعــة   تــدعو بــأول آيــة الكــرسي
وكأنهــا والــريح تعطفهــا   فهمــت لــوايح حــضرة القــدس
وتشعــشعت أنــوار بهجتهــا   موصــولة بأشــعة الــشمس
وانظــر إلى بعــض الزهــور تــرى   أن الرّيــا ضــرب مــن المــسِّ
فيظــل في الأكــمام مــستتراً   ويقــوم مجتهــداً إذا يمــسي
والنهــر يجهــر بالــدعاء لمــن   ألقــى عليــه مطــارف الــورس
بــادر لتــشهد صــنع خالقنــا   وتــشابه المعقــول بالحــسِّي
فلنــا قلــوب فيــك وامقــة   لا تــستطيع نــوى علــى خمــس
في كــل يــومٍ لا يــزال بهــا   شوق كــضعف الــشوق بــالأمس

لـو كنـت يـا مـولاي حاضرنـا أبـــدلت وحـــشتهن بــالأنس
وإليكهـــا لـــولا تـــشوقها لحماك مـا حملـت عـلى طـرس
وردت إليـــك ورود ذِي مقـــةٍ طمـست شروط تـأدب الـنفس
فأتتـــك عاطلـــة[1] مقـــصرة مـــن باقـــل[2] عيـــاً إلى قـــس

٥١. رسالة غرام

صـــبٌ أضـــناه تلهفـــه إذ ودَّع سربـــــاً يألفـــــه
أفنـــاه الهجـــر وأتعبـــه شـــكواه لمـــن لا ينـــصفه
يـا أهـل الـسفح غـريمُ غـرامٍ هـــل مـــنكم مـــن يـــسعفه؟
يتـــسربل ثـــوب تكتمـــه ونـــسيم الـــصبح يكـــشفه
صـاح عـــن غـــير محبـــتكم ثمـــلٌ والـــذكرى قرقفـــه[3]
يرعـــى لكـــم مـــع غـــدركم عهـــداً أبـــداً لا يخلفـــه
رفقـــاً بالـــصبِّ فـــإن لـــه أشـــواقاً كـــادت تتلفـــه
وجـــوىً مـــرَّاً يتجرعـــه وهـــوى صـــافٍ يترشـــفه
تـــشتاق إلـــيكم أربعـــهُ ويحـــنُّ إلـــيكم موقفـــه
أتظنـــون الـــسلوان ولي مـــن حـــبكم مـــا يـــصرفه؟
وحيـــاتكم وحيـــاتكم وحيـــاتكم لا أعرفـــه[4]

(١) عاطلة: أي تعطلت المرأة عن الحلي والزينة.
(٢) باقل: أي عي، وقس: ابن ساعدة البليغ الذي يضرب به المثل في الفصاحة.
(٣) القرقف: الخمر.
(٤) في نسخة: لا يعرفه.

ســـــقيا لزمــــان مــــر وغـــــصن البــــشرى دان مقطفــــه

ورياض الأنس لها زهر ريح الأفراح ترفرفه

فعسى أن يورق غصن منى أو ينجز وعداً مخلفه

وسلام يغشى منزلكم مني أسناه وألطفه

٥٢. راموا انتقاصاً ويأبى الله

حييت يا ربع من أهوى بهطال

من الغوادي معين الورد سلسال

كم أغورت فيك[(١)] من عجفاء سادرةٍ

فأنجمت عنك شكراً ذات إبلال

وكم إلى مونقات في حماك عطت

غزالة ذات أقراط وأحجال

سألتك اليوم عنها ما الذي صنعت

فكان رد جوابي منك تسآلي

شحيحة النفس تقري ضيفها شزراً

من جفنها وتراه أيَّ إفضال

يا هذه لست ممن يبتغي ورقاً

ويشتكي قلة في المال والآل

(١) هو العلامة الأديب الشاعر علي بن أحمد إسحاق عم الشاعر الخارج على المنصور علي بن المهدي عباس، انظر مصادر ترجمته في البدر الطالع، وفي نيل الوطر، وله باع في الشعر والأدب والفقه، وله العديد من القصائد المغناة.

لا عيــــب في المـــرء إن طابــت سرائـــره

فـــلا يغرَّنــك بي أخـــلاق سربـــالي

أطمعـــت منـــك بميعـــادٍ فكنـــت علـى

نجـــز المـــراد فخابـــت منـــك آمـــالي

فعلقـــت بحبـــال الـــشمس منـــك يـــدي

وسرت عنـــــك كـــــأني وارد الآل

فجئـــت أنظـــر هـــل عـــذر فأعـــذركم؟

أنخـــوةُ الحـــسن أم أقـــوال عـــذالي؟

مـــا كـــان أظلـــم هنـــد إنهـــا جعلـــت

عكـس اسـمها بعـد حـذف النـون والـدال

علامـــــة لمحبيِّهـــــا وقـــــد عـــــدلت

إذ كـــان للنـــدِّ منهـــا أيُّ إهمـــال

يـــا رافـــلاً مـــن بـــرود الحـــسن في حلـــل

ومـــن بـــه شـــغلي عـــن كـــلِّ أشـــغال

اليـــوم يهنـــاك أني بـــتُّ ذا قلـــقٍ

عليـــك فارقـــد هنيئـــاً نـــاعم البـــال

لأســـلونَّك إذ مـــا زلـــت محتجبـــاً

بمـــدح مـــولى عظـــيم القـــدر مفـــضال

يغنيـــك عـــن نعـــت مـــا أولاه خالقـــه

إذا تطلبـــت معنـــى منطـــق الحـــال

يُـــربي العطيـــة حتـــى أنَّ ســـائله

شــذراً مــن التــبر يعطــي ألــف مثقــال

مهـــما ظمئـــتُ بـــسجل مـــن روايتـــه

أهــدى لــك الخــضل فــضلاً بعــد إخــضالِ

مـــا زال فكـــري مـــن شـــوق يـــسوِّل لي

تـــشقيق نظـــم ولم يعـــذر بـــأقلال

حتـــى إذا بـــرَّح الـــشوق الـــشديد بـــه

أســـقيته مـــن نظـــامي خـــير أجمـــالي

حنَّـــت فرنَّـــت فلـــما أن دنـــت أرنـــت

فـــسيرها بـــين إعنـــاق وإرقـــال

أمَّـــت مقامـــك أشـــوالاً وأزعجهـــا

فـــرط الجـــواءِ ولم تقنـــع بأوشـــال

يـــا عـــم زِيْنَـــتْ بـــك الأيـــام وابتهجـــت

كـــما تـــزيّن خـــد الحـــب بالخـــال

سُـــميت في ألـــسن الأقـــوام تـــسمية

مـــشتقة مـــن بلـــوغ المنـــزل العـــالي

هـــابوك سرَّاً فلـــما أدخـــروا جهـــروا

والليـــث يرهـــب منـــه ســـور مغتـــال

تيقنـــوا منـــك مـــا ظنـــوا ســـواك بـــه

فكـــان فـــيما أتـــوه أي إجـــلال

رامـــوا انتقاصـــاً ويـــأبى الله خالقنـــا

لبـــدر فـــضلك نقـــصاً بعـــد إكـــمال

فـــأي عيـــب يـــراه بـــاهتوك بـــه

وبالمعـــــالي أبِـــــنْ لي أيٌّ إخـــــلال؟

وابـــشر بفـــتحٍ عزيـــز النـــصر متّـــضح

مـــا زلـــت أرقـــب منـــه يـــوم إهـــلال

٥٣. لكم الحب

لي فـــيكم طريقـــة مـــسلوكة وأحاديـــثُ ســـلوةٍ متروكـــه

لكـم الحـبُّ جـرتمُ أو عـدلتم يـا سـلاطين أنـسه وملوكـه

كيـف ينمـي إلى قـوامكم العـدل وهـذي دماؤنـا مـسفوكه؟

قـد ملكـتم نفـسي وأعجـب مـا يـذكر في الحـبِّ حـرّة مملوكـة

يـا عـذولي عـذراً إلـيكم (فـأُذني) عـن أباطيـل عُـذّلي مـسكوكة

أنـا لا أسـتطيع للحـب كـتماً ودمـوعي لمـا أجـن هتوكـة

يـا أحبَّـاي نظـم الله شـملاً نثـر الـدهر بالبعـاد سـلوكة

كـم قلـوبٍ مـن غـير شـكٍ بـرمح البـين مـنكم لنـا غـدت مـشكوكة

لم يـدع لي هـواكم ونـواكم غـير روح بـأعظم منهوكـة

إن جحـدتم حبـي فـإن شـهودي سـقم جـسم ومـدمع وألوكـة[1]

فاقبلوهـا شـوها معطلـة الجيـد إلى سـتر عيبهـا صـعلوكة

---

(١) الألوكة: الرسالة.

كيف تحظى بسمعها كيف ترقى لأكف تحيي بها المعروكة
راحة الكف والصماخ لديكم قائم أو شكائم مألوكة
أنتم غرَّة الزمان فلا يكشف إلا جمالكم حلكوكة
كم مساعٍ لكم على النجم قد أربت سنا واضحاً وطالت سموكة
لا برحتم في غبطة وسرور ونعيم: ما دامت المسموكة

٥٤. تهنئة بشفاء

أأهنيك[١]؟ أم أهنِّي القلوبا بشفاء أزال عنك الكروبا
وهب الله للمعالي حياةً ورعاها ببلكم تثويبا
ولئن كان ذلك الداء منكم شفَّ جسماً لقد أحسَّ قلوبا
وإذا كانت العيادة في الأول ندباً ففي الأخير وجوبا
يا طلوع الهلال بل يا شروق الشمس لا نلت في الزمان غروبا
زان أيامنا بقاك[٢] فلو مثَّل هذا الزمان خوداً عروبا
كنت للكفِّ خاتماً ولصفح الجيد عقداً وفي المعاطف طيبا
صانك الله عن مساورة السوء ولقاك مستزاداً نصيبا
وحبا سوحك الشريف بموفور سلام ورحمة لن تغيبا

(١) التهنئة للسيد العالم ناصر بن محمد إسحاق.
(٢) في نسخة: لقاك.

٥٥. هنيئاً لصنعاء

قدوم به جيد الزَّمان مقلد
له سانحات الطير باليُمن تشهد
قدمت[١] فودَّ الروض شوقاً ورغبة
على ورد خد منه أنك تقعد
وزاد سروراً باقترابك طيره
وبات على غصن الأراك يغرِّد
وثغر الأقاح الرطب أصبح باسماً
فشاكله في الحسن درٌّ منضَّد
يقولون إذ وافى الهلال سوادها
رمته فأضحى منه نصف مبدَّدُ
فقلت لهم لا بل بمقدم كعبة
الفضائل شكراً للمهيمن تسجد
هنيئاً لصنعا إذ نزلت بسوحها
ومن (لأزال) منك بالوصل تسعد

---

(١) هو السيد علي بن إسماعيل بن علي بن القاسم، ينتهي نسبه إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل، ومن شدة المجابه بنبوع الشاعر قال عنه:

فمن حاز دون "الكاف" فخراً ففوقها ... سيرقى محلاً مثله الشمس تحسد
فهذا له شأو سيعلو ويرتقي ... إلى رتبة فوق الزواهر تصعد
ويبلغ شأواً لا ينال وسؤدداً ... فيبقى له فوق السماكين مقعد
أعوّذه بالله من عين حاسدٍ ... وأسأله يعليه كعباً ويرشد

كأنــك غيــث جــاء مــن بعــد حبسه
يــذاد بـــه هـــمُّ القلـــوب ويطـــرد
وكالـــصبح لـمَّـــا أن تـــبلج نـــوره
فأضـــحى بـــه ثـــوب الظـــلام يقـــدَّد
وكالشمس قد أشرقت في قطرنا ضحى
فأضـحى الـسَّنا مـن ذلـك القطـر يـصعد
فحمـــداً لمـــن أولاك كـــل فـــضيلةٍ
وأعطـــاك مـــا لا عنـــد غـــيرك يوجـــد
وهـــاك نظامـــاً كـــاد يعثـــر خجلـــة
لإقدامـــه جهـــلاً عليـــك ويقعـــد
خطبــت وحــسبي دون ذلــك مــا رمــت
بــه بنــت فكــر منــك كالــدر تنــضد
ودم في سرورٍ لا يـــــزال ونعمـــــة
مـــن الله مـــا قـــال المـــؤذن أشـــهدُ
ومـــا خـــتم الـــنظم المـــدار رِحيقـــه
بمـــسك صـــلاة بالـــسلام يؤكـــد
عـــلى خـــير مبعـــوث إلى خـــير أمـــةٍ
ومـــن هـــو في القـــرآن طـــه محمـــد
نبـــي الهـــدى يـــا جامعـــاً لمحاســـن
البريـــة وهـــو الواحـــد المتفـــرد

٥٦. شهود غرامي

لِــي قلــبٌ في حــبِّكم محتــار   وفـــؤاد لأجلكـــم صـــبار
قــد تعجبــت كيــف عــذبتموه   ولكـــم دائـــماً بـــه اســتقرار
خففـــوا مـــن عذابـــه وارحمـــوه   "فهو من نـاظري علـيكم يغـار"
ولَكَـــمْ هـــمٌّ بالتـــشكي ولكـــن   مِـــنْ هَـــواكُم مـــا إن لقلبـــي قـــرار
ضـاقت الأرض عنـه حقـاً كـما ضـاق عـن المعـصم النبيـل الـسوار
جـذلت عـين مـن أفـاض عيونـاً   هـــي منهـــا لـــسائل لا يحـــار
ومجيــب الجــريح بــالنهر يجــري   فيـــه حكـــم تجيـــزه الأبـــصار
نظــرت في الــضحى إلى عــين شــمس النَّــأي لمــا قــضى بــه الجبَّــار
فأقامـــت بـــه البراهـــين في الحـــب خـــصوصاً لأنـــه المعيـــار
ودواء الـــسقيم منهـــا بـــه إن   ســاعدت في كحيلــه الأقــدار
يــا كحيــل الجفــون بالــسحر حقــاً   ولهـــا الإقتـــدار والإنكـــسار
عجبــاً منــك في خــدودك ورد   ثـــم فيـــه الجنَّـــات والأنهـــار
فلــماذا لكــافر الخــال حلــت   أيجـــازى بالجنـــة الكفـــار؟؟
وعجيباً مـن عـاذل في هـوى مـن   قطـــع القلـــب لحظـــه البتَّـــار
وأنــا المــستهام مــن غــير شــكٍ   وشـــهودي عـــلى الغـــرام كبـــار
اصفراري نحول جسمي خفـوق   لفـــؤادي ومـــدمعي المغـــزار
لـــو تـــأتى سُـــلُوٌّ قلبـــي عـــن مذهبـــه قلـــت إنـــه المختـــار
كيــف لا أرتــضى الــسلوَّ فــإنَّ الحــب وجــدٌ ولوعــة واســتعار؟

فـأدر لِي حـديثهم يـا عـذولي فحـديث الحبيـب عنـدي عقـار
وعـساه يطفـي لهيبـي فـمالي أبـداً عنـه يـا عـذول اصـطبار
التقـاني الهـوىٰ بجحفـل جـيشٍ وتــلا ذاكِ عـسكر جــرار
مـن بعـادٍ ووحـشةٍ وفـراقٍ وعنـاد للبـين منـه شـعار
غـير أن الهـوىٰ بمـدح عظـيمٍ في المعـالي قـد طـاب منـه النّجـار
الإمـام الـذي عـلا الـنجم قـدراً في سـماء الفخـار وهـو الفخـار
حـاز كـل العلـوم عقـلاً ونقـلاً ولـه قـد أمـيط عنهـا الخـمار
لـو أردنـا تعـدادَ أوصـافه الغـرِّ لجفـت قبـل الكـمال البحـار
وإذا جاهـل تعـاطىٰ لأمـرٍ لامـه العـاقلون والنظَّـار
وإليـك الـذي تجـاسر جهـلاً بنظـام تعافـه الأفكـار
ويـما فيـه مـن مـديحك أضـحىٰ في كـؤوس مـن البـديع تـدار
وتـودُّ الخـرود لـو كـان درّاً يـتحلاه جيـدها الـسحَّار
حمـل الـرق في مكاتبـة المـولىٰ بتحريـر ذلـك التـذكار
منـك يـا مـن لـه بقلبـي محـل فـاز بـالعطف غـيره والجـوار
بجـوابٍ مـن القـريض تحـاكي درِّهِ في نحورهـا الأبكـار
و(نظـام الغريـب) يطلـب منـك العفـو فـضلاً وحـسبه الإصرار
وابـق مـا دام خـتم نظمـي مـسك لـك بالـذكر تعبـق الأعـصار
في نعـيمٍ مؤبـدٍ وسرورٍ تتعـاطىٰ سـلافه الأسـحار

٥٧. تهنئة بزفاف

أنعم صباحاً يا (صفي الهدىٰ) وازدد حبوراً في جميع الدهور
بدُرّة قد صرت بحراً لها والدرُّ لا يسكن إلا البحور
سرية ليس انتساب لها للسرِّ وهو الفعل بل للسرور
زفت بليل وهي شمس الضحىٰ لولا ظلام الشعر كان الشعور
تظاهر الليلان في سترها ويحسب الفضل لليل الشُّعور
عجبت من شمس وبدر معاً والشمس لا تدركُ ضوءَ البدور
يا أيها الحبر وقيت الردىٰ ليهنكِ الحبر بذَات الحَبور
فإنها سِرُّكَ سِرُّ الورىٰ رُزقتَ حبّاً في جميع الأمور

٥٨. دعاء الغرام

رأىٰ فَهَوىٰ فلذَّ لهُ الغرام فؤادٌ ما تسليه المدامُ
دعاه إلىٰ الغرام به حبيب يغار لحسنه البدر التمام
فلي من جفنه سحرٌ حلال ومن جفني له نوم حرام
إذا أنا لم أنل في الوصل سهماً فلي من طرفه الأحوىٰ سهام
أعاذل لا شربت الحب كأساً أنصح أم سلام مستدام
لقد أولعت بالتعسيف حتىٰ كأنك بالملامة مستهام
وبي من طالِ فِي فرعٍ وفرق لها بين الجديدينِ الخصام
رداح في أثيل الجعدِ منه يرىٰ بدر يحفُ بهِ ظلام
إذا ما نادَمتْني مقلتَاها بكأس الثَّغر كان لها انتظام
حلت جيداً وحلّت قلب صبٍ فمرَّ بمسمعي فيه الملام

عــذابُ جــواهر أودعــنَ فاهــا ... أقــلّ عــذاب ناظمهــا الهيــام
وقائلـــة أخـــال عليـــك تبـــدو ... مخائـل مــن مــشت فيــه المــدام
فقلــت وحــق ذاك بــأن عنــدي ... نظامــاً عنــده يقــف الكــلام
أتـــاني مـــن بليـــغ لا يبـــارى ... فــما أدري أخمـــر أم نظـــام؟
يحــلّ الحــسن منــه كــل بيــتٍ ... ويــسكن فيــه لطــف وانــسجام
يـــدار لكـــل مـــستمع إليـــه ... ومــصغ مــن جميــع الإنــس جــام
أأجعلـــه كبـــدر الـــتمّ حـــسناً ... وقــد يعــرو لكاملــه الــسقام
ولا أرضى بزهـــر الـــروض إلا ... إذا مــا مــسّكت منــه الكــمام
فــلا عجــب فمــن أســداه حقــاً ... لأهــل العــصر في الــنظم الإمــام
إذا هــدمت بيــوت الــنظم منــا ... فعامرهـــا لنـــا الفـــذ الهـــمام
وإن مــدح ابــن عــمار[1] قــديماً ... فــلي بالاقتفـــا فيـــه الـــتمام
فيـــا شرف المفـــاخر والمعـــالي ... ومــن فــوق الــسماك لــه مقــام
علــوت بنــي الزمــان بكــل ذكــرٍ ... جميـــل لا يطـــاق ولا يـــضام
وحــزت ســنا ذُكــاء منــه غــارت ... ذكــا[2] وأقــرّ بالفــضل الأنــام
بقيـــت برفعـــة وحلـــو عـــيشٍ ... وإســـعاد يقارنـــه الـــدوام
وهـــاك عليلـــة لفظـــاً ومعنـــى ... كـــأن هـــواك كـــان لهـــا زمـــام

---

(١) ابن عمار يقصد" ذا الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي، الشاعر المشهور، صاحب البيتين المشهورين:
ممـــا يقـــبح عنـــدي ذكـــر "أنـــدلسٍ" ... ســـماع "معتـــضد" فيهـــا و"معتمـــد"
أســـماء مملكـــة في غـــير موضـــعها ... كـــالهر يحكـــي انتفاخـــاً صـــولة الأســـد

ولد سنة ٤٢٢هـ وقتله المعتمد بن عباد في قصره ليلاً وذلك سنة ٤٧٧هـ بمدينة أشبيلية وقصته مشهورة، وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ ص ٤٢٩.
(٢) ذكاء: اسم علم للشمس ولا يعرف بالألف واللام.

وتطلب أن تمد ثياب ستر ... عليها من نوالك والسلام

٥٩. تقريض الحدائق(١)

حيّ الحبيب وحيّ داره ... إن كنت مجتازاً دياره
واحفظ تحية مغرم ... حلّت بمبلغها إشاره
عذبت فما الماء المصفق حاكياً فيها أماره
وذكت فما تركت لمسك قيمة الا اشتهاره
فلعلّ من سلبوا عميدهمُ بلا مهلٍ قراره
يصلون أو يعدون مشتاقاً ترق له الحجاره
لم يأل جهداً بعد فقد الرّبع أن يسلو ادّكاره
حتى انتحاه البرق ينفض بعد إغفاء إزاره
فشجى الخليّ من الهوى ... وفؤاد من يهوى أطاره
لله ليلات مضت ... أدنت بمن أهوى مزاره
فنعمت منه بوقفةٍ ... في روضة كملت نضاره
ظبي أجاع وشاحه ... وأهاض من شبع سواره
طوراً أغازله وأسقيه من الصهباء تاره
ما كان أعذبهن لو ... لا مرّهن بلا مراره
أشبهن بارق رامة ... بالومض لا بالاستطاره
أو جمع عبد الله(٢) يشفي وهو مختصر العباره

(١) قالها تقريضاً لمؤلف السيد العلامة عبد الله بن عيسى الذي سماه الحدائق وفيه ترجمة للشاعر صاحب هذا الديوان.

(٢) السيد عبد الله بن عيسى بن محمد بن الحسين الكوكباني من آل الإمام شرف الدين، مولده سنة ١١٧٥هـ بحصن كوكبان وبه نشأ وتعلم، وكان عالماً محققاً وأديباً حافظاً، وكاتباً وشاعراً، وكتابه "الحدائق" ترجم فيه

قلنـــا هـــو العـــسل المـــشار وحـــبره الـــرق المـــماره
وخجلــت عنــد ســماع ذكــر   كنــت لا أبغـــي انتـــشاره
فوقفـــت مـــن تـــشبيه مـــا   نظرتـــه عينـــي في حجـــاره
أعـــصاً تخللّـــت القواضـــب أو حـــصاة في محـــاره؟
وغـــدا لـــسانُ الحـــال تـــصريحاً يخاطـــب لا إشـــاره
هـــا قـــد ذكـــرت عـــلى اعوجـــا   ج بـــيّنٍ فلـــك البـــشاره
لا غـــرو إن كملـــت محـــا   ســـنه وكـــان لـــه الـــصداره
ومنـــير طلعتـــه و"مطلـــع" نـــوره بـــدر الأمـــاره
وحـــسام صـــولتها الـــذي هابـــت حواســـدها غـــراره
مـــن فتيـــة رفعـــت بهـــم   في المجـــد والعليـــا منـــاره
فهـــم بـــدور في الحمـــى   وهـــم ســـيوف في المغـــاره
ولأنـــت أمـــضاهم شـــبا   ولأنـــت أكملهـــم إنـــاره

٦٠. جَهدُ المقِل

يـا سـقى الـرحمن عهـداً بـاللوى   لأحبـــائي بعهـــد مـــستهلِ
فبـــه ريْـــق لأيـــام الـــصّبا   واحتـــسى كاســـاتها عـــلاً بعـــلِّ
معهـــدٌ تهـــواه أرواح الـــصَّبا[١]   ولهـــا بالغـــصن منـــه أي شـــغلِ
فلـــذا بثـــت إليـــه حُزنهـــا   فهـــي تـــستدنيه والورقـــاء تمـــلي
خرســـت عنـــد لقـــاه وكـــذا   شأن أهل الحبّ مـن بعـدٍ وقبـل

لمن عاصره من أدباء اليمن وغيرهم، والتزم أن لا يذكر إلا من له شعر وهو في مجلد ضخم، وله عـدة مؤلفـات وديوان شعر، وتوفي سنة ١٢٢٤هـ، وانظر (نيل الوطر) ج٢ ص ٩٢-٩٤.

(١) الصَّبا بالفتح.

وبهـا الأحبـاب سـكان ومـا حسن ربع ما هـم فيه بحلّ؟
فلـذا فارقتـه عـن عـرضٍ وتبـدلت بربـع لا بأهـل
(مـا وقـوفي بمحـلٍ سـاكنٍ بفـؤادي أهلـه لا بالمحـل)[1]
أيـنما يممـتُ بحـراً أو فـلاً فهـم منِّـيَ في مـاء وظـل
يـا سـليل الـسادة الغـرّ ويـا مـن هـو المـدعوّ بـالمولى الأجـل
هـاك نظـماً شـاكراً مـولى العـلى شرف الإسلام حاوي كلّ فضل
سـبق الـسباق طـرّاً وجـلا فهمـه مستـشكلاً فهـو المجـلّي
فـإذا أقـصدت فالقـصد وإن لم أصب قصداً فذا جهد المقل

٦١. يا بارقاً من نحو دارهم

حتـام[2] لا وصـلٌ ولا وعـد هيهـات مـا لنـوالكم بعـد
مـا بـال مـن شـطَّت منازلهم حـالوا فـلا عهـد ولا ودّ؟
أنـسوا محبّـاً أيـنما رحلـوا ففـؤاده بمطيّـة يحـدو
يكفيـه حبّـاً أنهـم نزحـوا عنـه وأيـسر خطبـه الوجـد
مـا كنـت أحـسب أن حـبّهم مـرٌّ فـإن مذاقـه شـهد
يـا بارقـاً مـن نحـو دارهـم لا زال يلـثم تربهـا العهـد
لـولا الـذي فارقـت مـن شـنب في الثغـر قلـت تبـسمت هنـد
يـا نـسمة الـصبح التـي نـسمت أعليـك مـن أثوابهـا بـرد؟

(١) للشاعر محمد بن علي بن فارس الواسطي (ابن المعلم).
(٢) حتام: أي حتى ما، إلى متى.

ورشـيقة الأعطـاف مثقلـة الأرداف مـا لجمالهـا نـدُّ

كـالرّيم إن لحظت ومن عجبٍ ريـم تحـاذر فتكـة الأسـد

تمـشي وتـسحب ذيلهـا مرحـاً فيفـوح منـه المـسك والنـدُّ

والـدلّ ينبـت في مـساحبه والحـسن مـن آثـاره يبـدو

لم أنـسها إذ واصـلت سـحراً والليـل مثـل الـشعر مـسود

حيـت تحيـة خـائفٍ وجـلٍ ونظرتهـا فتعـذّر الـردُّ

وطفقـت في وجـهٍ وفي شـعرٍ طـوراً أروح وتـارة أغـدو

يـا صـاحبيَّ ألا أبـثّكُما خـبراً يـذوب لبثـه الـصَّلد

إني عهـدت لهـا علـى ثقـةٍ مـن حفظهـا فتغـيَّر العهـد

ولكـم أخٍ صـافيته زمنـاً وودتّـه مـا أمكـن الـودُّ

حتـى إذا مـا غـاب عـن نظـري ذهـب الوفـا وتبـيَّن الحقـد

حاشـا ضـياء الـدين[1] إن لـه في الحـب ورداً حبّـذا الـورد

عـين الأفاضـل ثـم آخـرهم دهـراً وأوّلهـم إذا عـدّوا

الحـائز الفخـر الـذي قـصرت عنـه الـسراة الجـوهر الفـرد

أوصـاف مجـدٍ لا تعرّفـه لكـن بـه يتعـرف المجـد

سـيّان سـاحته وراحتـه وكلاهمـا لذكائـه ضـدُّ

لـو رمـت أن تحـصي فـضائله عـدّاً لـضاق بحـصرها العـد

لكـن إشـارتنا إلى جمـلٍ منهـا بهـا يتبـين القـصد

---

(١) السيد ناصر بن محمد إسحاق.

فالمسك يثني عند نفحته   عن طيبه وكذلك الورد
مولاي يا من بالنظام بلا   شك إليه الحلّ والعقد
قلّدتَني دُرَرَ المديح وقد   يعلو بذكر المالك العبد
لكنّه قد غاص مجتهداً   في بحر درّك فكره اللد
فرست سفينته وحق لها   هل بالفرات يقابل الثمد؟
وأتى بما لولا مديحك ما   حسن اليراع بمثله يبدو
فاستره إفضالاً ودم أبداً   تغشاك فينا عيشة رغد

٦٢. شمس الأصيل

بادر لتشهد أيّ يوم جُمعت   في فرده كل المحاسن بادرِ
فالسّحب زانت جوّه بمطارفٍ   والنَّهر حلى غصنه بأساورِ
من أبيضٍ يقَقٍ وأصفر فاقعٍ   سمح الأصيل به وأخضر ناظرِ
والقطر في شمس الأصيل كأنجمٍ   منقضّة أو لؤلؤ متناثر
وترى الغدير لوقع أسهم نبله   يلقى صوائبها بدرع سابري
وشدا لنا شاد يجاذب ناظري   سمعي ويحسد فيه سمعي ناظري
فالعين ظافرة بسهم نافذٍ   والسمع ممنوح بحظ وافر

٦٣. أحبتنا

سلام على المنزل الأقدس   يخصّك يا مشتهى الأنفس
رسولي به النسمات التي   أعيرت شذا الورد والنرجس

ومـرت بـروض فهبّـت وقـد ... تلـوّت بألوانـه المـيّس

بعثـت[1] ليَ الزهـر في مهـرقٍ ... ولم تطلـع الزُّهـر في الأطلـس

نـسيباً كـريش سـهام حـدا ... غروبـاً مـن العتـب لم ينكس

وأهـلاً بهـا إنهـا بـشّرت ... بـإشراق إطلاقـك المـشمس

وأبـدت بـدور المنى فانجلـت ... إهـاب مـن الهـم كالحنـدس

أحبَّتنـا كيـف ألقـى الـسرور ولم يبـتهج بكـم مجلـسي؟

بعـدتم فـما الـروض قـد راق لي ... ولـيس النـسيم بمـستأنس

ولا العـذب مـن بعـدكم سائغٌ ... ولا أوعـس الرمـل بـالأوعس

صـلوا بغتـة أو عـدوا واخلفـوا ... كفـى بالمواعيـد مـن مـؤنس

لكم من هـوى القلـب مـا لم يـشب ... بعـذل العـذول ولم يـدنس

تيَقنـتمُ الحـب لكـنكم ... صـنعتم بنـا صـنع مـستيأس

وألزمتمـوني مـا لم يجُـلْ ... بفكـر الـبريّ ولم يهجـس

فكنـت كـذي العِـرّ يكـوى سـواه لـداء بـه وهـو لم يُمـسس

وإن صـدر الـذنب مـن محـسنٍ ... فـصفحاً فـديتكم عـن مـسي

٦٤. أسير الهوى[2]

أفي العـدل أن أمـسي بهَـمٍّ وبلبـال

وأنـت فـدتك الـنفس ناعمـة البـال؟

هبـي أن وجـدي منـك حُلـواً مذاقـه

لـديّ فهـل كـان الجـزاء بإجمـال؟

---

(١) يقصد ابن عمه إسماعيل بن علي بن أحمد إسحاق رداً على قصيدة مطلعها:

لقـد كـان ذكـركم مؤنـسي ... فـفيم تُنوسـيت فـيمن نـسي

(٢) السيد الأديب العالم الشاعر الحسين بن محمد بن الحسين الجرموزي الصنعاني.

ولم أنــس تهــويم الــرؤوس مــن الكــرىٰ

عــشية تعريــسي بــذي الطلــح والــضال

وطيــف خيــالٍ منــك والنــاس هجّــع

فبــتّ بمغنــىٰ مــن خيالــك ميهــال

أســـائله أنّي اهتـــديت لوامـــقٍ

تبطّنــه جفــن الظــلام بــأطلال؟

أســير هــوىٰ لا يخــرق العــذل سـمعه

طـريح جـوىٰ عـن دميـة القـصر سـآل

ولا يــوم تــوديعي لهــا حــين لا ســوىٰ

إشــارة كــفٍّ أو تلفّــت معطــال

وكتمـــي هواهـــا ضِـــنَّةً ومـــدامعي

تحــدّث عــن قلبــي المــشوق بإجمــال

وأنّــىٰ لــدمعي أن يكفكــف بعــدما

تعثَّــر مــن هــدب الجفــون بأذيــال؟

ولله قلبـــي إذ حكـــىٰ خفـــق قرطهـــا

فهـــلاّ روىٰ عنهـــا تـــوقر خلخـــال؟

وكنـــت أعـــدّ الـــصبر جُنـــة[1] هجرهـــا

فأنهكـــــه إلا بقيـــــة أســـــمال

ومطلولـــة الأوراق ناعمـــة الثـــرىٰ

ألـــحّ عليهـــا كـــل أســـود منهـــال

---

(١) الجنة بالضم: أي كل ماوقى.

أثــارت لــذات الطــوق أزهارهــا شــجىً
فهاجــت بــسجع في ذرىً غُــصُنٍ عــالي
قطعــت بهــا شــوطاً مــن العمــر لم أكــن
لعمـــرك مـــن تـــذكاره أبـــداً ســـالي
و بـــدّلني عنهـــا الحـــسين[1] بروضـــة
مـــن الـــنظم مئنـــاف البـــدائع محـــلال
أفـــاض عليهـــا النـــور مـــن نـــار فهمـــه
وأخـــضلها مـــن لفظـــه أيّ إخـــضال
وجملهـــا مـــن خلقـــه الـــسهل نفحـــة
فوافـــت إلينـــا مـــن شـــذاه بتمثـــال
بنفـــسي أخـــلاق الحـــسين فإنهـــا
شـــبيهة أخـــلاق الممـــدّ بميكـــال
لقـــد ســـعدت منـــه المعـــالي بكامـــلٍ
أغـــر كـــريم طـــاهر العـــرض مفـــضال
وعفـــواً فـــدتك الـــنفس عنـــي إننـــي
أثبتـــك بالحـــصباء عـــن در أقـــوال
بقيـــت لإحيـــاء المـــآثر والعـــلى
وجمـــع شـــتيت المكرمـــات بـــإكمال
وأســـنى ســـلام منـــه أحـــلى مـــن المنـــى
وأعـــذب مـــن صـــافي المناقـــع سلـــسال

---

(١) هو الشاعر الحسين بن محمد بن الحسين الجرموزي الصنعاني.

٦٥. لا تعذليه

لا تعذليـــــــه فلـــــــيس ذاك بـــــــشافي
مـــا نـــال مـــن ألم الـــصبابة كـــافي
ســـكن الهـــوى منـــه بحيـــث تقـــاصرت
عنـــــه سرائـــــر خلــــــص الآلاّف
شـــغلته عـــن ســـمع الملامـــة لوعـــة
تـــزداد إن ذكـــر الغـــدير الـــصّافي
حيـــــاه منهـــــلُّ الغـــــمام بجــــوده
وهمـــــى عليـــــه بـــــدلوه الغـــــراف
وردٌ وقـــــاه عـــــن النـــــوازح غلفـــــق
أحـــوى وصـــفّقه النـــسيم الهـــافي
الزهـــــر في أرجائـــــه غرقـــــى فمـــــن
رأس هنالـــــك لا يبـــــين وطـــــافي
كـــــسيت ظـــــواهره قـــــوادم درة
فـــإذا كـــشفت فمـــن جنـــاح غـــداف
كـــم فيـــه مـــن متكـــبرٍ بجمالـــهِ
متبخـــــتر في بـــــردة الأفـــــواف
ويمهجتـــــي مقـــــصورة في روضـــــة
بيـــــضاء تمـــــزج دلّهـــــا بعفـــــاف

بلهـــا[1] تلعـــب مـــن جوانـــب ســـيفه
في ظـــل مونقـــة بـــزرق نطـــاف
مـــا زلـــت أمنحهـــا بغـــير ملالـــة
ودّي فعـــدت بعكـــسه إضـــعافي
فـــشربت كـــأس الحـــب غـــير معـــاقرٍ
فيـــه لقـــد صـــافيت غـــير مـــصاف[2]
آه وآه حـــرف مـــن تركـــت لـــه
في ســـفح جيرتـــه ثـــلاث أثـــافي
ويـــدت لـــه مـــن بعـــد أن جـــدّ النـــوىٰ
وهنـــا بـــوارق جمّـــة الترجـــاف
باتـــت تلـــوح وتختفـــي فكأنهـــا
ســـاعات وصـــل في زمـــان تجـــافي
أنّـــىٰ يطيـــب لـــه النـــزول بروضـــةٍ
مطلولـــة أوراقهـــا مئنـــاف؟
ذمّ المنـــازل بعـــد منزلـــة اللـــوىٰ
والعـــيش بعـــد أولئـــك الأحـــلاف
مـــا الـــروض إلاّ مـــا أتـــىٰ مـــن نحـــوهم
في مهـــرق والفـــضل لـــيس بخـــافي
ومعـــاقري في الخمـــر قلـــت لـــه أصِـــخْ
عنـــي لأبيـــات أتـــين طـــراف

(١) بلها: وفي نسخة: تلها. مؤنث أبله وهو من عيي في حجته.
(٢) البيت كاملاً وجد في كل النسخ كما هو موضح.

وطفقــت أنــشدها وأدهــق كأســه
فيريقـــه ويقـــول تلـــك ســـلافي

هــي راحــة الألبــاب بــل هــي روضــــ
ـــة الآداب بـــل هـــي عنـــبر المـــستاف

دع مـــن ينـــوح عـــلى الـــديار وعـــدّ عـــن
تلـــك المنـــازل والكثيـــب العـــافي

لا ترتـــضي في المجـــد حـــسن مخـــصّر
الأوســـاط عنـــد محجّـــل الأطـــراف

طـــرف نمتـــه مـــن الهجـــان ســـوابق
قـــبّ البطـــون ســـوانع الأعـــراف

وظبـــاء وجـــرة[1] لا يغـــرّك حـــسنها
مـــا الحـــسن إلا في ظبـــى الأســـياف

فاجعـــل خليلـــك في المعـــارك صـــارماً
يـــا حبـــذا هـــو مـــن خليـــل واف

مـــا مثـــل مالكنـــا الـــضياء ممجـــداً
يـــروي حـــديث الفخـــر عـــن أســـلاف

يرويـــه عـــن أحـــسابه وجـــدوده
عـــن عـــصبة مـــن آل عبـــد منـــاف

هـــم أصـــل كـــل كريمـــة ونجارهـــا
فاجمـــل وخـــل تعـــدّد الأوصـــاف

---

(١) وجرة: بلدة تقع بين مكة والبصرة. والظبى جمع ظبة: أي حد السيف.

لا أرتـــضي قـــولي يقابـــل قولـــه[1]

أنّـــى يقـــاس الـــدرّ بالأصـــداف؟

لا زال بـــدراً في الظـــلام ومزنـــه

عنـــد الأوام[2] ومـــورداً للعـــافي

٦٦. أوجه الحسن

وقـــالوا هويـــت الـــروض بعـــد فراقنـــا

وآثرتـــه أيـــن الوفـــا المتقـــدّم؟

نعـــم صـــدّقوا نهـــوى الريـــاض وزهرهـــا

لِـــا أخـــذت مـــن أَوْجُـــهِ الحـــسن عـــنهم

يفـــوح لنـــا بـــالورد نـــشر بـــرودهم

ويبـــدو لنـــا عنـــد الأقـــاح التبـــسّم

هـــمُ حـــسَّنوا الـــدنيا لنـــا بوجـــودهم

فكيـــف نـــرى لـــلأرض فـــضلاً علـــيهم؟

وهـــم حبَّبـــوا القـــصر المنيـــع جنابـــه

إلينـــا وهـــم أقـــاره وهـــم هـــم

---

(١) هو ابن عمه إسماعيل علي بن أحمد إسحاق.

(٢) الأوام: شدة الحر مع العطش.

٦٧. مغرم بالحور

حـــور طلعـــن عـــلى متـــون الأينـــق
وقـــصرن في غرفـــات روض مونـــق
أقـــصى منـــى عـــشاقهن تحيـــة
عـــن مغـــضب أو نظـــرة مـــن محنـــق
عجبـــاً لمـــا يمّمتـــه لم يقـــترب
ولأربـــع فارقتهـــا لم تلحـــق
يـــا للرعابيـــب[1] الـــضعيفات القـــوى
يفـــتكن بالبطـــل المعـــدّ الفيلـــق
يـــضعفنه عـــن حمـــل أسـلحة الـــوغى
فيظـــلّ يرعـــد بالـــسنان الأزرق
(ويـــود تقبيـــل الـــسيوف لأنهـــا
برقـــت كبـــارق ثغرهـــا المتـــألق)[2]
ويـــذرنَ إن فـــتّرنَ طرفـــاً ناعـــساً
قلـــب الهزبـــر بكـــف ريـــم أفـــرق
لا يـــستملن لوامـــق بـــشفاعة
إن لم يـــشفع مـــن صـــباه بريِّـــق
أو بالفرائـــد مـــن نظـــام مهـــذبٍ
فـــن البيـــان لغـــيره لم يخلـــق

---

(١) الرعبوبة: أي الجارية.

(٢) أصل البيت لعنترة بن شداد العبسي:

وأودتقبيـــل الـــسيوف لأنهـــا برقـــت كبـــارق ثغـــرك المتبـــسم

مــــن للخرائـــــد[1] باتـــــساق عقودهـــا
مــــن درّ منطقـــــه الـــــذي لم يفتـــق
ولمغـــرم بـــالحور لـــو أمـــسى عـــلى
وعـــــد بزورتهـــــا وإن لم تـــــصدق
حـــسب القتيـــل بهـــا دنـــوّاً أنهـــا
لم تخـــل منـــه عـــن فـــؤاد شـــيّق
يـــصبو إلى تلـــك الطلـــول لحبهـــا
ويزيـــده شـــجناً ســـجوع الأورق
حيّـــا الكثيـــب الفـــرد هتّـــان الحيـــا
وســـقاه صـــوب العـــارض المتـــدفق
لم أنـــس أيـــامي بـــه الغـــرّ التـــي
أخـــذت عـــلى نـــوب الزمـــان بموثـــق
وربيعـــه قـــد مـــدّ فيـــه سندســـاً
غطّـــى الـــسحاب عليـــه بالاســـتبرق
ولـــسحبه ولنهـــره ولزهـــره
عينـــا مـــشوق وانتـــسام مـــشوّق
وعيـــون نرجـــسه كمقلـــة حـــائرٍ
رام الجـــواب عـــلى البليـــغ المفلـــق[2]
مـــا زال يبعـــث فكـــره ليمـــدّه
بـــدائع الكلـــم التـــي لم تـــسبق

(١) الخريدة: الخرود: البكر التي لم تمس، أو اللؤلؤة التي لم تثقب.
(٢) المفلق: يقول الزمخشري في أساس البلاغة: وشاعر يأتي بالفلق، وهو العجب.

فيعـــود صـــفر الكـــف عـــمّا رامـــه
يـــصف الكـــلال ولات[1] حـــين تعمّـــق
يـــا ذا الـــذي قـــاس الحـــسين بغـــيره
هيهـــات دون منـــاك هـــدم الأبلـــق[2]
إن الفـــضائل والفواضـــل كلهـــا
أرج بغـــير بـــروده لم يعبـــق
مـــولاي يـــا شرف المعـــالي والهـــدى
مهـــلاً لقـــد طوّقـــت غـــير مطـــوّق
فاعـــذر إذا قابلـــت درّك بالحـــصى
وعـــدلت عـــذباً ســـائغاً بمرنّـــق
واســـلم ودم في نعمـــةٍ وســـعادةٍ
تغـــشاك خـــير تحيـــة مـــن شـــيّق

٦٨. حديث النفس

مـــا للفـــراق وعيـــده لا يكـــذب
حتّـــام أشـــكو البـــين أو أتعتّـــب؟
ولقـــد طربـــت لـــضوء بـــرق آلِـــق
دون الكثيـــب ســـقاه غـــاد صـــيّب
أضـــحى يلمـــح للفـــؤاد ولم يـــرث
إن قـــام نحـــو دعائـــه يتوثّـــب

(١) لات: أداة نفي تعمل عمل ليس.
(٢) الأبلق: حصن مشهور حينها للسموءل ابن عاديا.

غلــط الــذي قــال الــبروق شــبيهة
بــالثغر لا فهــي الــبرود الأشــنب
أو قــال إن الــبرق رام تعلــماً
كــذبت أمانيــه وعــزّ المطلــب
مــا الــبرق إلا مرســل لقلوبنــا
بعــض يجــيء بهــا وبعــض يــذهب
يــا نــازلين بــذي الأراك لأنــتم
ســكان قلبــي فابعــدوا أو اقربــوا
ذكــراكم ومــدامعي ومــدائحي
روض وأنهــار وطــير مطــرب
تــالله مــا ذَوِيَــتْ أزاهِــرُ ودّكــم
أنــى ولم تــك مــن دمــوعي تجــدب؟
أنــتم حــديث الــنفس في خلواتهــا
وعــذابها فــيكم يلــذ ويعــذب
لله روضــة حــاتم فهــي التــي
روض الأمــاني في رباهــا مخــصب
أيــام كنــت أجــرّ في عرصــاتها
ذيــل البــشاشة والــسرور وأســحب
حتــى تجهّمنــي الزمــان بفرقــةٍ
قــد كنــت منهــا خائفــاً أترقــب
عجبــاً لــه مــا كــان أسرع ســيره
أولا فــإن الــبطء منــه أعجــب
فالــدهر مثــل المنجنيــق بأهلــهِ
يجــري سريعــاً والليــالي قُلَّــب

كــم فيــه مــن عــبر لمعتــبرٍ وكــم
أعجوبــة فيــه لمــن يتعجّــب
هــي حكمــة الله البديعــة قــد قــضت
مــا لا يظــنّ مــن الأمــور ويحــسب
مــا لاحظــت حــدق النــواظر كنههــا
إلا رجعــن وهــنَّ حــسرى خيّــب
ردّت لنــا شــمس الوصــال وأينعــت
أزهــاره وهفــا شــذاه الأطيــب
وعلــيكم أســنى التحيــة مــن فتــى
أبــداً إلى اللقيــا يحــنُّ ويطــرب

٦٩. لله أيامي

دع عنــك تــذكار الــديار وخطــاب موحــشة الأوار[١]
لله أيــــامي ولــــيلاتي الخليقــــة بادّكــــاري
وظــلال أيــام الــشبيبة حاجــب شــمس اعتبــاري
وطــلا[٢] صــباي يجــول في عــودي فيــسلبني وقــاري
أيــام إن أجنــي فــلي وزر تقــال بــه عثــاري
وإذا نظمــت الــشعر جئــت بــما يجــلّ عــن المبــاري
وهــزت أعطــاف القريحــة بــاختراع وابتكــار
غــزل ترشــفه المــسا مــع بــل تــزان بــه الجــواري
والــدهر طلــق الوجــه منقــاد عــلى وفــق اختيــاري
فالــصبح ثغــر عــشيتي والليــل خــال في نهــاري

---

(١) الأوار: حر الشمس، والعطش.
(٢) الطلا: أي الخمر.

خمس وعشرون اهتصرن[1] شبيبتي أي اهتصار
وترشفت عيني كرشف أخي البطالة للعقار[2]
ما العيش إلا قبل نجم الثدي أو نبت العذار[3]

* * *

من مبلغ عني الوجيه[4] بحيث مستمع السرار
صوب البلاغة والبراعة عين أعيان الكبار
ومطيق أعباء الكمال ولم يطق لوث الأزار
أني شهدت بنظمه زهراً بمتصف النهار
وذوى به روض الشقيق وكان مئناف[5] الثمار
وإليه مني ما يقول بملء فيه أقلْ عثاري
وعليه خير تحية ما سار في الظلماء ساري

٧٠. لو أن عمري

شوقي إلى المولى[6] الرفيع محله
شوق مفارقه المجود أقله
لو أن عمري لا يخيّب لي منى
لم أرض غير لقاه فهو أجله

---

(١) الهصر: الجذب والإمالة.
(٢) الخمر لمعاقرتها؛ أي لإدمانها.
(٣) العذار: أي الشعر الذي يحاذي الأذن.
(٤) القاضي العالم الأديب الراوية الشاعر عبد الرحمن بن يحيى الآنسي الصنعاني، ولد سنة ١١٦٨هـ ترجمه الشوكاني في (البدر الطالع) وهو والد الشاعر الكبير أحمد بن عبد الرحمن الآنسي، وانظر (البدر الطالع) ج٢، و(نيل الوطر) للمؤرخ زبارة ج٢، ص ٤٣، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ.
(٥) المئناف: الروض المثمر ما لم يقطف.
(٦) هو السيد العلامة الحافظ إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد الكوكباني من آل الإمام شرف الدين.

لا بـــل بحـــسبي أن أقبّـــل موطنـــاً
قـــد مـــس تربتـــه الـــشريفة نعلـــه
لم أنـــس ســـالف بـــرّه أو أقـــض أيـــسـ
ـــــر حقـــه إذ لـــيس يُقـــضى كلـــه
يـــا مالكـــاً حـــاز المكـــارم جـــدّه
وكـــذا أبـــوه ومثـــل ذلـــك نجلـــه
مـــا زال فكـــري بعـــد أن فارقتـــه
يـــشكو الكـــلال وفي حـــديثك بلّـــه[1]
والنـــار تخبـــو إن تركـــت ضـــرامها
والـــسيف يـــصدأ إن تـــأخر صـــقله
قـــد كنـــت تـــسقيه العلـــوم فينتـــشي
ثمـــلاً كأنـــك بالمـــدام تُعِلّـــهُ
فبحـــق فـــضلك جـــد بـــما عودّتـــه
كرمـــاً وأنـــت بغـــير شـــك أهلُـــه
أســـنى الـــسلام عليـــك منـــي كلّـــما
هـــبَّ النـــسيم وجـــاد صـــبّاً ويْلُـــهُ

٧١. أيام الوصل

إذا مـــا حالـــت الأيـــام بينـــي ... وبينـــك ربّـــما أدنـــى ادكـــار
وربَّ مـــودَّةٍ في الغيـــب صـــحت ... ولم يكـــشف لخالـــصها خمـــار
وإنّ لِـــمَنْ شروط الحـــب أن لا ... يـــسوّفه زمـــان أو ديـــار
فكـــلّ زمانـــه أيـــام وصـــل ... نـــسرّ بهـــا وكـــل الأرض دار

(١) البل: الشفاء.

٧٢. حوارية الغيم

إن للغـــــيم عـــــلى الأرض يــــدُ
أنـــت[١] لا تجحـــــدها إلا شـــــقاقا
مــــسح الله بـــــه عـــــن وجههـــــا
رحمـــــة منـــــه حمـــــيماً وغـــــساقا
إنـــــما الغـــــيم خيـــــام نـــــصبت
أن تمـــسّ الـــشمس أجـــساماً رقاقـــا

---

(١) السيد الأديب الشاعر الحافظ الصوفي أحمد بن عبدالكريم إسحاق، قال عن الغيم هذه القصيدة:
مـــا احتجـــاب الـــشمس عـــن وجـــه الـــسما
طـــــاب إلا للخفـــــافيش وراقـــــا
بـــــين نفـــــسي وســـــناها نـــــسبة
لا قـــــضى بيـــــنهما الله افتراقـــــا
وكـــــذا بـــــين صـــــدا فكـــــري وبـــــين
ســـــحاب ســـــاتر كـــــان اتفاقـــــا
ضربـــــت في الـــــذكر أيـــــضاً مـــــثلاً
لظـــــلام الكفـــــر تمثـــــيلاً وفاقـــــا
ثـــــم في الأشـــــعار بـــــالأعراض أو
برقيـــــب عـــــن لقـــــاء الخـــــلّ عاقـــــا
أنـــــا لا أرتـــــاح في الغـــــيم وقـــــد
كـــــان مـــــشتقاً مـــــن الغـــــمّ اشـــــتقاقا
إن عنـــــدي ســـــحب الجـــــوّ قـــــذى
كـــــلّ مـــــن عـــــاف قـــــذى كـــــأس أراقـــــا
مـــــا عـــــلى مادحهـــــا مـــــن لومـــــة
يـــــستلذ المـــــرّ مـــــن ســـــاء مـــــذاقا
بـــــدّدت ريـــــح النعـــــامى شـــــملها
وبـــــصوت الرعـــــد أبكاهـــــا اختراقـــــا
ورمـــــى الـــــومض لآلي عقـــــدها
بانتشـــــار لا يـــــرى فيـــــه اتـــــساقا
لا رقـــــت في الجـــــوّ إلا أن تـــــرى
ترشـــــف الأزهـــــار أكوابـــــاً دهاقـــــا

وإذا مــــــــدت حـــــــواشي بُـــــــرده
فـــوق أكـــمام الثـــرى كـــان نطاقـــا
تنظـــــــر الجـــــوّ كئيبــــــاً محنقـــــاً
فـــــإذا زِيـــــنَ بــــــه رقَّ وراقـــــا
كمليــــــــك رافـــــــلٍ في حلـــــــلٍ
ســـاحب الأذيـــال لا يكـــشف ســـاقا
ســـنّ "كـــسرى" لـــذة الـــصيد بـــه
وليـــوم الـــشمس أهـــوالاً تلاقـــى
قـــل لمـــن يلهـــج بالـــشمس أفـــق
لـــيس في الجنـــة مـــن شـــمس وفاقـــا
حجـــب الخـــالق عـــن أبـــصارنا
وجههـــا إمـــا خُـــسوفاً أو محاقـــا
لا تمـــــس الأرض إلا أن تـــــرى
تبعـــث الـــسحب إلى الجـــو دفاقـــا

٧٣. كريم الخلال

إن ربـــع الآداب في ســـاحاتك عـــامر عـــاطر بطيـــب صـــفاتك
ثابـت الأصـل باسـق الفـرع سـامٍ عـاكف واقـف عـلى عرفاتـك
إن نبـا منـزل بـه فهـو ثـاو في مقـام ممنّـع بحماتـك
وإذا مـسّه مـن الجهـل هـون نـصرته كتائـب مـن كماتـك
يـا كـريم الخـلال يـا معجـز القـول أتـاني البـشير مـن كلماتـك
إن شـكونا مـن الزمـان تنائيـك شـكرنا إمتاعـه بحياتـك
ورجونـا مـن الـذي زيّـن الـدهر بهـا أن يمـدّ في سـاعاتك

وســـألناه أن يمـــدّ بوصـــلٍ ممتـــع للعميـــد مـــن أوقاتـــك
فاشـــتياقي[1] إليـــك أكثـــر مـــن أن ينطـــوي في الـــسجل مـــن ورقاتـــك
وإذا مـــا ظفـــرت منـــك بـــودّ مـــؤذن بالـــدخول في دعواتـــك
فلقـــد فـــزت بالجزيـــل مـــن الحـــظ وحـــزت النـــصاب مـــن نفحاتـــك
وســـلام يغـــشى حمـــاك ولا زلـــت تبـــث الجميـــل مـــن حـــسناتك

٧٤. القات

سـقى الحيـا "عـافش" فـا"لعبَّسا"[2] مـواطن "القـات فلـن ييؤسـا
فــإن للقـــات نـــشاطاً إذا فــتّرت الكــاس التــي تحتــسى
إن أخـــذ القـــوم بخـــار الكـــرى فكـــادت الأعـــين أن تنعـــسا
روَّعـــه القـــات كترويـــع ذكـــر الله إبلـــيس إذا وسوســـا
لا وقـــت في الـــدهر كأوقاتـــه أروح للأنفـــاس أو أنفـــسا
حمـــائم الأفـــراح مـــن غـــصنه تـصاد كـي تـذهب كـلّ الأسـى
فعـــاطني منـــه "أنابيـــب" مـــن زبرجـدٍ قـد كـسيت سندسـا
وهاتهـــا بيـــضاء عفـــصية[3] ترشـف منهـا شـنباً ألعـسا[4]
بالمـــسك والعنـــبر والـــورد والوالـــة قـــدماً فغمتهـــا[5] النِّـــسا[6]

---

(١) الشيخ العلامة الأديب المتفنن الكاتب الشاعر أحمد بن محمد بن علي الشرواني من أبناء تهامة اليمن، ثـم هـاجر إلى الهند، وله عدة مؤلفات منها: (نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن) و(حديقة الأفراح لإزاحـة الأتـراح). ترجم له زبارة في نيل الوطر ج١، ص ٢١٢-٢١٤ .

(٢) "عافش" وكذا "العُبس": مناطق كانت مشهورة بزراعة "القات"، ولا تزال.

(٣) عفصية: آنية يشرب بها الماء.

(٤) ألعسا: يشير إلى ما كان يسمونه في صنعاء بالماء المبخر بأنواع التوابل والبخور.

(٥) فغمه الطيب: سد خياشيمه.

(٦) النِّسا: النبت الذي يظهر على الماء الراكد أو الطحالب.

٧٥. عهد الأحبة(١)

عظـــيم لعمـــري أن يطـــول بنـــا الهجـــر
وأن يتقــــضى في تفرقنــــا العمــــــر
ومـــــا بيننــــا إلا الهــــواء بِمــــدّه
وبالقـــــصر إلا أن مـــــسلكه وعـــــر
يـــــذكرني عهـــــد الأحبـــــة ســـــاجعٌ
مـن الـورق تخفـي شخـصه الـورق الخـضر
فيقـــدح زنـــد الـــشوق مـــن قلـــب شـــيّقٍ
ومـــا غـــاب عنـــه لا حبيـــب ولا وكـــر
كـــأن لـــه علـــم بمـــضمر لـــوعتي
فأظهرهـــا مـــن صـــوت منقـــاره زمـــر
ولـــو بحـــت بالـــشكوى ونحـــت كنوحـــه
وصرّحـــت بـــالمكنون لانـــصدع الـــصخر
ولـــو ســـاعدتني في البكـــاء مـــدامعي
عـــلى فقـــد مـــن أهـــواه لامتـــزج البحـــر
أعاتـــب نفـــسي مـــن فـــراق أحبتـــي
وأوســـعها لومـــاً فيعـــذرني الـــدهر
يبرّؤهـــا عـــن وصـــمة الهجـــر والقـــلى
وأن عليـــه في جنايتهـــا الـــوزر

---

(١) قالها عندما بعث إليه السيد محمد بن علي الأمير أبياتاً مطلعها:

لقـد كنـت أرجـو أن أزور وإنـما ... يزار الذي قد ضمّه اللحد والقبر

فأجاب عليه بهذه القصيدة.

وذاك لأن الـــــدهر لـــــيس بمعتـــــبٍ
ففــي ســمعه عــن كــل لائمــة وقــر
ولـــو كـــان ممّـــن يقبـــل العتـــب ســمعه
لعاتبتـــه حتـــى يـــضيق بـــه العـــذر
ولكننـــــي أنهيـــــت أمـــــر شـــــكايتي
إلى مـــن إليـــه ينتهـــي النهـــي والأمـــر
وآنـــست شرح الـــصّدر مـــن ســـورة بهـــا
تبـــيّن أن العـــسر يـــصحبه اليـــسر
فـــما ضـــاق صـــدري قـــط إلا تلوتهـــا
عـــلى ثقـــةٍ منّـــي فينـــشرح الـــصدر
وإن الـــــذي قـــــد أنـــــزل الله وحيهـــــا
عـــلى قلبـــه الأزكـــى لـــه عنـــده سرّ
ســــينظرنا منــــه بعــــين عنايــــةٍ
بهـــا تفـــرج الغـــمّا وينكـــشف الـــضرّ
عليـــــه صـــــلاة الله ثـــــم ســـــلامه
مـــع الآل طـــراً كلـــما طلـــع الفجـــر

٧٦. هذه عقيدتي

أهــــلاً بـــنظمٍ قـــد أتـــى ... نحـــوي بـــأنواع المنـــى
أهـــــــدى إليَّ روضـــــــة ... منهـــا البـــديع يجتنـــى
أشــــــــجارها دانيـــــــة ... قطوفهـــا لمـــن جنـــى
وقـــد جـــرت أنهارهـــا ... مـــن هاهنـــا وهاهنـــا
مـــن زينـــة العـــصر[1] الـــذي ... قـــد فـــاق كـــلّ القرنـــا
في العلـــم والزهـــد الـــذي ... زاحـــم فيـــه الحـــسنا
لا برحـــــــت أيامـــــــه ... موســـم عيـــد وهنـــا
وخـــصّه منـــا الـــسلام ... بالـــــسلام والثنـــــا
وجّهـــــت لي مـــــسائلاً ... قـــد حـــار فيهـــا الفطنـــا

---

(١) العالم الزاهد حسين بن علي المؤيدي، الذي أرسل هذه القصيدة :

مـــذا يقـــول شـــيخنا ... وســلـــسبيل عـــصرنا
وعـــين أعيـــان ذوي الفـــضل وليّ أمرنـــا
(حـــسام ديـــن الله) مـــن ... بـــه زهـــت أيامنـــا
في شـــأن قـــول ربّنـــا ... خـــصّ بـــأشرف الثنـــا
في محكـــم الـــذكر الـــذي ... جـــلا بـــه صـــدورنا؟
مـــن قولـــه: "ثـــم اســـتوى" ... "إلى الـــسماء" ثـــم دنـــا
وهكـــذا مـــا جـــاء مـــن ... ذكـــر بـــه ومـــا عنـــى
"بكـــشف ســـاق" يـــوم لا ... ينفـــع مـــال وجنـــى
هـــل تحمـــل الآي عـــلى ... المجـــاز أعطيـــت المنـــى
أو لا يجـــوز حملهـــا ... عليـــه في ملّتنـــا؟
بـــل نَقْـــفُ آثـــار الأولى ... جـــروا عـــلى أصـــل البنـــا
وهـــو فهـــل يـــستلزم الجـــسم لزومـــاً بيّنـــا؟
فأوضـــحوا لازلـــتم ... في طيـــب عـــيش وهنـــا

علـــم أصـــول ديننـــا لأجلهـــا قـــد دوّنـــا
واختلفـــت أقـــوالهم فيهـــا اختلافـــاً بيّنـــا
وكـــلّ حـــزبٍ مـــنهم يقـــصد قـــصداً حـــسنا
فالقـــائلون بالمجـــاز نزّهـــوا خالقنـــا
والآخـــرون ســـكتوا وآمنـــوا بـــما عنـــى
وخيرهـــا أســـلمها والـــصمت خـــير مقتنـــى
فـــالله غيـــب كلّـــه عـــن علمنـــا قـــد بطنـــا
لكنـــه دلّ بـــما نعرفـــه مـــن الثنـــا
عـــلى عظـــيم شـــأنه تعرّفـــاً منـــه لنـــا
وهـــو تعـــالى شـــأنه أكـــبر ممـــا دلنـــا
فـــامش مـــع اللفـــظ الـــذي قـــال بـــه إلهنـــا
والـــنفس مهـــما طمحـــت فقـــل لهـــا إلى هنـــا
إنـــك إن أوّلتـــه زال البهـــاء والـــسّنا
ولم نجـــد مـــن بعـــده لفظـــاً يكـــون أحـــسنا
فهـــذه عقيـــدتي واســـلم بقيـــت الزمنـــا

٧٧. ومن صحب الدنيا طويلا

تــــذكر ســــلعاً[١] والمحــــاجر والــــشعبا
فأرســل دمعــاً مــن محــاجره ســكبا

ومــــا بي شـــوقٌ للـــديار وحـــسنها
ولكــن إلى مــن كــان في جــسمها قلبــا

ولــــيس حيــــاة الــــدار إلا بأهلهــــا
ولا شرقهــا شرقــاً ولا غربهــا غربــا

هــــم أنــــسها مهــــما أقــــاموا فــــإن نــــأوا
تحــوّل ذاك الأنــس مــن بعــدهم كربــا

شــــكوت إلى الأطــــلال وحــــشة بيــــنهم
فقــال كــما قلــت الــصّدى وشــكا الحبّــا

ونحــــت بهــــا حتــــى رثــــى لي صــــاحبي
فأوســعته عــذراً وأوســعني عتبــا

ولــــو أنــــه فيهــــا رأى مــــا رأيتــــه
لبــل بوبــل مــن مدامعــه التربــا

عهــــدت بهــــا غــــصن الــــشبيبة يانعــــاً
وعيــشاً كــأني كنــت أقطعــه وثبــا[٢]

ولــــو سمــــح الــــدهر الجمــــوح بعودهــــا
لكــان كــأن لم يرتكــب أبــداً ذنبــا

---

(١) "سلعاً" "المحاجر" "الشعبا": أسماء لأماكن ومناطق مرَّ بها الشاعر.

(٢) عجز البيت للمتنبي، وصدره:

ذكــرت بــه وصــلاً كــأن لم أفــز بــه

ولــو أنهــا عــادت عــليّ لأنكــرت
خلائــق كانــت في الــشبيبة لي دأبــا
وصــبح مــشيب كــان مــن قبــل غاربــاً
وليــل شــباب قبلــه ســكن الغربــا
وصــبراً عــلى مــا لم أكــن قــط صــابراً
عليــه وعلــماً في الحــوادث بــالعقبى
وأذنــاً لتــوبيخ النــصيح ســميعة
وعينــاً تــرى مــا تــستفيد بــه لبــا
"ومــن صــحب الــدنيا طــويلاً تقلبــت
عــلى عينــه حتــى يــرى صــدقها كــذبا"[1]
وأذكــرني عهــد الــصَّبابة والــصبا
نظــام حبيــب مــا برحــت بــه صــبّا
رضــيت بــه نظــماً عــلى لحــن بعــضه
ووافقنــي طبعــاً وإن خــالف العربــا
فــلا زال يرقــى في المعــارف فهمــه
إلى أن يفوق الفخر و"السعد" و"القطبا"[2]
ولا زال يهــدي مــن بــدائع نظمــه
شــذوراً ومــن أســجاعه لؤلــؤاً رطبــا

---

(١) البيت للمتنبي.

(٢) لعلَّ الشاعر أشار إلى فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين، العالم والمفسر والفيلسوف، وترجمته في وفيات الأعيان ج٤ ص ١٤٨، وكذا السعد: إلى سعد الدين التفتازاني، وكان حجة في البلاغة وله عدة مؤلفات، انظر المنجد للتفتازاني، والقطب: لعله يقصد قطب الدين بن علاء الدين النهراولي، العالم الكبير، وترجمته في البدر الطالع للشوكاني، ج٢ ص ٥٧.

٧٨. نصح وإرشاد(١)

تجــرّد عــن همومــك يــا همــام ... وبــادر إن يلــم بــك المــلام
فقــد مــدّت إليــك يــد المعــالي ... بأســبابٍ يــتم بهــا القيــام
ومــا رضــيت ســواك لهــا خلــيلاً ... تنــاط بــه المهــمات الجــسام
أتــرضى أن تعــيش بــدار هــونٍ ... ولــيس لماجــد فيهــا مقــام؟
فطهــر ثــوب عزمــك عــن تــوانٍ ... وصــمّم مثــل مــا نفــذ الحــسام
وكــن مستمــسكاً بعــرى اتكــال ... عــلى الــرحمن لــيس لهــا انفــصام
ولا تــك بــالمهيمن ذا اتهــام ... فحــسن الظــن بــالمولى لــزام
ونيتــك المطيّــة في المــساعي ... وإن خلوصــها لهــو الزمــام
فــإن كانــت تــؤم ظهــور حــقٍ ... وتنحــو نحــوه فهــو الإمــام
وإن كانــت لرفــع الــذكر تبغــي ... فحظــك مــن متاعبــك الكــلام
أعيــذ كــمال ذاتــك عــن محــاقٍ ... وعرضــك أن يحــوم عليــه ذام
فأصــلك راســخٌ والفــرع نــام ... تفيّــل ظــلّ دوحتــه الأنــام
ولحظــك نحــو أقــصى العــزّ ســام ... وقــدرك لا يــضام ولا يــسام
ومــن كانــت حبيبتــه المعــالي ... فــدون وصــالها الخطــط العظــام
ولــو كانــت طريــق المجــد ســهلاً ... لمــا اختــصّت بمــسلكه الكــرام
فصن حجرات بيت العــزّ عــن أن ... يطــوف عــلى جوانبهــا اللئــام
وسر ســير الأهلّــة في بــروجٍ ... يكــون بقطــع دورتهــا الــتمام
ولا تــذخر ســوى التقــوى عتــاداً ... تنــل مــا ترتجيــه والــسلام

---

(١) لم يذكر جامع الديوان إلى من أرسل هذه القصيدة، وهـي مـن الـشعر الـسياسي التحريـضي الـذي يحـث عـلى الخروج، فإما أنه كان يحث بها نفسه، أو أحد الخارجين على الظلمة من أسرة آل القاسم.

٧٩. بعض الحلم جهل[١]

هنيئـــــاً نـــــم فـــــإني لا أنـــــام
ودع جـــــسمي يقلّبـــــه الغـــــرام
متـــى يـــشكو الـــشجي إلى خـــليٍّ
ليـــشكيه فقـــد بعـــد المـــرام
يقـــول لـــه تـــسلّ وكيـــف يـــسلو
"فـــؤاد مـــا تـــسلّيه المـــدام"[٢]
ويـــأمر بالتـــصبر والتـــأني
وهـــل يـــصفو لـــذي قلـــقٍ مقـــام؟
وأهـــون مـــن تـــصبّره المنايـــا
وأقـــرب مـــن تأنيـــه الحـــمام
يحلّمـــه وبعـــض الحلـــم جهـــلٌ
وبعـــض الـــصبر عجـــز واصـــطلام[٣]
فقـــد بلغـــت مبالغهـــا الرزايـــا
وللطبيـــين[٤] قـــد بلـــغ الحـــزام
لهـــذا الحـــين تـــدّخر العـــوالي
ويـــدّخر اجتهـــاد واهـــتمام

(١) لم يشر جامع الديوان إلى من بعث شاعرنا هذه الأبيات، ولا شك أن لها علاقة بالتي قبلها، وعلى رويّها، والتي قلنا إنها سياسية تحريضية، ولعل جامع الديوان قد تحرّج من تقييد وذكر أشعار صاحب الديوان السياسية.
(٢) عجز البيت للمتنبي.
(٣) اصطلم الشيء: أي استأصله.
(٤) الطبي -بالكسر والضم-: حلمات الضرع، ويقال: جاوز الحزام الطبيين: أي اشتد الأمر وجاوز حده.

إذا لم يكـــــشف الظلـــــماء بـــــدر
فطلعتـــــه ســـــواء والظــــلام
إذا لم يفـــــترس أســـــد فريـــــساً
يمـــــرّ بـــــه فبرثنـــــه[1] ثـــــمام
ودمـــــت ممتعـــــاً بلذيـــــذ عـــــيش
تنـــــال بـــــه الـــــسلامة والـــــسلام

٨٠. أغار على حظي

هجـــرت عـــلى كـــره حبيبـــي لحبـــه
لمـــا لم يكـــن لي في هـــواه نـــصيب
وعاتبتـــه في حـــب مـــن أنـــا كـــاره
فقـــال: ودعـــوى الحـــب منـــك عجيـــب
وهـــل يـــستقيم الحـــب حتـــى تحـــب مـــا
أحـــب فمحبـــوب الحبيـــب حبيـــب
فقلـــت لـــه: شـــتان بينـــي وبيـــنكم
ولـــيس ســـواءً خـــالص ومـــشوب
فحبـــي مقـــصور علـــيكم وحـــبكم
يكـــدره حـــب الـــسوى[2] ويـــشوب

(١) البرثن: مخلب الأسد. والثمام: نبت ضعيف.
(٢) السوى -بالكسر والضم-: أي الغير.

أغـــار عـــلى حظـــي مـــن الـــودّ أن أرى
يزاحمنـــــي فيـــــه الـــــسوى وينـــــوب
وأزمـــع صرمـــاً عـــنكم فيـــصدني
غـــرام لـــه بـــين الـــضلوع دبيـــب
فأصـــبر حتـــى يحكـــم الله بيننـــا
فيرجـــع غـــاو أو ينيـــب[1] منيـــب

٨١. الحلو عاد مراً

وعجيـــب أم لا فغـــير عجيـــب
فـــالهوى مـــورد لكـــل عجيـــب
إن مـــا كـــان في حـــضورك حلـــوٌ
عـــاد مـــر المـــذاق بعـــد المغيـــب
قـــد تحيلـــت للـــسرور بـــروض
ومـــدام فلـــم أفـــز بنـــصيب
إنـــما يبـــسم الزمـــان إذا غـــو
لـــط يومـــاً عـــلى لقـــاء حبيـــب
وسرور في غـــير وصـــل حبيـــب
كحبيـــب يكـــلا بعـــين رقيـــب

(١) ناب: أي تاب.

٨٢. عللاني

عَلِّلاني فقد قنعت بِعلَّا واسْقِياني بالذِّكر علاّ فعلا
واعُذراني إذا صَغَى عنكما سَمعي فَشُغلي عنهُم بهم ليس إلَّا
لوعة تملأ المحاجر دمعاً وهوى لم يدع من القلب فضلا
وحديث في النفس عنكم قديم دائمٌ لا أملّه حين يُملى
وإذا قلت مرةً أنزل الرّوض لعلي بحسنها أتملّى
أذكرتني محاسناً منك أبهى من سناها نوراً وأحلى وأعلا
أين زهر الأقاح من ذلك الثغر الذي لا أرى له الدرّ مثلا؟
أين ورد الغُصونِ من وردة الخدِّ التي تَبْهر النَّواظِر شَكلا؟
يا أحبّاي في تهامة بالنفس أقيكم من حرّها حين يغلى
ليت برد الهوى تعيه القوارير إذاً كنت مهدياً منه حملا
فإذا أفرغت عليكم أوانيه وطابت أرواحه واستهلا
فاح كالعنبر الذكي سلاماً من تضاعيفه يعمّ المحلا

٨٣. وَصفُ حدَّة[١]

قالوا: لحدَّةَ فضلٌ ما مِثله في الوجود
أشجارُها باسقاتٌ تزهو بزهر نضيد
وتحتها قد تجارت أنهارُها للوُفُودِ
لها كمال انتسابٍ إلى جنان الخلود
فقلت: حقاً وصفتم وشبهه من صعود

(١) حدّة: اسم منتزه بضواحي صنعاء.

كـــــأنما أنـــــت فيهــــا وأنـــــتَ غـــــيرُ وليــــــد

معـــــــذبٌ في هبــــــوط ومرهــــــقٌ في صــــــعود

فيهـــا مـــن الفجـــر حتَّـــى يمتـــدّ ظـــل القـــدود

وبعـــــد ذلـــــك فارْحَـــــل عنهـــــا بعـــــزمٍ أكيـــــد

فرَوْحُهـــــا في انتقـــــاصٍ وكربهـــــا في مزيـــــد

لا يـــدخل العـــصر حتـــى تعـــود نـــارُ الوقـــود

٨٤. فإن تعودوا تعد أيام ألفتنا[١]

يـــا أهـــل "نجـــدٍ" أتتنـــا مـــن شـــمائلكم
أنفـــاس ديـــن نبـــيٍّ أظهـــر الـــدينا

قلـــتُم لنـــا" لـــيس غـــيرُ الله خالقنـــا
يـــدعى إذا شـــدّة في الـــدَّهر تأتينـــا

قُلنـــا: صـــدقتُم وهـــل ربٌّ ســـواهُ لنـــا
يـــرى ويـــسمعُ بادينـــا وخافينـــا؟

قلـتُم: ولـيس سـوى الـذكر المبـين وهـــ
ـــدي المـصطفى مـن جميـع الخلـق كافينـا

قلنـــا: صـــدقتم همـــا أمـــران قـــد تركـــا
كـــما رواه لنـــا حفاظنـــا فينـــا

---

(١) شرح القصيدة كانت أثناء تحقيق الديوان بـأربع كـراريس في مكتبـة الجـامع الكبـير بـصنعاء، المكتبـة الغربيـة رقم ٥: ١-٤٥.

إلى هنـــا قـــد تَوافَقنـــا وصـــافح كـــلٍّ
كـــفّ صـــاحبه للعهـــد تمكينـــا

لكـــنَّكم بعـــد هـــذا إن أتـــى أحـــدٌ
ذنبـــاً قطَعـــتُم إخـــاهُ غـــير مُبقِينَـــا

ونحـــنُ إن أخطـــأ العـــاصي تحَوَّلـــه
بـــالوعظ صـــاحبه رفقـــاً وتليينـــا

ولم يـــزل بلطيـــف القـــول يعطفـــه
حتـــى يَفِـــيء لأمـــر الله بارينـــا

بـــالله مـــن كـــان منـــا نازعـــاً يـــده
ومُبْـــدياً لأخيـــه الـــبرَّ تخـــشينا؟

هـــل الـــذي قـــال قـــد أشركـــت حـــين بـــدت
بعـــض الإســـاءة مـــن بعـــض المـــسيئينا؟

وجـــاء بالـــسيف مـــسلولاً يروّعـــه
ويـــستحِلّ دمـــاً بـــالله قـــد صـــينا

فنـــال مـــن بهتـــه بالـــشرك أعظـــم مـــن
مـــا نـــال مـــن زلـــة عنـــد المحقّينـــا؟

أم الـــذي قـــال ربّ اغفـــر ذنـــوب أخـــي
فأنـــت أرحـــم مـــن صـــحبٍ وأهلينـــا؟

فـــأيّ حامـــلِ نفـــس مـــا ألم[1] وهـــل
لنـــا مـــن النـــار غـــير الله ينجينـــا؟
ألم يكـــن قـــد عـــصى مـــن قبلنـــا فَغَـــوى
في الخلـــدآدم أصـــل الآدميينـــا؟
فمـــن هنـــا قـــد تفارقنـــا وكـــان لنـــا
فـــضل المـــوفِّين بالعهـــد المُراعينـــا
فـــإن تعـــودوا تعـــد أيـــام أُلفتنـــا
أولا فلـــست وليّـــاً للمـــضلّينا
لا ســغت شربــة مــاءٍ مــا حييــت ولا
ترشّــفت شــفتي مــن شربــة شــينا
كـــلاّ ولا رنّقـــت[2] في مقلتـــي ســـنة
ولا مســـست بأجفـــاني لهـــا ســـينا
إن خـــالج الـــشك قلبـــي المطمـــئن بـــما
يـــرى مـــن الحـــق تعيينـــاً وتبيينـــا
تـــأبى عواصـــم مـــن ذي العـــرش ممـــسكةً
عـــلى الـــضمائر يعـــضدن البراهينـــا
توقفـــوا حيـــث أنـــتم لا أبـــاً لكـــم
الحـــق أوضـــح مـــن أن تـــستميلونا

(١) ألم: من اللمم وهي صغار الذنوب.
(٢) رنق النوم في عينيه: خالطهما. والسِّنة: النعاس، وأراد بالسين الحرف الأول من سنة.

عَـــدَوتُم الطـــور إذ طِـــرتم عــلى غـــررٍ

وكنـــتم عـــن جنـــاح الطـــير عارينـــا

مرقتُمـــو كمـــروق الـــسَّهم أنفـــذه

الرامـــي المـــصيب فظـــن الحـــق تخمينـــا

ضـــلَلتم عـــن ســـبيل الحـــق فاعترضـــت

لكـــم مـــسائل يَـــدْريها المُحِقُّونـــا

"كـــسبحة الـــذكر" أنـــسيتم فوائـــدها

و"قبلـــة الكـــف" مـــا بـــين المحيينـــا

لـــو كـــان للحـــق مغـــزاكم ومقـــصدكم

قلـــتم لأعلامنـــا في مثلهـــا افتونـــا

ســـقتم إلى الكعبـــة البيـــت الحـــرام أذى

مكـــان ســـوقكم للبـــدن[1] تمرينـــا

زحفـــتم بجيـــوش لا عديـــد لهـــا

لم يـــسمعوا ببيـــوت الله تأذينـــا

أجعـــتم أهلـــه والله أطعمهـــم

أخفتمـــوهم وكـــانوا مطمئنينـــا

هـــلا رعيـــتم لجـــار الله حرمتـــه

والله أمّنـــه بالبيـــت تأمينـــا

---

(١) البدنة: الناقة، وجمعها: بُدن.

لا يـــصلح الله رأيـــاً ضـــم شـــملكم

ويـــرحم الله عبـــداً قـــال آمينـــا[1]

أرجعـــتم الوفـــد ظمـــأىٰ عـــن مـــوارده

ظلـــماً وكنـــتم لهـــم عمـــداً محلينـــا

دعـــوا فلبـــوا فلـــما أن دنـــوا مُنعـــوا

فكيـــف جـــاز لكـــم منـــع الملبينـــا

وطـــاف بالطـــائف المعمـــور طائفـــه

مـــنكم فعـــاد خرابـــاً كيـــف تبنونـــا

أجليـــتم ســـاكنيه عـــن مـــواطنهم

قـــتلاً وطـــرداً وتخويفـــاً وتوهينـــا

وطيبـــة الخـــير مـــستها خبـــائثكم

فطهـــر الله منهـــا مـــا تمـــسونا

وفي تهامـــة قـــد عاثـــت جيوشـــكم

بغيـــاً وكنـــتم لأهليهـــا محلينـــا

وجـــاء جمـــع عـــسير يـــا بـــن نقطـــتهم

لا يرقبـــون حجـــىً فـــيهم ولا دينـــا

لـــو ظفَّرت بجمـــود كـــف خـــارجهم

أصـــبحتم لبنـــيهم مـــسترقينا

(١) أفاد جامع الديوان أنه وجد هذه الأبيات للشاعر بخط السيد العلامة يوسف بن إبراهيم الأمير.

لكنهـــا منحـــتكم مـــن فوارســـه
قــرون حــربٍ تــرد القــرن مطحونــا
لم يـــسلم الـــيمن الميمـــون أجمعـــه
مـــن شـــور رأيكـــم ...[1] ميمونـــا

٨٥. سبل الهدى

إن الـــذي بـــرأ الوجـــود بقـــول "كـــن"
كتـــب الخلافـــة للإمـــام النـــاصر[2]
القـــائم الـــداعي إلى سُـــبل الهـــدى
الطـــاهر بـــن الطـــاهر بـــن الطـــاهر
المـــستعين عـــلى القيـــام بربّـــه
والمـــستقيم عـــلى الـــصراط الظـــاهر
أغنـــت حقيقـــة فـــضله عـــن ذاتـــه
عـــن أن ينمّقهـــا مجـــاز الـــشاعر
أفـــلا رأيـــتَ صـــلاتَه وخُـــشوعه
وخطـــاب مـــولاهُ بقلـــبٍ حـــاضر؟
أفـــلا رأيـــتَ سُـــكونه ووقَـــاره
لّمـــا رُقـــي للـــوعظ فـــوق مَنـــابر

---

(١) النقص من الأصل.
(٢) الإمام الناصر عبدالله بن حسن بن أحمد بن الإمام المهدي عباس . ترجم له زبارة في نيل الوطر.

بلاغـــــةٍ وفـــــصاحةٍ وبراعـــــة

ومــــواعظ وقـــوارع وزواجـــــر

ســـنن أميتـــت في القَـــديم فـــأجره

فيهـــا كإحيـــاء الـــرَّميم الـــداثر

لا زال في فلـــك الـــسعادة راقيـــاً

أعـــلى محـــلٍّ في الـــسيادة بـــاهر

وأمـــدَّهُ ربُّ الـــسماء بفيلـــقٍ

مـــن جـــيش نُـــصرته العزيـــزِ القـــاهر

حتـــى يعـــود بـــه الزمـــان كـــما بـــدا

متـــنعّماً في طيـــب عـــيش نـــاضر

متلبـــساً بالعـــدل متـــسماً بـــه

مُتَنكِّبـــاً عـــن كـــل حكـــم جـــائر

مُتَـــسربلاً ثـــوب المهابـــة والتقـــى

لا بـــالتزين بالثيـــاب الفـــاخر

صـــلى عليـــه الله بعـــد نبيّنـــا

وجـــزاه خـــيراً مـــن إمـــام شـــاكر

٨٦. دولة الحب

لعمــرك إن الحـــبَّ أخفــى مـــن الـــسر
وأظهـــرُ عنـــد المُـــستهام مـــن الجَهـــر
لدولتِـــه أمـــرٌ ونهـــيٌ عـــلى النُّهـــى
وســـلطانها في الـــبَّر مـــاضٍ وفي البحـــر
متـــى تـــأمرُ العـــين الـــصحيحة بالبكـــا
تجـــودُ ببحـــرٍ لا بكـــيءٍ ولا نـــزر
وإن أقـــسمت لا تطعـــم الغَمـــضَ مُقلـــة
وفـــت لأسِـــيرِ الحـــبِّ بالقـــسم الـــبرّ
وتـــسقم حتـــى يَلـــصَقَ الجلـــدُ بالحـــشَا
ويـــذهل حتـــى لا يجيـــب ولا يـــدري
تجهّـــم لابـــن الجهـــم وجـــهُ غرامِهـــا
فـــأودى بـــه بـــين الرصـــافة والجـــسر[1]
ومـــا راقبـــت في مـــسلم[2] قـــط ذمـــة
فخـــرَّ صريـــع البـــيض مـــنهنّ والـــسمر
فللـــــه أحكـــــامُ الغـــــرام فإنهـــــا
أرقُّ مـــن الـــشَّكوى وأقـــسى مـــن الهجـــر

---

(١) البيت: إشارة إلى قول الشاعر أبي الحسن علي بن الجهم:
عيـــون المهـــا بـــين الرصـــافة والجـــسر جلـــبن الهـــوى مـــن حيـــث أدري ولا أدري

(٢) ومسلم هو الشاعر المشهور مسلم بن الوليد الأنصاري، وكان يلقب صريع الغواني، انظر طبقات الشعراء ص٢٣٥-٢٤٠، ومعجم الشعراء ص ٢٧٧،٢٧٨.

ولله مـــــا أحـــــلى الهــــوى وأمَـــــرَّه
وأجهلنـــــي بـــــالحلو منـــــه وبـــــالمرِّ
ولله نظـــــم لفظـــــه الـــــدرُّ مونقـــــاً
ومعنـــاه أسرى في العقـــول مـــن الـــسِّحر
كـــــأن معانيـــــه ورقـــــةُ لفظـــــه
خليطـــان مـــن مـــاء الغمامـــة والخمـــر
تفَـــاءَلَ بـــالفتح القريـــب وبـــشرت
بنيـــل المنـــى أعـــداد ألفاظـــه الغـــرّ
وتغـــشاك يـــا عـــزّ الكـــمال تحيـــة
هـــي المسكُ بـل أذكـى مـن المسكِ والعطـر

٨٧. دعاء يونس عليه السلام

مـــضى آبقـــاً ممـــا قـــضيت مغاضـــباً
فـــسار إلى فلـــك هنالـــك مـــشحون
وكنـــت لديـــه حـــين ســـاهم مدحـــضاً
فألقيتـــه حـــوت الفـــلاة إلى حـــين
وقلـــت لـــه اخترنـــاك ســـجناً لعبـــدنا
ولمّـــا يكـــن لـــولا الأبـــاق بمـــسجون
فأدركـــه فـــضل فـــسبّح ضـــارعاً
كـــأعظم مكـــروب هنـــاك ومحـــزون
فأطَلَقْتَـــــه لمـــــا دعـــــاك ليومـــــه
مـــن الـــسجن منبـــوذاً إلى ظـــل يقطـــين

وأقررتـــه عينـــاً بــــإيمان قومــــه
وأبدلتــه العــزّ العظــيم مــن الهــون
وهأنـــذا المـــسجون في لـــج غمـــرةٍ
مـن الـذنب فانـشر رحمـة منـك تـوليني

٨٨. لوعة المنازل

يـا راكبـاً تهـوي بـه المطيّـه ... كالـسهم إذ يهـوي إلى الرميّـه[١]
حرّكـت منـا أنفـساً شـجيّه ... تـودّ لـو كانـت هـي المطيّـه
اقطع سهول الأرض والصّياصي[٢] ... وفـلْ بحـد للفـلا نـواصي
واطـوِ أداني الأرض والأقـاصي ... طـيّ الـسجلّ الخـطّ[٣] والـشكيّه
فـإن بـدت لعينـك الخيـام ... وقـد عـلا مـن فوقهـا القتـام[٤]
كأنـه مـن فوقهـا غـمام ... وسـمره بـوارق مـضيّه
وإن سـمعت صـلّة[٥] المناصـل ... والخيـل في أرجائهـا صـواهل
والجـيش في حافاتهـا جحافـل ... وللنـسيم نفحـة زكيّـه
فقـد بلغـت مـأمن المخافـه ... مطلـع شـمس الملـك والخلافـه
وقـد قطعـت البعـد والمـسافه ... لمـا بلغـت الحـضرة العليّـه
حضرة مولانـا "الإمـام المهـدي" ... لا زال في حفـظ المعيـد المبـدي

---

(١) مكانياً أخوه العلامة محمد بن عبد الكريم إسحاق.
(٢) الصيص: الحصن وكل ما امتنع به. الفلاة: القفر،و فلاه بالسيف: أي ضربه، ونساه: قبض بناصيته.
(٣) الخط وكذا الشكية: صنعانية، أي كتب شكوىٰ أو رسالة تظلم.
(٤) القتام: الغبار.
(٥) صلة المناصل: أي صوت السيف وهو يخرج من جرابه.

يُعيـد أحكـام العـلا ويبـدي   بهمـة فـوق السـماء عليّـه
فطـف علـى تلـك الخيـام سـبعا   وقبـل الأرض هنـاك شـفعا
وابلـغ إليهم مـن حلـول صـنعاء   ومـن حماهـا أشرف التحيّـه
وخـصّ مـولى المجـد والمعـالي   عـزّ المعـالي بهجـة الليـالي
مـروي سـيوف الهنـد والعـوالي   مطهّـر الأخـلاق والسـجيّه
واشـك إليـهم وحـشة المنـازل   ولوعـة الأشـجان والبلابـل
أغـصانها مـن بعـدهم ذوابـل   مـن بعـد مـا كانـت بهـم طريّـه
نـسيمها مـن بعـدهم عليـل   وجـسمها مـن بعـدهم نحيـل
وليلهـا مـن هجـرهم طويـل   وصـبحها قـد شـابه العـشيّه
لا زال طـير العـزّ والكرامـه   مطنبـاً في سـوحهم خيامـه
ثـم الـصلاة مـا همـت غمامـه   عـلى النبـي والعـترة الزكيّـه

٨٩. نفحات الكريم[1]

أنظـام أم مـدام في قـدح   عتقـت في القـدم؟
نفحـت مـن دنّهـا لّمـا نفـحْ   نفحـات الكـرم
مـلأت قلبـي سروراً وفـرح   وشـفت مـن ألمـي
وأباحـت لي حـديثاً لم يـبح   قلبهـا بـالكلم

* * *

(١) قالها عندما عاد من مكة المشرفة وقد بعث إليه أخوه محمد بن عبد الكريم بموشح مطلعه:
ذاك وجه الصبح لألاء ووضح

أذكرتني من ثوى في أضلعي
ونأت أربعه عن أربعي
الذي لقياه أقصى مطمعي

* * *

منتهى الهم إذا الفكر طمح	في مجال الهمم
وإذا دار المنى والمقترح	كان أقصى قسمي

* * *

ليت شعري كيف كانوا بعدنا	عندهم ما عندنا؟
أم تناسوا بالتنائي ودّنا	وأحالوا عهدنا؟
لا وجبّار السّما أمّا أنا	إنهم كل المنى:
عندهم روحي وما غير الشبح	حاضر كالعدم

* * *

حرّموا طيب الكرى في الحرم
وأحلّوا في منى سفك دمي
تركوني علماً في العلم

* * *

كلما لاح وميض أو صدح	صادح بالنّغم
نثر الوجد دموعي وسفح	مثل سفح الدّيم

* * *

وإذا هبت شمال أو صبا   خِلتها لي رسلا
رسلاً تروي أحاديث الصّبا   عن ثقات نبلا
عن متون السحب عن زهر الرّبا   سنداً متصلا
عن حبيب ضنّ بالوصل وشح   وسخا بالحلم

* * *

سهمه في كل قلبٍ راشق
قرطه مثل فؤادي خافق
فهو مولى الخافقين الواثق

* * *

إن غزا حاكى إذا الجيش فتح   غزوة المعتصم[1]
حكمه جاز على الجور وصح   عند أهدى حكم

* * *

لو نوى يوماً لوصلي لسعى   فيه دهري واعتنى
يا سقى الله زماناً ورعى   جاءني فيه المنى
ولشملي بحبيبي جمعا   بالتهاني والهنا
سوف أدعوه دعا من قد ألح   طامعاً في الكرم

* * *

(١) يشير إلى غزوة المعتصم العباسي وفتحه "لعمورية".

يجمـــع الـــشمل بأقـــصى منيتـــي

بعـــد أن يقبـــل منـــي حجّتـــي

ولـــه نـــسكي وفيـــه هجـــرتي

* * *

وهـــو إن شـــاء حبـــاني ومـــنح بيلـــــوغ الحـــــرم

ويتقبيـــل تـــراب قـــد مـــسح نعـــل أعـــلى قـــدم

* * *

قائـــد الخـــير وينبـــوع الهـــدى ومنـــــار الاهتـــــدا

منقـــذ العـــالم مـــن كـــلّ ردى وإمـــــام الاقتـــــدا

صـــلوات وســـلام أبـــدا لـــيس تحـــصى عـــددا

تغتـــشيه كلـــما طـــرف لمـــح مـــن جميـــع الأمـــم

٩٠. بين البطليوسي[١] والشوكاني[٢]

ثلاثـــــة أبيــــاتٍ حوتهـــا قلائـــــد
وكــــان لمنـــشيها التقــــدم والفـــضل
وكــــان الـــدّعا بـــالعفو أكـــبر همّــــه
ولــــيس لــــه إلا الــــدّعاء بــــه سُـــؤل
ولكنــــــه أبــــدى أمـــــام مـــــراده
مقدمـــــة في نجـــح مطلوبــــه تحلـــو

---

(١) البطليوسي: نسبة إلى مدينة في الأندلس، واسمه عبد الله بن محمد، وقد ورد في معجم البلدان وفي المنجد أنه كان نحوياً وشاعراً، وشرح كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة، بمؤلف أسماه: (الاقتضاب).

(٢) "أورد الفتح بن خاقان في (قلائد العقيان)" هذه الأبيات للبطليوسي:

أَمَرْتَ إلهي بالمكارم كلّها
فقلت اصفحوا عمّن أساء إليكم
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه

ولما اطلع القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني عليها قال:

أعد نظراً في محكم الذكر إنه
أما فيه غفران الذنوب جميعها
وقد قال للعافين في قوله:"ألا
وكم آية جاءت بهذا وسنة
فإن كان هذا من تجاهل عارفٍ

ولما اطلع صاحب الديوان قال هذه الأبيات رداً على الشوكاني.

الفتح بن خاقان: هو الشاعر والمؤرخ الأندلسي محمد بن عبد الله بن خاقان الذي قتل بإيعازٍ من الأمير المرابطي ابن تشفين سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م وهو نفس الأمير الذي سجن الأمير والشاعر البليغ المعتمد بن عباد عندما استنجد به ملوك الطوائف في الأندلس مع بدايات حملات الاسترداد للأندلس، فلما انتهت مهمة ابن تشفين طلب منه ملوك وأمراء الطوائف في الأندلس العودة إلى المغرب فما كان منه إلا أن أمر باعتقال أميرهم المعتمد بن عباد وتم حبسه وهو في ريعان شبابه إلى أن مات.

وكتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان لابن خاقان جمع فيه أخبار شعراء المغرب وأشعارهم، طبع سنة ١٨٦٤م في باريس.

فقـــال أمـــرت الخلـــق بـــالعفو ربّنـــا
ولم ترضـــه إلا وأنـــت لـــه أهـــل
وذلـــك في الفـــن البيـــاني مـــذهب
بـــديعي حـــسن في الكـــلام لـــه مثـــل
فمـــن مثلـــه إن الملـــوك إذا غـــدت
عبيـــدهم شـــيباً فعـــتقهم فـــضل
وصرح في البيـــت الأخـــير بقـــصده
فقـــال فهـــل عفـــو فقـــد عظـــم الجهـــل
فلـــم أدر مـــن أي العبـــارات قـــد نـــشا
لهـــم رميـــه بالجهـــل بـــل قولـــه الفـــصل؟
فـــإن نـــشأ الإشـــكال مـــن قولـــه فهـــل
فقـــد أوضـــح الأعـــلام ذاك وقـــد حلّـــوا
فقولـــك هـــل لي رحمـــة منـــك مـــثلما
تقـــول لـــه ارحـــم هكـــذا ثبـــت النقـــل
فـــإن كـــان قـــولي ذا صـــواباً فمنّـــة
مـــن الله أو جهـــلاً فـــشيمتي الجهـــل

٩١. وصف جبل كوكبان

يـــا كوكبـــان في "كوكبـــان" عـــلا عـــلى بـــرج الحمـــل
أســـنى التحيـــة والـــسلام عليـــك مـــا نجـــم أفـــل
وعـــلى محـــل أنـــت فيـــه وحبّـــذا ذاك المحـــل

جبـــل طويـــل الـــرأس أقعـــس[1] مـــشمخرّ في القلـــل
رحـــب المـــسارح والمـــوارد والمنـــازل والعلـــل
عـــال إذا همـــت بـــه همـــم الحـــوادث لم تـــصل
جعـــل الغـــمام عمامـــة وبهـــا تـــردّى واشـــتمل
وإذا ارتـــوى مـــن ودقهـــا[2] واســـتنقعت منـــه الغلـــل
أرخـــى عـــلى أعطافـــه منهـــا ذوائبـــه وحـــل
جلّـــت محاســـن وصـــفه وصـــفات ســـاكنه أجـــل
همـــم الملـــوك لهـــم وهـــم خـــدم إذا ضـــيف نـــزل
يتوصـــلون إلى مـــسرّته بـــأنواع الحيـــل
فـــإذا ذكـــرت الأكـــرمين مـــن الأنـــام فحـــيّ هـــل[3]
لِـــم أنـــسَ عيـــشاً مـــرّ فيـــه كلمـــح طـــرف أو أقـــلَ
تجـــلى عـــلى ســـمعي عـــرائس مـــن نظـــام مرتجَـــل
وتـــدارُ كاســـاتِ المعـــارفِ مـــن حـــديثٍ لا يُمـــل
لا عيـــب فيـــه ســـوى الـــذهاب وأي حـــال لم يحـــل
طبـــعُ الزمـــان عـــلى التَّحـــوُّل والتبـــدُّل والنّقـــل
لا عـــيش إلا حيـــث لا يبغـــي الفتـــى عنـــه حـــول
دار الـــمُقامةِ والـــسعا دة والبـــشارة والجـــذَل
طُـــوبى لمـــن كانـــت لـــه دارث الخلـــودِ بهـــا نـــزل
واسْـــلَم ودم في نعمـــةٍ وقـــرار عـــيش متـــصل
وامْـــنَح أخـــاك بـــدعوة لـــك مثلهـــا فـــيما نقـــل

---

(١) الأقعس: المرتفع الطويل، والمشمخر: الجبل العالي.
(٢) الودق: المطر.
(٣) حي هلا: أي حي عليك بفلان أو عليك به (القاموس المحيط).

٩٢. ذات الوشاح

هتفـــت مطوقـــة عـــلى أغـــصانها
فجـــرت دمـــوع العـــين مـــن أجفانهـــا
شـــوقاً إلى ذات الوشـــاح ولوعـــة
طويـــت حـــشاشته عـــلى أشـــجانها
خـــود[١] إذا سرّتـــك يـــوم وصـــالها
ســـاءتك بـــالترويع في هجرانهـــا
مـــلأت محاســـنها العيـــونُ فأفرغـــت
يـــوم الفـــراق مـــدامعاً كجُمانهـــا
قايَـــستُ بـــين جمالهـــا وفعالهـــا
فربـــت إســـاءَتَها عـــلى إحـــسانها
ســـلها أمانـــاً مـــن ســـيوف لحاظهـــا
يـــوم اللقـــاء ولا تَثِـــقْ بأمانهـــا
وخـــذ العهـــود عـــلى الوفـــاء بعهـــدها
منهـــا ولا تـــركن إلى أيمانهـــا[٢]

---

(١) الخود: المرأة الجميلة الشابة.
(٢) أيمانها: أي قسمها.

٩٣. المعاني الزاخرة

الدرّ يقصر عن أبياتك الدّرر[1]
والروض يخجل عن ألفاظه الغرر
لفظ يخفّ على الأسماع مسمعه
كما يخفّ عليها نغمة الوتر
إلى معان كموج البحر زاخرة
لا حشو فيها ولا نقص عن الوطر
وافى إليّ ولي فكر تجاذبه
أشغال دهر يشوب الصفو بالكدر
فكُلَّما رمتَ جَرياً في طريقته
كبا جوادي فلم يحصل على أثر
فإن تراجع من بعد العِثار رأى
غبار طرفك[2] يعشيه عن النظر
لا فاهَ بالشعر نُطقي إن بخلت به
أو كان تركُ جوابي تركُ محتقر
أما علمت وقد أهديت لي درراً
أني أنفت لها عن صحبة الحجر
كما أنِفْتُ لراح منك صافية
عن مزجها بأجاج آسن كدر

---

(١) هذه القصيدة جواباً على قصيدة أهداها القاضي حسين بن يوسف الصديق.

(٢) الطرف: الكريم من الخيل.

فهــاك نظــماً لإيــضاح الــدليل عــلى
صــدق المقــال أتــى في زيّ معتــذر
أتــى بــه الفكــرُ في أثنــاء غفلتــه
عــن الزمــان كــشرب الطــائر الحــذر
في غــير بحْــركَ قــد تاهــت ســفينتُه
إذ لا يهِــبُّ لــه ريــح عــلى قَــدرِ
لم تــترك الــريح في "نوتيّــه"[1] أبــداً
حكــماً عــلى قلعــه المعنــوج للــسّفر
واعــذر إذا جــاء في الحــسبان مختــصراً
واســلم ودم في نعــيم غــير مختــصر

٩٤. حكم الحب

صــبّ شــكا فمتــى تعــوده ويغيــثِ إحــسانٍ تجــودُه
يــا أيهــا القمــرُ الــذي مــن ثغــره انتظمــت عقــوده
أتعيــد لي زمنــاً مــضى بالوصــل مــشرقة سُــعودُه؟
رقَّــت حواشــيه وأثمــرَ دوحُــه واخْــضَرَّ عُــوده
أم قــد نقــضت عهــود مــن تــالله مــا نُقِــضَت عهــودُه؟
لــك مــن تــصبره اليــسير ومــن تــودده مزيــده
أبــلى هــواك عظامــه والحــبّ لا يــبلى جديــده
مــضنى حليــفُ صــبابةٍ جُرحــت بأدمعــه خــدوده

(١) نوتيّه: النواتي الملاحون في البحر. الواحد: نوتي. وعنج: بمعنى جذب وشد.

يـــا لائمـــي مهـــلاً فحكـــم الحـــب لـــيس كـــما تُريـــده
لاقـــى ضـــعيف القلـــب فيـــه كمثـــل مـــا لاقـــى حديـــده
هيهـــات تجحـــد حـــب مـــن مـــن دمعـــه قامـــت شـــهودُه
كـــم رُمـــت أكـــتمُ فيـــضها لـــو كـــان لي صـــبر يـــذوده
أتلُـــومُني في حـــب مـــن للظبـــي مقلتُـــه وجيـــده
ملـــك الجـــمال بـــأسره فالغيـــد أجمعهـــا عبيـــده
في خـــدّه روض بغـــير اللحـــظ مـــا قطفـــت وروده
وبثغـــره مـــاء الحيـــاة لـــو أنـــه يرجـــى وروده
لم أنـــس ليلـــة زارني والليـــل مـــسبلة بـــروده
أمـــسى يحـــدثني حـــديثاً لا يمـــلّ فأســـتعيده
لم لا وقـــد وافى نظـــام أخـــي العـــلى دامـــت ســـعوده
نظـــم يـــودّ الـــدّر لـــو في ســـمطه يلقـــى نـــضيده
كـــالروض أو كـــالزّهر لا بـــل لا يقـــاس بـــه فريـــده
وافى ونـــارُ الـــشوق في الأحـــشاء مـــضطرمٌ وقُـــودُه
فوجدُتـــه بـــرداً لمـــا أطفـــى تلهبـــه وروده
"عـــزُّ" المعـــالي قـــد ظفـــرت مـــن الكـــمال بـــما تُريـــده[1]
وبلغـــت أقـــصى غايـــة يـــدنو إليـــك بهـــا بعيـــده
واســـلم مبـــارك طـــائر يـــسمو بـــه أبـــداً ســـعيده

(١) يقصد السيد الأديب / محمد بن إبراهيم إسحاق الذي بعث له قصيدة مطلعها:

هذا الرشا الفتان جيده قد راع مضناه شروده

فرد عليه بهذه القصيدة.

٩٥. عجائب الكون الإلهي[١]

أطفــئ الــشمع بــالمقص لنــا لا تقــل أف واتــرك الجفــوة
مــا تــرى الـصبح في ملابـسه الــ ـحمراء قد جـاء حـاجزاً (حقـوة)[٢]
قـــال للنـــيّرات أجمعهـــا اسـجدوا للمليـك ذي الـسطوة
وجـلى شمـسه وقـد كـشفت وجههـا كـالعروس في الخِلـوة[٣]
تـــشمل الأرض بالحيـــاة إذا رشـفت مـن لعابهـا حـسوة
وتـــرى كُـــلّ ذرَّة خُلِقَـــت وبهـا مـن نـضارها "طلـوة"[٤]
وســبيل المعـــاش واضـــحة في حـضيض الجبـال والـذروة
والعـــدو المبـــين منكـــشف ونقـــوش الكتـــاب مجلـــوّة
وهـــي تجـــري بـــأمر خالقهـــا لم تفارقـــه قـــطّ في خطـــوة
لم تـــزل في الـــسماء راكـــضة مـــا أتـــت مـــن جوادهـــا كبـــوة
لا مـــلال في الـــسير يلحقهـــا لا ولا (حزقـــةٌ)[٥] ولا رخـــوة
ولهـــا منـــه حيـــث يعلمـــه مـــستقرٌ تؤمّـــه لطـــوة
فـــإذا تـــمّ نفعهـــا غربـــت وانقـضى اليـوم وابتـدا غـدوة[٦]
وأتـــى الليـــل في غياهبـــه ســـاجداً للمليـــك ذي القـــوة
نـــاشراً طـــرّة الظـــلام عـــلى جبهـــة اليـــوم ماحيـــاً ضـــوّه

---

(١) وزن هذه القصيدة من الأوزان النادرة، وربما يكون أصله "المنسرح" وهو جنس من العروض، تفعيله: مستفعلن، مفعولات، مفتعل، ست مرات.

(٢) الحقو: أي الخصر.

(٣) الخِلوه: أي ليلة العُرس، عندما يدخل العريس على عروسته.

(٤) من نضارها طلوه" أي من بهائها وجمالها مسحة من الحُسن.

(٥) حزقه: صنعانية، المعنى المغاير للارتخاء.

(٦) الغدوه: الصباح الباكر من اليوم الثاني.

دائبــاً بالــذي لــه خلقــت ذاتــه لم تــنط بــه هفــوه

لا تــرى فيــه بطــن كفــكّ مــن ظهرهــا كالبــصير في الــزوّه[1]

فأعــد للــشماع عــدتها واقتــبس مــن ضــيائها جــذوه

وتــشبه بهــا وكــن وجــلا نزعــت مــن صــفاته الرّغــوه

واشــكر الــصانع البــديع علــى فــضله الجــمّ طالبــاً عفــوه

٩٦. من السجن إلى الخلافة

أبــدراً أطلــعَ الأفــقُ المبــينُ؟
أم ارتفعــت عــن الــشمس الــدجون

أم ابتــسمت ثغــور العــين زهــواً؟
أم انفلــق الــصباح المــستبين

بــلى ارتفعــت عــن الملــك المفــدّى
ســجوف البــين وارتفــع الــشطون

وبالمتوكــل ابتهجــت نفــوس[2]
وعــاد الأمــن فيهــا والــسكون

وأرســت في مواطنهــا المعــالي
وقــرّت للأنــام بــه عيــون

وطابــت أنفــس غــصّت بــشجو
وزال الهــمّ عنهــا والــشجون

(١) الزوه: المكان الذي يألفه الأعمى كفيف البصر. أو المكان الذي اعتاد عليه الشخص المسن.

(٢) هو الهادي محمد بن الإمام المتوكل أحمد بن المنصور علي عندما استشهد الإمام الناصر عبد الله بن الحسن سنة ١٢٥٦هـ أخرج أهل الحل والعقد في صنعاء الهادي محمد من السجن وبايعوه بالخلافة، وذلك ما أشار إليه الشاعر، ومات بصنعاء سنة ١٢٥٩هـ، انظر: (نيل الوطر) ج٢، ص ٢٢٦.

إمــــام واثـــــق بـــــالله راضٍ
بـــــأمر الله هـــــادٍ مـــــستعين
أرادتـــــه الخلافـــــة مـــــن قـــديمٍ
وكـــان لهـــا بـــه كلـــف مبـــين
فلـــــمّا لم يطاوعهـــا استـــشاطت
وآل بـــــه إلى الـــسجن القيـــون[1]
ولكـــــن العنايـــــة مـــــن قـــديمٍ
أقامـــت (ضـــبعه) وهـــو المعـــين
فقـــام بهـــا وكـــان أجـــل كفـــو
وأولى مـــن تقـــرّ بـــه العيـــون
تبـــارك مـــن إذا مـــا شـــاء أمـــراً
قـــضاه بقـــول كـــن وبهـــا يكـــون
وإن لحقـــــت عنايتـــــه بعبـــدٍ
تـــذل لـــه الـــسهولة والحـــزون
فلـــو أحـــد تقمـــصّها ســـواه
مـــن الأقـــوام زارتـــه المنـــون
فـــدام لـــك البقـــا والعـــز فيهـــا
ودام لنـــا بـــك الجـــاه المكـــين

(١) القيون: ج قين، أي: الحداد.

٩٧. قالوا شكوت[١]

"أعــزّ المعــالي: لقــد أنكــرت غفولــك عــن ســوحنا الأنفــس
ولاحظـــت أتـــرابي الأكـــرمين ومالـــك في روضـــهم مغـــرس
فكـــانوا كعقـــد حـــلا نظمـــه وقـــد غـــاب جـــوهره الأنفـــس
وكـــالزهر جمـــع لكنّـــه تخلّـــف أشرفـــه النـــرجس
وقـــالوا شـــكوت قـــذى زائـــلاً بعينيـــك لا نالهـــا مبـــئس
وقـــاك الإلـــه صروف الـــردى ودمـــت بأســـمائه تحـــرس

٩٨. دعاء

إذا كنـــت في أمـــنٍ وخـــيرٍ وصـــحةٍ
فـــذلك حظـــي منـــك عنـــد التفـــرق
فألبـــسك الـــرحمن تاجـــاً مـــن التقـــوى
وحاطـــك مـــن كـــل الـــشرور بخنـــدق

* * *

ســـلام علـــيكم فـــاح في الأفـــق نَـــدُّكم
فـــما لكـــم في طيـــب أنفاســـكم نـــدّ
ومـــا نفحـــات النـــدّ في طيـــب ذكـــر مـــن
يطيـــب بـــه "المـــاورد" والعـــود والنـــدّ
فمنّـــوا عـــلى العبـــد الحقـــير بـــدعوة
عـــسى أن يـــرى آثـــار دعوتـــه العبـــد

(١) قالها للسيد محمد بن إبراهيم إسحاق وكان قد أصابه الرمد.

٩٩. مالي وللعاذلين

لا وحــدَتْ[1] بي إلــيكمُ الإبــلُ ... ولا اشــتفت لي بقــربكم علــلُ
إن كـــان لي في ســـواكم أرب ... أو كــان لي عــن ودادكــم حــول
إني توجّهــت نحــو أرضــكم ... ولي مــن الــشوق سـائق عجــل
ثــم ثَنيــتُ العنــان فاضــطربَت ... خُطَــاي واغتــال مَــشيُها كــسل
وطـــال لـــيلي فمالـــه ســـحر ... وامتـــد يـــومي فمالـــه طفـــل[2]
وكلـــما قلـــت ليلـــة درجـــت ... كـــرّت عـــلى أخرياتهـــا الأول
كـــأن مـــا زيـــد فيـــه منـــتقص ... مـــن زمـــن اللهـــو حـــين نتـــصل
ليـت الليــالي التــي بكــم قــصرت ... ألقـــت عليهـــا ســـوادها المقـــل
لكــم مــن الحــب صــفوه وبكــم ... يطيب صــبحي وتحسن الأصــل
تغلغــل الحــب في الفــؤاد فــلا ... يـــدنو إليـــه المـــلام والعـــذل
مـــالي وللعـــاذلين لـــو عـــشقوا ... كـــان لهـــم عـــن ملامهـــم شـــغل
قـــالوا أطلـــت المقـــام ويحهـــم ... وهـــل تمـــلّ الحيـــاة لـــو عقلـــوا؟
يـــا بـــدر شـــوقي إليـــك أهونـــه ... يطـــير بي نحـــوكم ويتتقـــل
أيـــسر مـــا خـــصّك الإلـــه بـــه ... بلاغـــة قـــد جـــرى بهـــا المثـــل
فنظمهـــا تَـــسْحَرُ العقـــول بـــه ... حماســـةً في الكـــلام أو غـــزل
وحسن خلق كالروض غب[3] ندى ... وجـــود كـــف كالغيـــث منهمـــل

---

(١) الوخد للبعير: الإسراع أو أن يرمي بقوائمه كمشي النعام.
(٢) الطفل: الشمس قبل المغيب، وطفلت الشمس: دنت للغروب، والطفل: الظلمة نفسها.
(٣) غب ندى: أي كمثل هطول الندى.

قلــــــدتموني بــــــنظمكم درراً تــنظم منهــا عقودهــا القتــل[1]
وكـم لكـم في الرقـاب مـن منن ومــن كُلــوم تخطّهــا الأســلُ
لكــم مــن الــذِّكر عنفوانتــه ومـن حـساب المحاسـن الجمـلُ
بقيــتمُ في النعــيم مــا طلعــت شـمس ومـا جـاد وابـلٌ هطـلُ

١٠٠. العذب الرحيق

أهــلاً بــما أهــدى النسيم المقبـل وبــما تــضمّنه الكتــاب المرســل
مــلأ القلــوب مــسرّةً بقدومــه وشفا الـصدور وبرؤهـا لا يحـصل
خــطٌّ كأزهــار الريــاض وتحتــه لفظ هو العـذب الرحيـق السلـسل
وإذا لحظــت إلى معــاني لفظــه زفـت عـرائس في الملابـس ترفـل
مــاذا عــلى متمتــع ببديعــه أن لا يــسر مـدى الزمـان ويجـذل
الحــور تلعــب في جوانــب نهـره والـروض يـضحك إذ يخـر الجـدول
حرسـت أنامـل نظمـت أسـلاكه وفــم بــصوب بديعــه يتهلــل
وقريحــة غاصــت لــدر نظامــه لتجـود منـه بـما يفـوق ويفـضل
أعني به الحسن[2] اسـمه وصـفاته المــستفاد بــما يقــول ويفعــل
إني إلى نظــري إليــه لــشيّق وإلى ســماع حديثــه أتبلبــل
إن الكتــاب وإن تــأنّق جهــده في نظــم جــوهره البليــغ المقــول
لا يبلــغ المعــشار مــن لقطاتــه أمـسى يـشافهني الحبيـب فأعقـل
وإذا تمنــع وصــله فكتابــه فيــه إذا عــزّ اللقــا متعلّــل

(١) القتل -بضمتين-: جمع قتول، والمقتل من القلوب: المدلل الذي قتله العشق. وتقتلت المرأة في مشيتها: أي تثنت وتدللت في مشيتها.
(٢) هو القاضي، العلامة، الحافظ، الناقد، المؤرخ الحسن بن أحمد بن عبد الله عاكش الضمدي.

لله سـالف نزهـة مـرّت لنـا مـرّ النـسيم وذكرهـا لا يغفـل
والـشمل مجتمـع بكـم والجمـع منـتظم وبـدر جمـالكم لا يأفـل
لزمت علاقتك القلوب فلـم تغـب عنهـا كـما لـزم المجـاز[1] المرسـل
لـولا بقـاء ودادهـا في مهجتـي لظننتهـا حلـماً بـه يتخيـل
حكـت الـضمير المـستكنَّ لحذفـه لفظـاً ومعنـى لفظـه لا يهمـل
أو يـاء يرمـي بعـد حـرف جـازمٍ حـذفت وأبقـت كـسرة لا تجهـل
لكـن إذا شـاء القـدير أعادهـا في سرعـة فهـو القـديم الأول
ياأيهـا الحـسن اسـمه وصـفاته والمحـسن المتكـرّم المتفـضّل
شوّقت قلب صديقك البـدر الـذي تـدعو ونحـن بـه أضـنّ وأبخـل
فـدع القلـوب تقـرّ في أحـشائها ويطيـب فيهـا بالأصـيل المنـزل
مـا كـان مختـصراً حـديث كمالـه كـلاّ فـشرح القـول فيـه مطـوّل
لا زلـت في درج المعـالي راقيـاً يهـدي إليـك مـن الـسلام الأكمـل

١٠١. تضاحك البرق

تـضاحك الـبرق خـلال الغـمام
في ظلمـة الـسحب وجـنح الظـلام
فقلـت: نِعـم الفـأل قـد آذنـت
أيامنـا الـبهم لنـا بابتـسام
لـسوف ينـشق ظـلام النـوى
والهجـر عـن نـور بلـوغ المـرام

---

(١) المجاز: عرف البعض المجاز بأنه كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع الواضع. (راجع: معجم البلاغة، المجلد الأول، ص. ٣١٠ وما بعدها).

وحـــين أهـــدت نـــسمات الــــصبا
في عرفهـــا المـــسكي عـــرف الخـــزام
عرفـــت مـــن أنفاســـها أنهـــا
تعطّـــرت إذ خطـــرت في شـــبام[1]
فقمـــت أستنـــشق مـــن ريحهـــا
بـــرداً ســـلاما وأردّ الـــسلام
رمـــت شـــفاء القـــاموس الهـــوىٰ
فهـــاج لي منهـــا مـــسيس الغـــرام
وهكـــذا كـــل محـــبٍ لـــه
بكـــل مـــا مـــرّ عليـــه التـــزام
يـــصبو إلىٰ البـــدر وشـــمس الـــضحىٰ
ويعـــشق الـــروض وورق الحـــمام
ويـــألف الـــوحش وريـــم الفـــلا
شـــوقاً إلىٰ مـــشبه ريـــم الخيـــام
يـــا لائمـــي في حبّـــه إن لي
قلبـــاً يـــرىٰ اللّـــوم عليـــه حـــرام
ووجهـــه المـــشرق لـــو شـــاهدت
عينـــاك عينيـــه لعفـــت المنـــام
أخـــصر مـــا في وصـــفه أنـــه
جـــلّ عـــن الوصـــف وتـــمّ الكـــلام

(١) شِبام: مدينة الأدب والشعراء ولا تبعد كثيراً عن العاصمة صنعاء، وهناك مدن يمنية أخرىٰ تسمىٰ شبام، ولكن ما يعنيه الشاعر هي مدينة شبام التي تقع تحت جبل كوكبان الشهير.

كـــما حـــوى الفخـــر الحـــسين الـــذي
تجمّعـــت فيـــه خـــصال الكـــرام
وصـــار في أفـــق العـــلى طالعـــاً
أكمـــل مـــن طلعـــة بـــدر الـــتمام
أســـائل الركبـــان عنـــه إذا
جـــاؤا لكـــسب العلـــم في أرض ســـام
فـــلا أرى إلا محبـــاً لـــه
أو مثنيـــاً أو داعيـــاً بالـــدوام
كـــذاك يـــزداد بنـــو هاشـــمٍ
حتـــى يكونـــوا للمعـــالي ختـــام
فـــالله يبقيـــه لنـــا ســـالماً
مـــا أضـــحك الـــبرق بكـــاء الغـــمام
وكـــل عـــام وهـــو في وصـــفه
أضـــعاف مـــا أســـمعه كـــل عـــام
لـــذاك مـــن رام لحوقـــاً بهـــم
عـــاد حـــسيراً لا يـــشق القتـــام

١٠٢. يا مانع الطرف

مـــاضي وصـــالك مـــن يعيـــده؟ وقتيـــل حبـــك مـــن يقيـــده؟
يـــا مـــانع الطـــرف المـــسهد أن يلـــمّ بـــه هجـــوده
أمرضـــت عبـــدك ظالمـــاً وحلفـــت أنـــك لا تعـــوده

إن كنـــت ســـفك دمـــي تريـــد فقـــد ظفـــرت بـــما تريـــده

يـــا مـــن أشـــبه وجهـــه بالـــصبح منفجـــراً عمـــوده

للغـــصن قامتـــه وللظبـــي الكحيـــل العـــين جيـــده

ملـــك القلـــوب جمالـــه فقلوبنـــا أبـــداً عبيـــده

كخليفـــة العـــصر الـــذي ملـــك الأنـــام فهـــم جنـــوده

النـــاس عدتـــه وأهـــل الأرض كلهـــم عديـــده

ملـــك[1] يعـــود بـــه الزمـــان كـــما بـــدا ويلـــين عـــوده

حتـــى يقـــول النـــاس هـــذا المُلْـــكُ عـــاد لـــه رشـــيده

ملـــك يـــشق عـــلى الكواكـــب أن يفارقهـــا بعيـــده

ملـــك بنـــت بيـــت العـــلاء لـــه وســـادته جـــدوده

ولـــه نـــدى كـــالبحر يـــسهل عنـــد طالبـــه وروده

بالنـــصر قـــد رفعـــت مطارفـــه وقـــد نـــشرت بنـــوده

فالملـــك طـــوع يمينـــه بـــوزيره[2] انتظمـــت عقـــوده

أبـــت الـــوزارة أن تـــضم ســـوى ســـوالفها فريـــده

فوفـــت لـــه بعهودهـــا ووفـــت بزينتهـــا عهـــوده

حـــسن المـــوارد والمـــصا در لا يكـــــــدرها وروده

سرّت وزارتـــه القلـــوب وزيـــن الـــدنيا وجـــوده

شـــهد الـــورى بكمالـــه والحـــق لا يغنـــي جحـــوده

وحـــوى الفـــضائل ناشـــئاً والفـــضل لا تخفـــى شـــهوده

(١) المهدي عبدالله بن المتوكل.

(٢) السيد حسن الكبسي.

وضــحت بــه طــرق الــصواب مــن الأمــور لمــن يريــده
دامــت بطــول بقــاء مــو لانــا الإمــام لــه ســعوده

١٠٣. طال شوقي

سل عن المستهام إن جـزت سـلعا "سـلعا"[١]
هــل أتاحــت لــه المقــادير جمعــا؟
وإذا طفــت حــول تلــك المقامــات
فبــالله طــف عــن الــصبّ ســبعا
وتلطــف إذا قــرأت عــن الــصبّ ســلا
مــا كــالروض مــرأى ومرعــى
ولــو أن الجفــون تــسمح بالدمــــ
ـــع تــسلّفت مــن جفونــك دمعــا
طــال شــوقي إلى الــديار وإن طــا
ل الــتمادي فالــصدر أضــيق وســعا
فعــسى عطفــة بــما يــؤنس المــشتــ
ــاق يومــا لنــار وصــل ولمعــا
أنــا لا أقطــع الرجــاء لوصــل
وبقــائي للوصــل مــا عــشت قطعــا
أي عــيش لمغــرمٍ قطــع اليــأس
عــلى بالــه مــن الجمــع منعــا؟

(١) سلع: اسم جبل في المدينة المنورة.

"علّـــلاني فـــإن بــيض الأمـــاني"[1]

في ســـواد الفـــراق للـــصبر أرعـــى

واســـقياني كـــاس الحـــديث فـــسكري

قـــد حـــلا لي وحـــلّ عنـــدي شرعـــا

قـــد كفـــاني عـــن العتيـــق حـــديث

دار في مهــــــرق وأودع ســــــمعا

وكفـــاني عـــن (البهـــاءزهـــير)

بنظــــام أرق لفظــــاً وطبعــــا

قـــد حكـــى الزهـــر في الريـــاض الزواهـــي

نـــسّقت مـــن بواســـق النخـــل طلعـــا

لـــيس تـــصغيره احتقـــاراً وهـــل ينقـــ

ـــص قـــدر اللجـــين وزنـــاً ونفعـــا؟

ولـــه مـــن فواصـــل الشـــر ســـجع

علـــم الـــورق في الأفـــانين ســـجعا

لم يـــدع مـــن مراتـــب الفـــضل شـــأواً

لمجـــد نحـــو الفـــضائل يـــسعى

ورع زاهـــــد تقـــــي نقـــــي

قـــد زكـــا في الكـــمال أصـــلاً وفرعـــا

---

(١) صدر البيت لأبي العلاء المعري، وعجزه:

فنيـــت والزمـــان لـــيس بفـــاني

دمــــت للمكرمـــــات جــــسماً وروحــــاً
ولــــذات الكـــــمال عينـــــاً وســـــمعا
وإليـــك الجـــواب يطلـــب منـــك الـــستر
فالـــــستر منـــــك أحـــــسن صـــــنعا
ظـــاهر الـــنقص عـــن نظامـــك مقـــدا
راً إذ قـــــسته وزنـــــاً وذرعـــــا

١٠٤. ملاعب الغزلان

عـــرج بمنعـــرج اللـــوى وقبابـــه
وانـــزل بعقوتـــه ومـــسك ترابـــه
وإذا مـــررت عـــلى مراتـــع سربـــه
وملاعـــب الغـــزلان حـــول قبابـــه
فـــاقْرِي الـــسلام عـــلى المقـــام معمـــماً
وانظـــر بلحظـــك عـــين مـــن تعنـــى بـــه
فلـــدى الحبيـــب مـــن الأنـــام حواســـد
يغرونـــه حـــسداً بـــترك جوابـــه
لـــيس الـــسلام ســـوى تعلّـــة وامـــقٍ
يـــصلى بنـــار البعـــد مـــن أحبابـــه
تتـــصاعد الزفـــرات في أحـــشائه
فيبـــلّ غلتـــه بـــما يظمـــى بـــه

ومـــــن البليّـــــة في المحبـــــة أننـــــي
أقـــلى وأحـــسد في الـــذي يبكـــى بـــه
لا ينطفـــي شـــوقي بـــدون لقائـــه
أحيـــا بطلعتـــه وكـــشف نقابـــه
أعنـــي بـــه البـــدر المنـــير ومفخـــر
العـــصر الأخـــير ومنتهـــى أقطابـــه
صـــدر الـــشريعة والحقيقـــة عـــين أعـيـــ
ـــان الكـــمال ومرتجـــى طلابـــه
عـــزّ المعـــارف والعـــوارف نجـــل إسمـــ
اعيـــل فخـــر الـــدهر لـــبّ لبابـــه[1]
قـــاض صـــفا وصـــفت مـــوارد حكمـــه
فتـــزاحم الطـــلاب في أبوابـــه
لا يرتجـــي الخـــصمان إلاّ عدلـــه
أبـــداً ولا يخـــشون غـــير صـــوابه
يتقاســـمون عـــلى الـــسوية لحظـــه
وســـماع أذنيـــه ورجـــع خطابـــه
فيطيـــب نفـــساً بالقـــضاء كلاهمـــا
هـــذا لنـــصرته وذا لمتابـــه
يـــستنبط الحكـــم الخفـــي بخـــاطرٍ
مـــاض كـــومض الـــبرق وســـط ســـحابه

(١) القاضي محمد إسماعيل عبد الرزاق (كان حاكم المخا).

خلــصت صــفيحة فكــره عــن مطمــعٍ
يــصدى بــه فيــصده عــن دابــه
لمــــا أراد الله نــــشر صــــفاته
وتعطــــر الآفــــاق مــــن أطيابــــه
أرســى ســفينة فــضله في موضــعٍ(١)
تتفــاوت الأشــكال مــن أغرابــه
فيطــــير هــــذا بالثنــــاء مــــشرقاً
ويعـــود ذاك مغرّبــــاً بعجابــــه
دامـــت عليـــه مـــن الـــسلام تحيـــة
تبقــى مــدى الأحقــاب في أعقابــه

١٠٥. إلى محب

أهـــلاً وســـهلاً بكتـــاب أتـــى
أشــهى مــن العــذب الــزلال المعــين
إلى محـــب مـــن حبيـــبٍ لـــه
مـــن مهجـــة الـــصبّ مكـــان مكـــين
أطفــى اشــتياقي وأثــار الجــوى
وســكن الوجــد وأبــدى الحنــين

(١) موضع: يقصد بذلك الشاعر ميناء المخا.

١٠٦. ما لي أصانع

ماذا عسى أن يصنع اللّوام
جرت الدموع وشفتّ الأسقام
سبقت سيوف لحاظ من أحبته
عذل العذول وجفّت الأقلام
مالي أصانع في الغرام معاشراً
سكنوا، وهمت كما سهرت وناموا؟
لا يملكون مقادة لمقالهم
والحب إن أَرِنَ اللسان زمام
تالله لو سكروا بأيسر جرعة
مما ثلمت به إذاً ما لاموا
ويمهجتي المتحملين على النوى
عهدٌ تسرَّ بحفظه الأيام
سلبوا العقول بأعين مكحولة
بالسحر ما كسرت لها أعلام
الباخلين بطول أيام اللقا
وهم بأيام الفراق كرام
أودعن سراً يختلبن به الحجا
لا النفس تدركه ولا الأجسام
يعدون في الزمن الطويل فساعة
هي في يقين فراقهم أوهام

مـــا للمحـــب يحــار في شـــكوى الهـــوى
فـــــيظن داهيـــــة بـــــه الأقـــــوام؟

لاهـــين مـــن طـــرب النعـــيم عـــن الـــذي
لا العــــين تـــشغله ولا الأحــــلام

حاشـــــاه لا عـــــي ولا حـــــصر بـــــه
لكــــن هنالــــك تخجــــل الأفهــــام

متلاهيــــــين كـــــأنهم لا يعلمـــــوا
ولهـــي بهـــم ولهـــم بـــه إلمـــام

فعـــلى الخـــليّ مـــن الهـــوى وشـــجونه
مـــــن حامليـــــه تحيـــــة وســـــلام

لا إنهـــم منـــه ولا هـــو مـــنهم
أهـــل الهـــوى وشـــجتهم الأرحـــام

يـــا روضـــة الأدب الـــذي بكمالـــه
تتـــــــزيّن الأوراق والأقــــــلام

نظمـــت في ســـلك القـــريض قلائـــداً
كالــــــسحر إلا أن ذاك حـــــــرام

وأتيتنـــي بـــالجوهر الفـــرد الـــذي
كـــان الـــدليل لمـــا حكـــى (النظـــام)

غـــزل تلـــين لـــه القلـــوب وتنثنـــي
منـــه القـــدود ولا أقـــول مـــدام

فهـــو النـــسيم وســـامعوه أغـــصن
وأزاهــــر وصــــماخنا أكــــمام

١٠٧. موفق الرأي[١]

هـــل لأســـير ودكـــم مـــن مفتـــدي؟
وهـــل ليـــوم وصـــلكم مـــن موعـــد؟
لا يبعـــد الله الـــذين ذكـــرهم
في مـــسمعي ومنطقـــي والخلـــد
الـــواقفين همهـــم عـــلى العـــلى
والقاعـــدين منـــه خـــير مقعـــد
والـــوارثين كـــل خلـــق حـــسن
قـــد أحـــرزه ماجـــداً عـــن أمجـــد
والـــراكبين في الـــوغى نجائبـــاً
غـــير طـــراد الخـــصم لم تعـــوّد
والقائـــدين للعـــدا كتائبـــاً
منـــصورة تمـــلأ كـــل فدفـــد
أميرهـــا البـــدر الـــذي كانـــت لـــه
عنايـــة مـــن القـــدير الـــصّمد
موفـــق الـــرأي العـــلي اســـمه
وقـــدره بـــرغم أنـــف الحـــسّد
أطاعـــت العـــرب جميعـــاً أمـــره
طاعـــة مملـــوك لأمـــر ســـيّد

(١) يُقصد به محمد بن حسن بن خالد.

فقادهـــا كأنهـــا ســـيل طـــما
وطبـــق الأرض بـــلا تـــردّد
فعـــادت الـــترك جفـــاء فوقـــه
يقـــذفها قـــذف خـــضم مزبـــد
أو أنهـــا الـــدّهر ســـعى بـــصرفه
إلى اصـــطلام كـــل بـــاغٍ مفـــسد
شـــفى قلـــوب المـــؤمنين فتكـــه
ولم تمـــت بيغـــضها والكمـــد
وحولـــه مـــن أهـــل بيـــت المـــصطفى
كـــل كمـــيّ بطـــل مـــسوّد
رعـــى لهـــم حقـــوقهم ليـــشهدوا
بحقـــه لـــدى الـــشفيع في غـــد
فهـــم لـــه كولـــد لوالـــدٍ
وهـــو لهـــم كوالـــد لولـــد
فواجـــب عـــلى الأنـــام شـــكره
وذكـــره عـــلى مـــرور الأبـــد
وكيـــف لا وقـــد أبـــاد بأســـه
رجـــساً بغـــير بأســـه لم يبـــد
لـــو ســـاعد الـــدهر لكنـــت واحـــداً
مـــنهم ولكـــن المنـــى لم تـــسعد

ولـــو أطيـــع للـــشريف أمـــره
وتـــمّ مـــا قـــد رامـــه مـــن مقـــصد
لاتـــصلت جنودنـــا بجنـــده
واشـــتركت في مـــصدر ومـــورد
لكنّـــه صـــار فريـــداً في الفـــلا
كـــساعد لم يقـــترن بعـــضد
فكلـــما استنهـــضهم تثـــاقلوا
ولم يفـــوا مـــا وعـــدوه في الغـــد
ومـــن أراد نهـــضة مـــن عـــاجزٍ
يومـــاً فقـــد رام قيـــام مقعـــد
فهاكهـــا خريـــدة مـــصونة
ســـواك لم يكـــن لهـــا بمقـــصد
زففتهـــا إلى الكـــريم أصـــله
نجـــل النبـــي المـــصطفى محمـــد
ســـميّه وابـــن ســـميّ ســـبطه
وابـــن ســـميّ ســـيفه المجـــرّد
محمـــد بـــن الحـــسن بـــن خالـــدٍ
حـــائز كـــل شرف وســـؤدد

١٠٨. الخلافة القاسمية[١]

عظـــم الله يـــا حبيبـــي لـــك الأجـــر ولي في الخلافـــة القاســـميه

كـــل ملـــكٍ في العـــالمين سـيفنى   غـــير مُلـــك المليـــك رب البريّـــه

فنيـــت قيـــصر وكـــسرى وزالـــت   بقيـــام النبـــوّة الأحمديـــه

وتتالـــت فيهـــا ممالـــك شـــتى   كملـــوك العـــصابة الأمويـــه

وتنـــاهى أمـــر الملـــوك بنـــي العبـــاس حتـــى لم يبـــق مِـــنْهُم بقيـــه

وملـــوك في قطرنـــا الـــيمن الميمـــون صـــاروا أحـــلام نـــوم العـــشيه

مـــا قـــضي الله قـــط خلـــداً لملـــك   غـــير ملـــك الـــسعادة الأبديـــه

فـــإذا زال عـــن بنـــي القاســـم الملـــك فـــصبراً عـــلى عظـــيم الرزّيـــه

دولـــة أشرقـــت بطلعتهـــا الأرض وكانـــت بكـــل فـــضل حريّـــه

فعـــلى مثلهـــا ينـــاح ويبكـــى   وعلـــيكم منـــي جزيـــل التحيّـــه

١٠٩. نصح ونقد واستنهاض

شـــدّوا مـــن المجـــد حـــبلاً كـــان مفـــصوما

وشـــــيدوا مربعـــــاً للعـــــزّ مهـــــدوما

إحيـــوا مـــآثر آبـــاء لكـــم ســـلفوا

تتـــابعوا كنفـــيس الـــدرّ منظومـــا

(١) مؤسس الدولة القاسمية في اليمن هو الإمام المجدد القاسم بن محمد، المولود سنة ٩٦٧هـ والذي كانت دعوته سنة ١٠٠٦هـ وحارب مع أولاده الأتراك حتى توفي سنة ١٠٢٩هـ، وتوالى على الخلافة بعده أولاده وأحفاده.

إذا مضىٰ سلفٌ منهم أتىٰ خلفٌ
يستسلم المجد موزوناً ومقسوما
وجدّدوا برماح الخطّ ما كتبت
أباؤكم ليعود الخطّ مفهوما
أما ترون أمور الناس قد خربت
والحق أصبح بين الناس مهضوما
والأخذ والنهب حتىٰ في مدائنهم
كأنهم لم يروا في النهب تحريما
والطرق تقطع والأموال ذاهبة
ولا ترىٰ بأمور الناس مهموما
وأصبح الناس فوضىٰ لا عقيد[1] لهم
نرىٰ به أمر هذا القطر منظوما
ولا استماع لشاك في شكايته
ولا يقال فلان صار مظلوما
أما الربا وهو ذنب يستحق به
حرب من الله وعداً كان محتوما
فإن مطعمهم منه ومشربهم
يا بئس ذلك مشروباً ومطعوما
وقد تورط فيه الناس أجمعهم
بالصّرف فالكلّ فيه صار مأثوما

---

(١) العقيد: أي الزعيم أو القائد، ولا تحمل علىٰ الرتبة العسكرية بمفهومها الحالي.

وغايـــة الأمـــر لا شرع يقـــام ولا
عقـــل يكـــون لـــه في الأمـــر تحكـــيما

فكيـــف يرجـــى لهـــذا الأمـــر مـــن فـــرجٍ
أم كيـــف يـــصبح هـــذا الخلـــق مرحومـــا؟

بـــلى وعـــزّة مـــن تعنـــو الوجـــوه لـــه
ذلاً ومـــن لم يـــزل حيّـــاً وقيّومـــا

مـــا بعـــد هـــذا ســـوى خـــسف يحـــلّ بنـــا
حتـــى يعـــمّ إمامـــاً ثـــم مأمومـــا

يـــا مالـــك النـــاس إني قـــد دعـــوت إلى
ديـــن الرســـول فهـــب لي منـــك تتمـــيما

وابعـــث لنـــصرة هـــذا الـــدين جنـــد هـــدى
مؤيـــداً بعزيـــز النـــصر موســـوما

نفـــسي فـــدى (أكـــرم) القـــوم الـــذين لهـــم
في نـــصرة الـــدين ذكـــراً صـــار معلومـــا

قـــد اســـتجاب لنـــصر الـــدين أوّلهـــم
وســـوف يـــضحى بهـــم في النـــاس مختومـــا

وإن هتفـــت (بـــأقوام) فـــإن لهـــم
عنـــد (اللقـــاء) لنـــصر الحـــق تقـــديما

كـــذاك حيـــيّ (أســـوداً) إن هتفـــت بهـــم
عنـــد المهـــم فـــما أمـــسيت مهمومـــا

وابـــدأ بـــذكرك أهـــل البيـــت إن لهـــم
في منـــزل الـــذكر تطهـــيراً وتكـــريما

ذكـــرهم القـــائم (الهـــادي) الـــذي انفتحـــت
بـــــه معاقـــــل هـــــذا القطـــــر تـــــسليما
ونجلـــه (ناصـــر) الحـــق الـــذي شـــهدت
لـــــه(نغـــاش) بـــسرّ كـــان مكتومـــا
كـــــذا الأئمـــــة مـــــن أولاده فلهـــــم
جهـــاد صـــدق غـــدا في الكتـــب مرقومـــا
كـــذلك القـــائم(المنـــصور) مـــن قـــصمت
ســـيوفه العـــرب والأتـــراك و"الرومـــا"
وقـــــام لله عـــــن ضـــــعفٍ فأيّـــــده
عـــزم بـــه كـــان جنـــد البغـــي مهزومـــا
وســـــار أولاده الأمجـــــاد ســـــيرته
لم يتركـــوا لقنـــاة الـــدين تقـــويما
فـــالآن قـــد صـــار ركـــن الـــدين منهـــدماً
والملـــك إن طـــال هـــذا صـــار معـــدوما

١١٠. التغريد المرجع

نظـــــام كنـــــوّار الرّبيـــــع الموشّـــــع
ونثـــــر كتغريـــــد الهـــــزار المرجـــــع
وآداب أخـــــلاقٍ هـــــي الـــــروض بهجـــــة
فناهيـــك مـــن مـــرأىً ومـــن حـــسن مـــسمع

وصــــفت نظامـــاً قـــاصراً فـــسما بـــه
ثنـــاؤك حتـــى نـــال أرفـــع موضـــع
فـــما خـــصّ نظمـــي للقـــريض لذاتـــه
ولكـــن بـــسحر مـــن كلامـــك مـــودع
وذلـــك مـــن ســـحر البيـــان الـــذي حـــوى
فـــضيلته الإنـــسان مـــن خـــير مبـــدع
بـــه فـــضل الإنـــسان أبنـــاء جنـــسه
وخـــرّ إليـــه ســـاجداً كـــل مبـــدع
فللـــه مـــا أســـنى طريقتـــك التـــي
ســـموت بهـــا فـــضلاً عـــلى كـــل مـــدع
هـــديت إلى خـــير الفعـــال وأشرف المـــ
ـــقال وأعـــلى كـــل فخـــر وأرفـــع
ولا زلـــت مرفـــوع المقـــام مبلّـــغ المـــر
ام قريـــر العـــين غـــير مـــروّع
يخـــصّك مـــن أســـنى الـــسلام جزيلـــه
ورحمـــة ربّ العـــرش غـــير مـــودّع

١١١. رحيق القول

حـــديثك وافى مـــن بـــه قـــد منحتـــه
فشعـــشع منـــه في الطـــروس عتيقـــا
ومـــن قرعـــت تلـــك الحـــروف صـــماخه
نثـــرن عليـــه لؤلـــؤاً وعقيقـــا
إذا بلـــغ الـــسحر المبـــين إلى النهـــى
ســـلكن إلى صـــمّ الـــصخور طريقـــا
ومـــا كنـــت أدري أن في الخمـــر أســـطراً
وأن مـــن القـــول البـــديع رحيقـــا
فـــلا جـــرت الأقـــلام إلا بمثـــل مـــا
رقمـــت وقـــد ضـــمختهن خلوقـــا
يـــودّ ســـواد العـــين لـــو أنـــه لهـــا
تمخـــضّ في لـــون الـــدواة وليقـــا

١١٢. سلاف الأدب

إلى المـــولى الحـــسام غـــدت تهـــادى
وقـــد فـــضحت ببهجتهـــا (ســـعادا)
سرت فنـــضت عـــن الليـــل الـــسوادا
وسرّت أنفـــساً وشـــفت فـــؤادا
جعلـــت لهـــا البيـــاض بيـــاض عينـــي
وكـــان ســـواد مقلتهـــا المـــدادا

وحــــق لهــــا إذا تاهــــت وباهــــت

وقــــد ملكــــت مــــن الأســــد القيــــادا

ومــــدّت في ســــما العليــــا رواقــــاً

لهــــا كــــان العــــماد لهــــا عــــمادا

ومثلــــك مــــن أعــــدّ البــــيض ذخــــراً

لــــذلك والمطهمــــة الجيــــادا

لــــسيف أبيــــك مــــن دمهــــم شراب

ولكــــن مــــسّه ظمــــأ فعــــادا

ونــــصرك للفــــضائل أي عــــزٍ

فــــما أحــــرى عــــدوّك أن يعــــادى

لقــــد أهــــدى نظامــــك لي ســــلافاً

مــــن الآداب ألطــــف مــــا يهــــادى

ويــــشّرني فبــــتّ أميــــل ســــكراً

كغــــصن مــــن نــــسيم الــــصبح مــــادا

فــــما أدري بــــأيهما سروري

بمثــــنى مــــن كؤســــك أم فــــرادى

أرانــــا في (أزال) وإن بعــــدنا

نــــشاطرك المــــسرّة والمــــرادا

وهــــاك مــــن القواعــــد بنــــت فكــــرٍ

عجــــوزاً لا تريــــد ولا تــــرادا

تكـــــون لبنـــــت فكـــــرك أم خــــيرٍ
وتخــــــــدمها إذا قامـــــــت تهـــــادى

وأمـــــا مـــــا رواه (الـــــدارقطني)
ومـــا ســـمح الربيـــع بـــه وجـــادا

فقـــد ضـــمّ الجميـــع مـــن المنـــادى
وقـــد ضـــحك الربيـــع مـــن المنـــادى

١١٣. لحى الله

بـــــأي فـــــؤاد تطيبـــــك المزاهـــــر
وتزهـــو بعينيـــك الريـــاض النـــواضر؟

وتـــــنظم درّاً مـــــن مقالـــــك آنقـــــاً
تـــــزين بـــــه أجيـــــادهن الجـــــآذر

إذا أرنـــــت ذوو القـــــرائح ذادهـــــا
مـــن الـــدهر مـــسلوب الهـــوادة جـــائر

كـــان الحجـــى والحلـــم والجـــود والتقـــى
غرائـــــز نقـــــصٍ عنـــــده وجرائـــــر

لقـــــد آن أن يثنـــــي خليـــــع عنانـــــه
ويقـــصر عـــن شـــأو الفـــصاحة شـــاعر

حـــوادث عـــن مثـــل الـــسعالي حـــواسرٌ
وجوهـــاً وعـــن أنيـــاب ليـــث كـــواشر

تـــسربلت الأيـــام ثـــوب كآبـــة
تـــشق بـــه للنـــاظرين مرائـــر
ألا ماجـــد لا تحمـــل الـــضيم نفـــسه
ســـموّاً ولا تنتـــاش منـــه المحـــاجر
إذا ســيم خـــسفاً هـــزّ كـــلّ مثقـــفٍ
وصـــاحبه عـــضب الغـــرارين بـــاتر
يمـــزّق ثوبيهـــا بمطـــرورة الـــشبا
ويأخـــذ منهـــا ثـــاره ويـــساور
فـــذلك إن يهلـــك فغـــير مـــذمّم
وإن عـــاش عاشـــت في ذراه المفـــاخر
لعمـــر العـــلى مـــا العـــيش في الهـــون طيـــبٌ
ولا المـــوت في كـــسب المفـــاخر ضـــائر
ولائمـــة إن بـــتّ ملتهـــب الحـــشا
تجـــود بعينـــي الـــدموع الهـــوامر
تقـــول أمـــا في الخمـــر ســـلوة واصـــبٍ
فقلـــت نعـــم لـــولا التعفـــف زاجـــر
لحـــى الله مـــن يمـــسي بعـــين قريـــرة
وعـــين الهـــدى فيهـــا مـــن الغـــي عـــائر
فـــلا تيـــأسي يـــا نفـــس كـــم رحمـــة بهـــا
يقـــال وقـــد عـــزّ الـــتخلص عـــاثر
وبينـــا معاســـير الأمـــور مطيفـــةٌ
عـــلى المـــرء إذا دارت عليـــه الميـــاسر

١١٤. أيا سارياً

أيـــا ســـارياً ليلـــه الأليـــل   بوصـــل الـــدّميل وقطـــع الفـــلا
إذا مـــا لقيـــت بنـــي هاشـــمٍ   فبـــالله عـــزِّهم في العـــلا
بـــشق جيـــوب الـــسيوف الحـــداد   ولطـــم خـــدود القنـــا الـــذبّلا
ووصّ الجيـــاد بلـــبس الحـــداد   وقـــل لهـــم قبـــل أن تنـــزلا
قـــضى المجـــد وهـــو حبيـــب لكـــم   فواهـــاً لفقـــد حبيـــب خـــلا
مـــضى غـــير مـــستخلف بعـــده   لمـــن قـــال أوصـــال أو ضـــوّلا[1]
طـــويتم عـــن المجـــد كـــشحاً فهـــل   نـــسيتم محبتـــه أولا
وفي بيـــتكم نـــشأت ذاتـــه   وعـــنكم تنوســـخ واســـتنقلا
علـــيكم تـــدور رحـــاه وفي   منـــازلكم بـــدره يجـــتلى
ولـــيس لوالـــدكم غـــيره   تـــراث فكيـــف بقيـــتم بـــلا؟
فـــما تـــرك المـــصطفى فـــضة   تـــصاغ ولا حلـــة تحـــتلى
ولكـــن أشـــار إلى غايـــة   وقـــال لمـــن بعـــده حـــيهلا
بكـــى الأوّلـــون لنـــور الهـــدى   ونهـــج الـــشريعة إذ حُـــولا
وإني أرى الملـــك مـــن بعـــده   ســـيذهب مـــن بيـــنكم مجفـــلا
لقـــد زحـــزح الجهـــل أركانـــه   ومحكـــم بنيانـــه زلـــزلا
ألا ماجـــد آخـــذ ثـــأره   بضرب السيوف[2] وطعـن الكـلى
ويـــذل النفـــيس لعـــزّ النفـــوس وخـــوض المهالـــك أو يقـــتلا؟

---

(١) "ضوّلا": أي معنى بالغ، وهي لهجة يمنية.

(٢) في نسخة: بضرب الرؤوس.

١١٥. الظاهر المحتجب

حــار فكــري في حبيــبٍ مالــه منزل قــط ســوىٰ قلــب المحــب
فــإذا غبــت بــدا لي طالعــاً وهــو عنــي غائــب إن لم أغــب
مــلأ الأكــوان نــوراً وجهــه وهــو عنــي مــع هــذا محتجــب

١١٦. اعتذار(١)

أهــلاً بــما أهــديتموا مــن المــنن وما أتىٰ مـن حـسن ومـن حـسن
وبالكتــاب إذ أتــاني، وبمــن جـاء بـه اليـوم إلىٰ صـنعا الـيمن

* * *

والله مــا تركــي الجــواب ملــلا للــدرّ مــن حــديثكم ولا قــلىٰ
ولا اشــتغلت بــالخلا ولا المــلا ولا نــسيت حــبكم ولا ولا

* * *

حـديثكم عنـدي كترديـد الـنفس بــه الحيــاة والــسرور والــنفس
أو كنزول الغيـث بعـدما انحـبس يـسمعه الـزّراع في الأرض اليـبس

* * *

كيـف وأنـتم راحتـي وروحـي وفــيكم تغــزّلي ونــوحي
ونــور أسراري ونــور دوحــي وعذب مـائي عنـد فـرط لـوحي

* * *

---

(١) قال جواباً علىٰ أبيات وصلته من السيد العالم الشاعر حسن بن عبد الرحمن شرف الدين الكوكباني يعاتبه فيها علىٰ إهماله الجواب علىٰ قصيدة بعث بها إليه، ومطلع الأبيات:

تحيــة تهــدىٰ إلىٰ صــنعا الــيمن إلىٰ مقــام محــسن مــن الحــسن
مرفوعــة إلى الأمــين المــؤتمن مجموعــة أطنابهــا في كــل فــن

وإنــما شـــهر الـــصيام ذا وفـــد   والـثلج والـبرد الـشديد والجمـد
أخـرس بالـصمت لـساني وعقـد   وسلـــسبيل الـــنظم بـــالبرد جمـــد

* * *

مـــسألة هـــل الجـــواب واجـــب   عن الجـواب والجـواب واجـب؟
إن قيــل لا فقــد أصــاب العاتــب   على الصموت والـسكوت لاغـب

* * *

هـــذا ومـــا قـــصدي بالـــسؤال   سـوى اعتـذاري لـك عـن فعـالي
ولم أرد شـــعري ولا جـــدالي   ولا خلافـــاً لكـــم بحـــال

* * *

لكننـــي أخجلنـــي العتـــاب   وكـــاد يـــذهلني عـــن الخطـــاب
قد غـاب عنـي مـا هـو الـصواب   ولم يكـــن لي أبـــداً جـــواب

* * *

وهكـــذا صـــنيع أهـــل الحجـــج   وتـــبرز الحُجّـــة مـــن ذي العـــوج
"مثالـــه يـــذهب زيـــد ويجـــي   ويـــستجيش تـــارة ويلتجـــي"

* * *

فلـــيس إلا العفـــو والقبـــول   للعـــذر والظّـــن بكـــم جميـــل
فـــسامحوا وجـــاملوا وقولـــوا   تفـــضلاً لعـــذرك القبـــول

١١٧. أيها العاذل

أرسلت مقلة فصادت قلوبا ... ورنت جؤذراً وماست قضيبا

غادة تملؤ النواظر حسناً ... إن تبدّت وتملؤ الكون طيبا

كلما أظهرت من الحسن معنى ... أظهرت من هواي فنّاً غريبا

أيها العاذل الملحّ عليها ... وهواها يصدّني أن أجيبا

أنا أدرى بالعذل منك فهلا ... كنت في عذلك المحبّ مصيبا؟

قلت إن الغرام داء فقل لي ... ألداء الهوى وجدت طبيبا؟

ما تراها سلّت من الجفن سيفاً ... لقتالي به وسهماً مصيبا

كان يكفي بأن تقول لمثلي ... أعدوّا عشقته أم حبيبا؟

١١٨. حبانا المنى

بإطلاق عمي[1] زال همّي وتقييدي
وكان به من بعد إمساكه عيدي

وقرّت عيون بعد ما حبس الكرى
تنائيه عنها مطلقاً كل تسهيد

حبانا المنى مذ عاد صدّيق خلقه
عزيزاً به من بعد ذل وتهديد

(١) العالم، الشاعر، الكريم، السيد علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق، كان سجنه سنة ١٢١٠هـ إلى شهر شعبان سنة ١٢١٨هـ وفي السجن ألف كتابه (الصادح الغريب) شرحاً لقصيدة له سماها "بشرى الكئيب بالفرج القريب" انظر (نيل الوطر) المجلد الثاني ص ١٢٠. وله ترجمة في المقدمة.

وأبـــدل بعـــد العـــسر يـــسراً بفـــضله

وحـــلّ عـــراه بعـــد إحكـــام تعقيـــد

فللـــه عيـــد عمنـــا البـــشر والهنـــا

بـــه بانتظـــام الجمـــع في ســـلك تعويـــد

ونرجـــو عـــلاً مـــن بعـــد ذاك يخـــصنا

بـــه الله لا بـــالبيض منـــا وبالـــسود

ونحـــن ذووهـــا لـــيس إلا وإنـــما

قـــضى الـــدهر في إبطـــال جـــدّ بمجـــدود

فـــإني امـــرؤ مـــن معـــشر لم يكـــن لهـــم

ســـواها مـــلاذاً عنـــد كـــرب وتنكيـــد

ذوي الحلـــم والعلـــم المقـــدّم والقـــرى

لـــدى الـــسلم والتقـــوى لهـــم خـــير معـــدود

وفي الحـــرب إن شـــبّ المعانـــد نارهـــا

وأضرمهـــا في كـــل جمـــع ومـــشهود

فلـــست تـــرى بـــين الأســـنة مـــنهم

كميّـــاً بحبـــل للـــردى غـــير مـــشدود

يـــردّ عنـــان الطّـــرف خـــوف وثوبـــه

إلى مهـــج مـــن قبـــل شـــق وتمهيـــد

ويحـــسب وقـــع المرهفـــات ســـواجعاً

فلـــم يخـــل في الحـــالين مـــن حـــسن ترديـــد

كـــأن العـــدا بـــيض حـــسان وســـمرهم

يُهيِّجهـــا شـــوق افتـــضاض وتوســـيد

ولا ســـيما البـــدر المجـــلي لفـــضلهم

بـــأثر المـــصلّى خلـــف أفـــضل مولـــود

جمـــال العـــلا عنـــه الأولى أخـــذوا الحـــلى

حـــلى المجـــد لا الحـــلى المنـــضد للجيـــد

تجمـــع كـــل الفـــضل فيـــه مـــع النـــدى

كـــأن ســـواه فـــيهما غـــير معهـــود

وفي العلـــم مـــا قـــدر (الـــشريف) ونحـــوه

و(الفخـــر) بعـــد (الـــسعد) فيـــه بمقـــصود

عـــلى القطـــب إن دارت رحـــى القـــوم لم يكـــن

ســـواه لـــه التـــدقيق في كـــل معقـــود

* * *

وفي خلقـــــه روض تفـــــتح زهـــــره

لجـــانٍ تفتـــق والـــسراة بتمجيـــد

وعـــن بـــدره شـــاع الـــضياء بـــل كمالـــه

وأشرق في الآفـــاق بـــالعلم والجـــود

وقارنـــه مـــن غـــير نحـــس شـــقيقه

فكـــانوا كـــما شـــاء المنـــى خير موجـــود

فـــبخ لمـــن والى "عليًّـــا" لفـــضله

ويعـــد المعـــادي بعـــد نـــصّ وتحديـــد

وبـــشرى لنـــا بـــالجمع يـــا آل أحمـــد
ووصـــل أتـــى مـــن بعـــد قطـــع وتبعيـــد
ولا زال هـــذا البيـــت في النـــاس عـــامراً
بكـــل جميـــل مـــن مزيـــد وتجديـــد
ودم في نعـــيم مـــا حييـــت ورفعـــة
تجـــدّد للعليـــا بهـــا كـــل مفقـــود
وصـــلّ عـــلى المبعـــوث للنـــاس رحمـــة
وعونـــاً عـــلى الإطـــلاق مـــن خـــير معبـــود
مـــع الآل أهـــل الفـــضل والـــبر والتقـــى
ذوي الـــصدق في إيفـــاء وعـــدٍ لموعـــود

١١٩. اعتذار عن المدح

فـــأولى بمـــثلي أن يكـــون هجـــيره
دعـــاء بظهـــر الغيـــب كـــل أوان
فألبـــسك الـــرحمن تاجـــاً مـــن التقـــى
وزادك تـــشريفاً ورفعـــة شـــان
وحاطـــك مـــن كـــل الـــشرور بخنـــدقٍ
تعـــاذ بـــه مـــن طـــارق الحـــدثان
ودمـــت لهـــذا الخلـــق خـــير خليفـــةٍ
تـــذيقهم كـــأسي منـــى وأمـــان

ولا زلــــت في عـــزٍّ ونـــصرٍ مؤيـــدٍ
معانــا مــن الــرحمن غــير معــاني
وخــصّك منــي بالتحيــة كلهــا
مــضاعفة مــا أشرق القمــران

١٢٠. رسالة منظومة[١]

وصــلت في يــوم الخمــيس مــن القنبــور مختومــة إلى صــنعاء
حــين وافــت بــاليمن يتبعهــا الــسعد توالــت بــشائر الــسراء
بقــدوم الرســول بعــد بــلاغٍ ويــلاغ الكتــاب بعــد التنــائي
وبــما في أثنائــه مــن كــلامٍ وبــما في كلامــه مــن دعــاء
وخطــاب مــنكم ألــذّ عــلى الــسمع مــن القطــر بعــد غــور المــاء
وأخــذنا مــن حــذفكم ألــف التــا ريــخ بــشرى بالوصــل في الغــرّاء
لــست أحــصي الثنــاء منــي عــلى الله تعــالى إنعامــه مــن ثنــائي
نعمــة الله لــو تمــالا عــلى الــشكر عليهــا مــن تحــت ظــلّ الــسماء
لانتهــى الــشكر وابتــدت نعمــة بالــشكر أولى مــن تلــك قبــل الأداء
فقصارى شكري لــه العجــز عنــهُ ذاك جهـــد المقــلّ في الإثــراء
وصــــلاة علــــيكم وســــلامٌ بعــد إبــلاغ صــفوة الأصــفياء

---

(١) القنبور: اسم بلدة أو منطقة في تهامة. ومنها أرسل العلامة يوسف بن إبراهيم الأمير أبيات مطلعها: قال جامع الديوان: "وكتب إليه السيد العلامة يوسف بن إبراهيم الأمير من تهامة من "القنبور" أبياتاً مطلعها:
صــدرت ليلــة الوصــول إلى (القنبــور) بعــد الغــروب قبــل العــشاء

١٢١. الصبر بالأحرار أحرى[١]

سلفاً لنا ولكم وذخرا   يا حبّذا فرطاً وأجرا
صبراً جمال المكرمات   على قضاء الله صبرا
قد كان نجلك من هبات   الله قد أبقاه دهرا
وطواه حين أراده   عنا فساء به وسرا
ما كان إلا جوهراً   عن كل مكروه معرّى
ضنّ المليك به عن الـ   ـدنيا وجاد به لأخرى
وأحله دار المقامة   وهي خير مستقرا
وأعدّ في روض الجنان   لكم به والله قصرا
جاء الحديث بذا فحمـ   ـداً دائماً أبداً وشكرا
والله لو أن البكا   والحزن يدفع عنك ضرّا
ويردّ مفقوداً لكا   ن الصبر بالأحرار أحرى
ويكون إذ عدم الثوا   ب هو المصاب أسا وأجرا
ولأنت قطب الصابرين   وعمدة الأبرار طرّا

١٢٢. سحر الكلام؟

وله جواباً على القاضي حسين بن يوسف الصديق[٢]:

طابت بذكركم المحابر   وزهت بوصفكم الدفاتر
وتنافست في حسن نظمكم   المسامع والنواظر

(١) مواسياً العلامة السيد علي بن إسماعيل حميد الدين.
(٢) جواباً على القاضي حسين بن يوسف الصديق.

فـــالخطّ حـــظّ اللحـــظ منـــه ولفظـــه للـــسمع بـــاهر
لِمَ لمْ يكـــن ســـحراً وقـــد جعـل الجـواب لنـا جـواهر؟
فاعجـــب لـــسحر في الكـــلام ولـــيس ناظمـــه بـــساحر
ســـحر تـــزول بـــه العقـــول ولا تـــزول بـــه البـــصائر
نظـــم لـــه نظمـــي وكـــم تـــرك الأوائـــل للأواخـــر

١٢٣. الحسن أنت[1]

أبـــدى إليـــك تـــشوفي وتـــشوّقي
ويـــذيل حبـــك مـــا حييـــت تعلقـــي
جمعـــت محاســـنك التـــي لا تنتهـــي
بالحـــصر عـــدّاً مـــن هـــوىً متفـــوق
أنـــا مـــن ألـــذّ القتـــل فيـــك وأشـــتهي
أن تأخـــذي منـــي بحـــسنك مـــا بقـــي
وإذا رميـــت بـــسهم لحظـــك مهجتـــي
خـــاطرت غـــير مـــساتر أو أتّقـــي
أعـــزز عـــلي بـــأن أراني باكيـــاً
فالـــدمع بـــرد حـــرارة المتـــشوّق
الحـــسن أنـــت تقـــسمت أجـــزاؤه
مـــا بـــين أخمـــص مـــوطئي أو مفرقـــي
ولـــو أن هـــذا الحـــب كـــان مشخّـــصاً
أصـــبحت شخـــصاً للغـــرام المطلـــق

(١) القاضي يحيى بن علي الشوكاني، صنو شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، ترجمه زبارة في (نيل الـوطر) ج٢، ص ٣٩٥، وقال: إنه ولد سنة ١١٩٠هـ، وتوفي سنة١٢٦٧هـ.

هيهات لا أسلو ولو كلّفته
فضح التخلق شيمة المتخلّق
وإذا بدا لي في السلو تعرضت
دون السلوّ سجيّة المتحقق
يا من إذا ذكرت محاسن وصفه
وقف الكلام بحيث لم يتحقق
يا فتنة للعابدين وحيرة
للناظرين وحبسة للمغلق
أفنيت عمري في هواك ولم أنل
فيه رضاك فليتني لم أعشق
هلا رثيت لصبري المتمزّق
هلا أويت لدمعي المترقرق؟

١٢٤. إياك أن تقنط

قد جعل الله جزاء عبده   مضاعفاً موفراً موسّعا
إذا تقربت إليه راغباً   أتاك شبراً إن أتيت أصبعا
وإن تقرّبت إليه بالتقى   شبراً دنا منك ذراعاً مسرعا
ثم إذا جئت ذراعاً نحوه   جاءك باعاً كاملاً ووسّعا
وإن مشيت نحوه في مهل   هرول في مجيئه وأسرعا
كذا المحبّ إن أتى حبيبه   هشّ إليه فرحاً وأوضعا
فسر إلى من لا ترى لوجهه   تجهماً منك ولا ترفعا
يوليك إن وافيته بشاشة   تذهب بالوحشة منك أجمعا
فلا تكن من الذنوب خائفاً   مستوحشاً مما صنعت فزعا

واســـتغفر الله تجـــده غـــافراً مـــستمعاً لعبـــده إذا دعـــا
إيــاك أن تقــنط مــن رحمــة مــن غفرانــه لكــل ذنــب وســعا

١٢٥. صرخة البين

عـــذراً إليـــك وإن لم يقـــض مـــا وجبـــا
صـــبٌّ لطـــول التنـــائي قلبـــه وجبـــا
لـــو كـــان يعلـــم بـــدري مـــا تـــضمّنه
قلبـــي مـــن الهـــمّ والأحـــزان مـــا عتبـــا
غيظـــاً عـــلى زمـــن الـــشوق الـــذي عبثـــت
صروفـــه بالحـــشا ظلـــماً ولا عجبـــا
أســـبابه بالتنـــائي غـــير واحـــدةٍ
ولم يـــدع أبـــداً في وصـــلنا ســـببا
يمـــشي الهوينـــا إذا رمنـــا وصـــالكم
حتـــى إذا مـــا رأى تفريقنـــا وثبـــا
أشـــكو عليـــه فـــلا يحنـــو عـــليّ ولا
ذنبـــاً جنيـــت وإن أرضـــيته غـــضبا
أيـــن الليـــالي التـــي كانـــت تـــساعفنا
طوعـــاً إذا مـــا دعوناهـــا ســـعت خببـــا
وأيـــن أيامنـــا في (الـــبرح) لا برحـــت
أيـــدي الغـــمام تحيّيـــه بـــما طلبـــا
أحبابنـــا مـــا ســـلا قلبـــي لفقـــدكم
يومـــاً وقـــد ملئـــت أحـــشاؤه وصـــبا

لا تحـــسبونا وإن شـــط المـــزار بنـــا
عـــنكم يـــروق لنـــا لهـــواً ولا طربـــا

ولا نـــسينا عهـــود الحـــبّ بعـــدكم
وإن تناســـيتم بالحـــب مغتربـــا

يـــا صرخـــة البـــين رفقـــاً بـــالفؤاد فـــما
أبقيـــت لي أبـــداً في ســـلوة أربـــا

ألا ســـكن الله قلبـــاً لم يطـــر كلفـــاً
إذا الحـــمام عـــلى أغـــصانه خطبـــا

أو نـــاظراً لاح بـــرق الغـــور مبتـــسماً
ولم يـــروّ بكـــاه البـــان والعـــذبا

ســـقياً لعهـــد وصـــال لـــست أذكـــره
إلا وغـــادرت قلـــب الـــصبّ ملتهبـــا

نـــأى المـــزار بكـــم والـــدار دانيـــة
وهكـــذا الـــدهر إن أعطـــى اللقـــا ســـلبا

عـــلّ الليـــالي بجمـــع الـــشمل تنظمنـــا
إن أنـــصف الـــدهر والإنـــصاف قـــد ذهبـــا

لكـــن لنـــا حـــسن ظـــن لا يخيـــب وإن
طـــال الفـــراق ومـــا يـــأتي فقـــد قربـــا

وكـــل فـــادح خطـــبٍ لا يـــدوم إذا
وكـــل عـــسر إلى يـــسر وإن صـــعبا(١)

(١) قال ناسخ الديوان في النسخة التي اعتمدناها ما نصه: "انتهى الموجود من النبذة الموجودة من شعر أشعر العلماء وأعلم الشعراء العلامة العظيم محسن بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن ن الإمام المنصور القاسم بن محمد رحمهم الله جميعاً، انتهى من خط السيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محسن بن عبد الكريم إسحاق.

١٢٦. وصف رحلة الحج

باســـم إلهـــي تحـــسن البدايـــه وتـــصلح الأعـــمال في النهايـــه

ثـــم الـــصلاة والـــسلام أبـــدا تبلـــغ طـــه المـــصطفى محمـــدا

وآلـــــه وصـــــحبه الكـــــرام مـــا أمّ وفـــد بيتـــه الحرامـــا

والحمـــــد لله كثـــــيراً جمّـــــا عـــلى جزيـــل فـــضله والـــنّعما

فكـــم لـــه مـــن نعـــم علينـــا وكـــم أيـــاد ســـاقها إلينـــا

نحمـــده حمـــداً يـــوافي نعمـــه ونـــستزيد جـــوده وكرمـــه

ونبـــسط الكـــفّ لنيـــل رفـــده وأن نكـــون مـــن أخـــصّ وفـــده

* * *

وبعـــد ذا نهـــدي إلى الأحبـــاب تحيـــة تفـــوح بالأطيـــاب

النـــازلين في ربـــوع صـــنعا وحـــبهم للكـــل صـــار طبعـــا

ونحـــوهم نهـــدي مـــن الأخبـــار بعـــض الـــذي نـــراه في الأســـفار

* * *

كـــان خروجنـــا مـــن الأوطـــان لقـــصد بيـــت الواحـــد المنـــان

يـــوم الخمـــيس وهـــو مـــن شـــوال إحـــدى وعـــشرين بـــلا مقـــال

سرنـــا بحمـــد الله ذي الجـــلال كقـــولهم ســـار غـــلام الـــوالي

ثـــم وقفنـــا يومنـــا في (متنـــه) وجاءنـــا الله بكـــل منّـــه

بـــالغيم مـــن قبـــل شروق الـــشمس فلـــم نجـــد لحرّهـــا مـــن مـــسّ

ولا رأينـا قـطّ وعثـاء الـسفر ولا أصـابنا مـن الغـيم مطـر
بتنـا بهـا وصـبح يـوم الجمعـه سرنا على اسم الله نـسعى جمعـه[1]
حتـى أتينـا بالـضحى(بوعانـا) وذاك يـوم الـسوق فيـه كانـا
وطابـت القهـوة في بوعـان وجاءنـا مـن خوخـه نوعـان
ثـم مـشينا نقطـع الطريقـا والغـيم قـد أظلنـا رفيقـا
حتى أتينـا مـسجد (الحوضـين) فيـه أقمنـا الظهـر ركعتـين
والعـصر مثلـه فطـاب الحـال وانـتظم الموقـف والمقـال
تجـري بـه مـن تحتنـا الأنهـار قـد جاويـت تـصفيقها الأطيـار
نرجـوه غفرانـاً وسـتراً شـاملا ملازمـاً لنـا ولطفـاً كـاملا
ومـن نـداه نطلـب الوصـولا إلى الحمـى ونـسأل القبـولا
مـن فـضله نرجـو تمـام النعمـه ودفـع كـل شـدّة وغمّـه
سبحان مـولى الجـود أهـل الكـرم المبتـدي مـن فـضله بـالنّعم
نطلبـه يطـوي لنـا البعيـدا وأن ينيـل كلّنـا المقـصودا
حتى نـوافي "الحجـر" و"المقاما" ونـستلذ فـيهما المقامـا

* * *

نعـم وفي الحوضـين بعـض الخـبره أجـال في بعـض الأمـور فكـره
توهمـاً بـأن بعـض الحمـر غـوى بـه مـسافر أو سمـسري
قيـل لـه هـل حجمـه كحجمـه قـال نعـم وجـسمه كجـسمه
وحـين أكثـروا عليـه الكركـره[2] قـام إليـه مـسرعاً لينظـره

(١) جمعه: أي جميعاً.
(٢) الكركره: أي الضحك بصوت مسموع.

وقــاس بعــد طولــه وعرضــه   وقــال قــد عرفتــه بالغرضــه[1]
قيــل لــه فاجعــل لــه علامــه[2]   "وقس على قـولي تكـن علامـه"
ثـم قـصدنا "العجـز"[3] بعـد القهـوه   وفي الطبـــاع راحـــة ونـــشوه
وفيـه دبـت في الجـسوم الرخـوه   لأننـا فيـه عـدمنا الهجـوه[4]
ولم تطـب فيـه لنـا (القهـاوي)[5]   والقـوم بـين عـاطش[6] وراوي
فـأجمع الـرأي بغـير لعثمـه   أن المسا مستحـسن في (الأكمـه)

أكمـة تنـسب لابـن "مهـدي"   رابيـة في القـاع مثـل النهـد
كـان وصـولنا بهـا بعـد الغـدا   ثـم دخلنـا في رباهـا مـسجدا
قلنـا[7] إلى بعـد صـلاة الظهـر   حتى استرحنا مـن سـموم الحـرّ
ثـم صـعدنا بعـده ديوانـا   كـاد يكـون في البنـا إيوانـا
أخـشابه في سـقفه إحـدى عـشر   وقاعـه مفروشـة فيهـا حـصر[8]
فطـاب فيـه جمـع شـمل الخـبره[9]   قد حسن "المدكا"[10] بـه والـسّمره
وعـاد إشـكال الحـمار ثانيـا   أشـدّ ممـا كـان قبـل باديـا
فبعـضهم أنّـث بعـض الحمـر   وظنّـه البغلـة غـير ممـتري

---

(١) الغرضه: من أدوات ركاب الحمير.
(٢) علامه: أي علامة مميزة.
(٣) العجز: بلدة في الحيمة الخارجية، وهي الطريق إلى مدينة الحديدة التي قصد منها الشاعر رحلته إلى الحج.
(٤) الهجوه: أي الضباب أو الغيم.
(٥) القهاوي: جمع مقهى، وهي أماكن يستريح فيها المسافر.
(٦) عاطش: أي ضمآن.
(٧) قِلنا: أي من القيلولة بعد الغداء.
(٨) حصر: أي الحصير، وهو نوع من الفراش المعمول من القش.
(٩) الخّبره: الرفاق والصحاب.
(١٠) المدكا: أي الجلسة التي يتم فيها تخزين ومضغ القات.

ويعضهم قال بأنّ (الصارما) (غاوي) الخطام بالحمار جازما
وجزموا بأنه المغاوي كقولهم وراكب بجاوي
وصار بعض الناس فيه تاجرا مقطعاً لشاشه ميازرا
يأخذ بالمتزر منهم شاشا أو ما خلا أو ما عدا أو حاشا

* * *

وقبل وقت الفجر يوم الأحد كان الشداد[1] للحمير عن يد
ثم أقمنا الفجر بعد الدلجه وبعده المسير نحو "الشجه"[2]
فلم نزل نرقى عليها صعدا حتى بلغنا رأسها بعد الغدا
ثم سرحنا بعد ذاك (الهجره)[3] بزفة مضمرة ومحجره[4]
حتى بلغنا بيت (مهدي الزبير) كافاه عنا ربنا بكل خير
أنزلنا في "منظر"[5] رحيبه مجدّداً ريحانه وطيبه
ولم يزل يبذل من إكرامه للكلّ ما نعجز عن نظامه
وكل من يحضر من وفوده لابد ما يتحفنا من (عوده)
ويعضهم يتحفنا بعطر حتى سرى في الجو طيب النشر
وهذه قاعدة مستحسنه ما قد رأينا مثلها في الأمكنه
لولا المقام لأقمنا عشرا لما رأينا كل ما قد سرا

---

(١) الشداد: الاستعداد للسفر.
(٢) الشجه: اسم لمنطقة في حراز.
(٣) الهجره: اسم لمنطقة في حراز.
(٤) المحجره: أي الابتهال.
(٥) المنظر: الغرفة التي تبنى أعلى المنزل للمقيل.

لكنهـا الأشـواق نحـو الحـرم   تحثنـا علـى السّرى في الظّلم
فنسأل الله المعيد المبدي   يزوي لنا في الأرض كل بعد
حتى نحلّ البلد الحراما   ونبلغ المقصود والمراما
ويقبل الكل بمحض الفضل   موفقاً لطيبات الفعل
فالعبد ماله سوى مولاه   مهما أراد مطلباً دعاه
إذا دعاه عبده أجابه   ونال من إحسانه طلابه
ما زال يولينا الجميل فضلا   بجوده صار العسير سهلا
ويوم الاثنين أقمنا قسرا   إكرامه أضعاف ما قد مرّا
إكرامه للضيف ينسيه الوطن   لما يرى من فعلهم كل حسن

* * *

يوم الثلاثاء مع طلوع الشمس   سرنا ولم نجد لها من مس
لأنه أظلّنا الغمام   وعمّنا من ربّنا الإنعام
ولم يزل يدنو بنا النقيل(١)   نقطعه وثباً ولا نقيل
وقد أظلنا به الغمام   كأنه من فوقنا خيام
فلم نزل ننزل في ظلاله   والحمد لله على إفضاله
حتى بلغنا مطرح (المراحض)   من دون مانع ولا معارض
فأنزل الله بها الأمطارا   قد برّدت من سوحه أقطارا
ومن طلوع الشمس يوم الأربعا   سرنا إلى (لعسان) نمشي أجمعا
وفيه أدركنا الغداء والعشا   وبعده سرنا إلى وقت العشا

---

(١) النقيل: الطريق صعوداً وهبوطاً في الجبل.

وكـان ممسانا (البحـيح) فاسـتمد　　للنـوم فيـه كـل مـاش ورقـد
والصبح في يـوم الخمـيس بـاجلا　　سرنـا إليـه راكبـاً وراجـلا
حتـى بلغنـا قلعـة الـشيخ عـلي　　حميـدة وهـي أعـزّ معقـل
فجمّـل الله (عـلي حميـده)　　أفعالـه صـالحة حميـده
أنـال كـل وافـد مـراده　　فـما عـلى إكرامـه زيـاده

* * *

وليلـة الـسبت حمـدنا المسرى　　عنـد الـصباح إذ رأينـا البحـرا
وجاءنـا في بنـدر الحديـده　　(يوسـف) في طلعتـه الـسعيده
آنـسنا بالبـشر مـن بعـد القـرى　　فلا تـسل مـن جـوده عـمّا جـرى
وبعـده جـاء الأمـير سـامرا　　مـصليّاً مـسلماً مجـابرا
قلنـا وقلنـا للنفـوس فـوزي　　بقاتـه المـشهور (بـاليفوزي)

* * *

ما كنـت أدري قبـل مـرأى البحـر　　بأنهـا توجـد أرض تجـري
أنعامهـا سـاكنة لا تحـرك　　وهـي بهـم جاريـة لا تـبرك
سـاكنة تخـال وهـي سـالكه　　تطـوي بـك البعيـد وهـي باركـه
مثـل الزمـان لم يـزل بأهلـه　　يجـري وهـم في غفلـة مـن فعلـه

* * *

فـصل بـه نفـصل خـوض الـبرّ　　عن ذكـر مـا جـرى لنـا في البحـر
في سـادس الـشهر هجرنـا الـبرا　　عـصر الخمـيس وركبنـا البحـرا

بتنا به ليلتنا في المرسى ... ومثله أصبح ثم أمسى
وصبح يوم السبت قد نشرنا[1] ... شراعنا لقطعه وسرنا
أول مرسى كان في (بحيص) ... هذا وحال البحر حيص بيص[2]

* * *

فبعضهم قد شغلته الدوخه ... حتى غدا منها يهم الشخه[3]
والبعض قد أطلقه الصلاق[4] ... إلى الخلوص كلهم مشتاق
فكم ترى من قاذف مقَزِّز[5] ... من الغداء والعشاء محترز
يدفع ما يأكله مفرطا ... سموّه مما مسه (مزيرطا)
وكمران[6] كان فيه مرسى ... في سوحه أدرك كل أنسا
يوماً وليلة به أقمنا ... وماؤه العذب به اغتسلنا
وبعده المرسى قبال (الحنه) ... والحمد لله العظيم المنه
فإنه جرت لنا ألطاف ... به أمنّا كل ما نخاف
بعض المراسي أرسل الله المطر ... لكنه ما نالنا منه ضرر
و(البرك) ليلة به مرسانا ... و(حلي) بعده به ممسانا
سحّ علينا في دجاه المطر ... وليس يغني من قضاء حذر

---

(١) نشرنا: أي تم السفر.
(٢) حيص: أي القلق مما هو متوقع حدوثه.
(٣) الشخه: الحاجة إلى التبول.
(٤) الصلاق: مرض كان معروفاً متعلق بأمراض الجلد.
(٥) مقزز: أي مكفهر وغير مرتاح لما يرى.
(٦) كمران: جزيرة كمران المعروفة.

فــأجمع الــرأي بــلا مجــادل علىٰ السلوك من طريـق الساحل
بـه قـصدنا للخـروج (القنفـذه) وقـد زبلنـا[1] تعبـاً وقلفـده[2]
فــأطبقوا عــلىٰ الخــروج منهــا يــوم الخميس لا عـدول عنهـا
في يـوم عـشرين لـشهر القعـده مستـصحبين للطريـق العـده
ثـم اكـتروا سـبعاً مـن الجـمال تحملهـم في الخبـت والرمـال
بــأربعين فــوق مــائتين كـان الكـرا مـن القـروش العـين
وجاءنــا وزيرهــا والكاتــب وجملــة ممــن بهــا يناســب
ثـم أتـىٰ فيهـا حفيـد (الميرغنـي) (عـثمان) وهـو بـالتلاقي معتنـي
في بلــد الــسودان كــان غايبــا يــسبح فيهــا جانبــاً فجانبــا
ألــف وخمــسمائة قــد أســلموا عـلىٰ يديـه بالـدعاء وسـلموا
غــاب بهــا تــسعاً مــن الــسنين يــدعوهم إلىٰ الهــدىٰ المبــين
مــصرّحاً أوّل كــل تــدريس بما روىٰ عن (أحمـد بـن إدريـس)
لأنــه أســتاذه الحقيقــي جاذبــه لأقــوم الطريــق
فيهــا لقينــاه يــؤم الحرمــا أســتاذه طلبــه ليقــدما
لكــن ســبقناه إلىٰ المقــصود وجــاء بعــدنا مــع الوفــود
ولم نــزل نقطــع تلــك الأرضــا نطلــب مــن أعاننــا أن يــرضىٰ
وكانــت الأمطــار متتابعــه لولا حصول اللطف كانت قاطعه

* * *

(١) الزبل: الضيق وقلة الراحة.
(٢) القلفدة: الحال الغير منظم ومرتب وضعه.

كان "الشداد بعد عصر الجمعه | والسير دفعة عقيب دفعه
حتى أتينا بعد فجر "الحسبه" | وهي محل بالزروع مخصبه
وأول الظهر رحلنا العيسا | واستحسنوا في دوقه التعريسا
وبعد حط الرحل والأثقال | أرخت علينا سحبها العزالي
ثم رحلنا بعد ظهر الأحد | نطوي بحمد الله كل فدفد
وبعد ما أرخى الدّجى سدوله | أرخى السحاب فوقنا سيوله
فنزلوا تحت غصون "المرخ" | وعقد غيث السحب فيه مرخي
والكل في ظلاله قد قالا | وزاده بثوبه ظلالا
وهاهنا قاموا القطب الشده[1] | يحاذرون مطراً وشده
ولم نزل حتى وردنا الشاقه[2] | وما رأينا قطّ حالاً شاقه
ثم حططنا الرحل بعد العصر | وثم نمنا لصلاة الفجر
والسير قد كان إلى وقت الضحى | والكلّ منا بالمقام فرحا
وجعلوا المرخ لهم ظلالا | وذبحوا "تيساً"[3] لهم أكالا
وأوجد الله به حسيّا | كانت لهم نظافة وريا
ثم تغدينا ونمنا ساعه | والظهر صلينا به جماعه
فيه أقمنا يومنا (الربوعا) | والليل أوقدنا به شموعا
وعقدة[4] العزي ابن إسماعيل[5] | قد ذكرتنا (أحمد القباتلي)

---

(١) الشدّة: سبق شرحها، وهي تعني الاستعداد للسفر.
(٢) الشاقة: اسم مكان في الطريق أثناء سفره للحج.
(٣) التيس: أي الجدي.
(٤) العقدة: بفتح العين: طبخة يمنية معروفة.
(٥) ابن إسماعيل: أحد رفقاء الشاعر في رحلته.

وقــد ذكرنــا ســائر الأحبــاب   نتلــو لهــم "فاتحــة الكتــاب"
ثـم أتينـا (الهـضب) بعـد (الليـث)[1]   والخبـز لم يبـق سـوى الحثيـث[2]
لكنـــه عـــصدة الهـــريش[3]   والـــرزّ بعـــد أكلـــه نهـــيش
وقـــد تفيأنـــا بـــه ظـــلالا   مـن صـخرات سـامت الجبـالا
وهبـــتّ الـــريح بـــه ســـموما   ونـــسفّت رمالـــه رجومـــا
وفيـــه مـــاء أشـــبه النباتـــا   ذوقـــاً وفـــاق النيـــل والفراتـــا
ويعـــده سرنـــا إلى (يلملـــم)   ميقاتنـــا في قـــصدنا للحـــرم
وهـــو يـــسمى الآن بالـــسعديه   باســـم بئـــر عذبـــة هنيـــه
وفي حمـاه قـد قرمنـا "للقـرم"[4]   مأدومـة بعكـسها مـن الـنعم
وعند وقت العصر شـدّوا الـرّحلا   وأسـبغوا بعـد الوضـوء الغـسلا
ويعـد أن صـلوا أهلـوا أجمعـا   بعمـــرة مفـــردة تمتعـــا
لأنهـم مـا سـاق مـنهم أحـد   هــدياً وهــم للاتبــاع قــصدوا

* * *

لبيـــك لبيـــك أتـــاك الوفـــد   مطلـبهم منـك العطـا والرفـد
لبيـــك فـــاغفر لهـــم الأوزارا   صـــغارها يـــا ربّ والكبـــارا
لبيـك إن الحمـد والنعمـة لـك   وكلـــها عليـــه قـــد دار الفلـــك
لبيـك في ملكـك لا شريـك لـك   يـا ربّ كـل سـالك أنّـا سـلك
لبيـــك أهـــل الجـــود والنـــوال   يـــا غـــافر الـــذنب ولا تبـــالي

---

(١) "الهضب" "الليث": أسماء لمناطق في الحجاز.
(٢) الحثيث: أي بقايا الخبز.
(٣) الهريش: أكلة يمنية معروفة في المناطق الشمالية.
(٤) "القرم": نوع من الخبز العادي الذي يعمل بشكل سريع.

لبيك من لبى من الخلق فلك | يا ربّ كل مالك وما ملك
لبيك للعفو أتينا نطلب | ومن قبيح ما اجترحنا نهرب
لبيك جئناك مجيبي دعوتك | تعرضاً لنفحات رحمتك
لبيك أنت الملك الكريم | وبيتك المبارك العظيم
حاشاك أن يرجع من وافاكا | بخيبة وقد أتى حِماكا
أشعث قد شقت به أسفاره | وكتبت في صحفه آثاره
مفارقاً لأهله وماله | قد فارق المألوف من أحواله
وارحم عبيداً قد أتوك غبرا | شعثاً يريدون بذاك الأجرا
ولا تؤاخذهم بما قد أسلفوا | فهم بأنواع الخطايا اعترفوا
سواك لا يغفر ذنباً عرفوا | يرجون محو ما أتوا واقترفوا
واعصمهم فيما بقى من عمر | خذ بنواصيهم لفعل البر
فصل وكان السير بعد العصر | حتى نزلنا عند وقت الفجر
وفي "إدام" نفذ الطعام | لم يبق إلا الرزّ والإدام[1]
وقرطوا[2] قبل العشا (قلاء)[3] | ليرتحوا[4] بأكله "العشاء"
وذبحوا في سوحه طليّا[5] | وجعلوه للعشا "مضيّا"
ويسر الله لهم دقيقا | من بعض من كان لهم رفيقا

---

(١) الإدام: قد تكون تركية وهي متداولة في بعض المناطق اليمنية، بمعنى ما يكفي أو يسد الرمق من الأكل "وإدام" في الشطر الأول من البيت: اسم لمنطقة أو محل.

(٢) قرطط: أي مضغ وطحن الشيء بأسنانه بصعوبة.

(٣) قلاء: أي حبوب الفول.

(٤) يرتح: لهجة يمنية بمعنى يساعد- يَسْنِده.

(٥) الطلي: لهجة يمنية بمعنى الخروف.

محمـــد بـــن أحمـــد الـــشريف   حمـــودعمـــه بـــلا تحريـــف
و"قاســـم" كانـــت لـــه ذخـــيره[1]   مـــن تمـــره في "قرعـــة"[2] صـــغيره
قـــــسمها لأجــــــره محتـــــسبا   "تقول قـد صـاد الأمـير أرنبـا"
قد صقر "[3] الفخري"[4] له مطالبـا   حتـى غـدا للتمـر منـه جاذبـا
وفي "رقـاق"[5] تحت ظـل التمـر   قـد نزلـوا عنـد أوان الـسّحر
وذاك وادٍ لــــه اســـــم ثـــــاني   ويعـــضهم ســـماه "ملكـــان"
كالهـضب فيـه نحـو ذا قـد قـالوا   بأنهـــا تـــسمى بهـــا الجبـــال
ويئـــــره مـــــسميه بالخـــــضرا   ويعـدها "البيـضا" وكانـت أمـرا
عهـــدي بهـــا مـــرحلتين كانـــت   لكنهـــا قـــد ثلثـــت فهانـــت
ولم يكـــن لنـــا بـــه مـــن مـــاء   لكــن حملنــاه مــن "البيــضاء"
إذ وردوهـــا عنـــد نـــصف الليـــل   والنـوم في الأجفـان وافي الكيـل
واحـــتفظ القـــوم بـــما في القـــرب   لمطعـــــم ومأكـــــل وشرب
ومنـــه شـــدّينا إلى "أم القـــرى"   "عند الصباح يحمد القوم السرى"
وحـــين شـــاهدنا قناديـــل الحـــرم   عـــلى المنـــارات مـــشينا بالقـــدم

* * *

قـــام رســـول ســـيدي (ســـليمان)   وعنـده(زمـزم) مـروي الظمـآن

---

(١) ذخيره: أي لديه شيء يحتاط به.
(٢) قُرعه: كيس من الجلد يصطحبه المسافر معه ليضع فيه ما يحتاجه عند سفره.
(٣) صَقر: أي ركز.
(٤) الفخري: تطلق هذه التسمية على اسم "عبدالله" والمقصود هنا جـامع الـديوان عبـد الله بـن أحمـد بـن سـعيد العماري جامع ديوان الشاعر ورفيق رحلته.
(٥) رقاق: اسم منطقة.

ومعـــــه البغلــــة والحـــمار　　وعنـــده (شيـــشته) والنـــار
فركــب الحــسام[1] فــوق العــير　　ويوســف البغلــة نحــو الــدِّير
حتــى وقفنــا عنــد بــاب الحــرم　　بــاب الــسلام وقــت كــشف الظلــم
ثــم دخلنـــا لــصلاة الــصبح　　وكلنـــا مستبـــشر بـــالنجح
تلتـــه منـــا ســـبعة الأطـــواف　　والأمـــر في ذلـــك غـــير خـــافي
ثـــم قـــصدنا الحجـــر المكرّمـــا　　كـــل أتـــى مكـــبّراً مـــسلّما
ويعـــده كـــان الـــشروع بالرمـــل　　ســـنة مـــن قـــاد إلى الخـــير ودل
ثـــم المقـــام بعـــد ذا أتينـــا　　وركعتـــين خلفـــه صـــلينا
ويعـــده رحنـــا إلى بـــاب الـــصفا　　نسعى كـما قـد سـنّ خـير الحنفـا
بعـــد تمـــام الـــسعي قـــد حلقنـــا　　وفي منـــازل الحمـــى افترقنـــا

* * *

ثـــم أقمنـــا لـــصباح الثـــامن　　في بلـــد الله الحـــرام الآمـــن
في صـــبحه للحـــج قـــد أهللنـــا　　ثـــم ركبنـــا ومنـــى أتينـــا
بهـــا أقمنـــا خمـــس صـــلوات　　ثـــم صـــعدنا نحـــو عرفـــات
فلـــم نـــزل حتـــى وصـــلنا نمـــره　　بهـــا نزلنـــا خيمـــة كـــالمنظره
ثـــم وقفنـــا للوقـــوف في الجبـــل　　بعـــد صـــلاة ظهرنـــا إلى الطّفـــل[2]
ثـــم أفـــضنا قاصـــدين المـــشعرا　　لنحمـــد الله بـــه ونـــشكرا
بتنـــا بـــه وفي صـــباح العيـــد　　سرنـــا إلى المخـــيّم الـــسعيد
إلى (منـــى) حيـــث محـــل الهـــدي　　وعنـــدما ينـــدب نـــسك الرمـــي
ويعـــد رمـــي الجمـــر سرنـــا مكـــه　　ليـــستتم الكـــل منـــا نـــسكه

---

(١) الحسام: يعني بها الشاعر، وهذه التسمية تطلق على من اسمه محسن.
(٢) الطّفل: قبل غروب الشمس.

وتـم فيهـا الـسعي والطـواف　　وكثـرت مـن ربنـا الألطـاف
ثـم رجعنـا للمبيـت في (منـى)　　ويـتمام الرمـي تـمّ حجّنـا
فالحمـد لله عـلى مـا أنعـما　　ومـا بـه إلهنـا قـد أكرمـا

* * *

ومـن هنـا كـان افـتراق الـشمل　　وراح كـل واحـدٍ في شـغل
فـالبعض قـد أزمـع للترحـال　　إلى المقـام الأحمـدي العـالي
وبعـضهم مـال إلى المجـاوره　　ولازم البيـت وكـان حـاضره
وبعـضهم عـاد إلى الأوطـان　　ولـيس يعـدو قـدر الرحمـان
والكـل منـا يـسأل الرحمانـا　　أن يجمـع الـشمل كـما قـد كانـا

* * *

من هاهنا نشرع في خوض الـسفر　　إلى مقـام المـصطفى خـير البـشر
كـان ابتـدا تبريزنـا (للزاهـر)　　أول يـوم الـسبت بعـد عـاشر
أي عـاشر العيـد لأن العيـدا　　كـان (الربـوع) فـاحفظ العديـدا
ثـم رحلنـا العـيس وهـي رازمـه　　حتـى حططناهـا بـوادي فاطمـه
وفيـه نهـر مثـل غيـل الـوادي　　ونخلـه مظلّـل للنـادي
وفيـه وافينـا سـبيل "القعـره"　　قيل اسمه "القعرا" عنـد الخـبره
وهـو فـضاء لـيس فيـه مـاء　　ولا تـرى لـشجر أفيـاء
فيـه جلـسنا تحـت ظـل الخيمـه　　ولم نـزل في قومـة ونومـه
ومـن عقيـب ظهرنـا إلى الـسحر　　إلى (خلـيص) انتهـى بنـا الـسفر
وفيـه سـوق ونخيـل ونهـر　　لكنـه بكثـرة النـاس اجتغـر (١)

---

(١) اجتغر: أي تعكر صفوه، لهجة يمنية.

وقـد مررنـا العـصر في سرانـا　　في ذلـك اليـوم علىٰ عـسفانا
ثـم رحلنـا مثـل يـوم الأول　　حتىٰ نزلنـا عـن ظهـور الإبـل
في "صغبر" قيل بل القضيمه[1]　　هـي اسـمه والحـال مـستقيمه
قِلنـا وسرنـا بعـد سـيراً بالغـا　　حتىٰ وصـلنا في الـصباح (رابغـا)
وفيـه شـاهدنا (غـدير خـم)　　وهـو غـدير وبهـذا سـمي
وهـو المـسمىٰ الجحفـة المـشهوره　　ومنـه قـد سرنـا إلىٰ مـستوره
وفي حماهـا ضـاعت الكوفيـه[2]　　عنـد ورود بيرهـا المطويّـه
ونحـو (بئـر الـشيخ) قـد أزمعنـا　　سـيراً ويـوم أحـد أجمعنـا
علىٰ السرىٰ نحو حمىٰ (الصفراء)　　وكـم لتلـك مـن يـد بيـضاء
لأن فيهـا مـسجد ونهـر　　والنخـل فيهـا باسـق والتمـر
وبعدها كان السرىٰ نحو الخيف　　بجـدّ عـزم في المـضي كالـسيف
كـان وقوفنـا بـه قبـل الـسحر　　وفيـه نهـر فـائق كـل نهـر
ثـم شـددنا منـه قبـل الظهـر　　إلىٰ الفـريش في أشـد الحـر
لكـن لنـا أنـس بقـرب الوصـل　　ونـشوة تنـسي فـراق الأهـل
لأنـه خاتمـة المراحـل　　ومنتهـىٰ التعـداد للمنـازل
هاجـت إلىٰ الوصـل بـه أشـواق　　فكـل قلـبٍ نحـوه خفـاق
فهـبّ روح البـشر والتبـشير　　أذكـىٰ مـن العنـبر والعبـير
ولاح مـن ربـع الحبيـب نـور　　أخفـاه عـن أبـصارنا الظهـور
ثـم أتينـا الحـضرة العليّـه　　يـوم الخمـيس نقـرأ التحيـه

---

(١) المناطق التي مر بها الشاعر وهي أسماء لمناطق من المملكة العربية السعودية.
(٢) الكوفيه: أي غطاء الرأس، لهجة يمنية.

هنـاك قـرت بالوصـال أعـين وزال عنّـا همّنـا والحـزن
وازدحـم الـضحك سروراً بالبكـا وأعلـن المـضمر وجـداً بالـشكا
وأشرق الظـاهر مـن جمالـه وامـتلأ البـاطن مـن جلالـه

***

نـسأل مـن مـنّ بـذا علينـا أن يغفـر الـذنب الـذي أتينـا
وأن يكـون سـعينا مقبـولا وكلنـا بفـضله مـشمولا
بجـاه طـه المـصطفى وسرّه وفـضله ومـا عـلا مـن قـدره
صـلى عليـه ربّنـا وسـلّما وآلـه أهـل الكـمال العظـما
وصـحبه وصـالحي أمتـه جمـيعهم وتـابعي ملّتـه

١٢٧. سلام يفوق المسك

سـلام مـن النـائين عـنكم علـيكم
مباديـه تحلـو عنـدكم وخواتمـه
سـلام يفـوق المـسك فـاح ذكيـه
ويخجـل زهـر الـروض فاحـت كمائمـه

ملحون

وخمـسة أنفـار[1] كـل واحـدٍ بكـم عميـد
وفي كـل يـوم الـشوق عنـدي لكـم يزيـد
وكـان شانـسمّيهم لـو انـه خـبر مفيـد

(١) أنفار: جمع نفر ويعني شخص واحد.

ولكـــن قـــد انتـــو داريـــين فـــالكلام جديـــد

معرب

عـــلى ندمـــة كـــالروض حـــسن صـــفاتهم

تعاهـــده مـــن صـــيب المـــزن ســـاجمه

عـــلى اللطـــف كـــرّ واكـــرّة وتنفلـــوا

فكانـــت لهـــم أنفالـــه وغنائمـــه

ملحون

هـــم في العـــدد خمـــسة ولكـــنهم كثـــير

وفي بعـــض الايـــام قـــد يـــصالوا[١] ميـــة خبـــير

إلـــيهم فـــؤادي في الهـــوى كـــل ســـاع يطـــير

وإن كـــان جـــسمي في القعـــادة[٢] معـــي مليـــد

معرب

تمـــدهم الأمـــلاك في كـــل موقـــفٍ

لأن بهـــم للـــدين قامـــت دعائمـــه

ســـنشكو إلـــيهم مـــا بنـــا مـــن فـــراقهم

وقـــد يظهـــر الـــشوق المـــبرح كاتمـــه

(١) يصالوا مية خبير: أي يمكن أن يصل عددهم إلى مائة شخص.

(٢) القعادة: أي السرير.

ملحون

كما احنا[1] من الأشواق إلى الوصل في دويم[2]
وذكر التلاقي عندنا كل يوم دكيم[3]
ودمع العيون في جربة الخدّ لا العريم
وغيل الوريد ينزل معه من حجر سعيد[4]

معرب

ونخبرهم عما جرى بعد بعدهم
وحصر الذي قد كان يعجز (زاقمه)[5]
ولكن سنطوي القول وثباً تفاؤلاً
بأن فجاج البعد تطوى معالمه

ملحون

فمصراع باب الشعر ما يوسع الكلام
ومابه هنا ما يوجب البسط في النظام
وإن قصدكم نوجز فكان المسا "شبام"
سرحنا من الروضة وهذا خبر أكيد

---

(١) احنا: أي نحن.
(٢) في دويم: أي في حنين وشوق.
(٣) دكيم: أي بعيد المنال.
(٤) حجر سعيد: اسم المنطقة.
(٥) لهجة يمنية بمعنى ماسكه.

معرب

وكـــــان لنـــــا في ذلـــــك الـــــسفح موقـــــف

تـــــأنق في عقـــــد المحاســـــن ناظمـــــه

وأوســـــع في الترحيـــــب والبـــــشر ربّـــــه

وفاضـــــت بـــــإكرام الـــــضيوف مكارمـــــه

ملحون

وجلـــسه ثـــلاث في بيـــت "عبـــدالله الـــشريف

وجـــو عنـــدنا اخـــوان كلهـــم بنـــي التحيـــف

وفي "الـــدارقطني "بعـــضها والمقـــام نظيـــف

ومـــن بعـــد عـــصر اليـــوم منظـــر حـــسن عـــصيد

معرب

وأزعجنـــــا حـــــادي التفـــــرق مـــــصعداً

إلى جبـــــل قـــــد عمّمتـــــه غمائمـــــه

وعنـــــد الوتـــــاري قـــــد أقمنـــــا لقهـــــوة

أثـــــاب بهـــــا يحيـــــى الخبـــــير وخادمـــــه

ملحون

وسرنـــا عـــلى اسـم الله وقـــع فوقنـــا مطـــر

ومـــا قـــل لـــك امـــا هـــو فقـــد نعـــث[1] الخـــبر

(١) نعث: أي أفشى وأباح السر.

وبتنـــا ببيتـــه واكتفينـــا هنـــاك بجـــرّ

ويوسـف مـن إسـماعيل وقـع[1] لـه قمـيص جليـد

معرب

ولكنهـــا طالـــت مـــشافر[2] كُمِّــــه

"وقـــد يلـــبس الإنـــسان مـــا لا يلائمـــه"

وبتنـــا عـــلى الإكـــرام في البيـــت ليلـــة

وبعـــد العـــشا اســـتلقى عـــلى الفـــرش نائمـــه

ملحون

وفي يـــوم ثـــاني يـــوم سرنـــا إلى (الـــرجم)

ومـــا بـــه معانـــا ســـجعه إلا اتفقـــوا (جحـــم)

ولا في القـــراش الخـــوض كـــان نـــذكر اللجـــم

ومـــا قـــصدنا في الـــنظم إلا خـــبر مفيـــد

معرب

وأكرمنـــا الـــوالي بكـــل كرامـــةٍ

إلى حـــين وافى فـــاتر الجـــسم (قاســـمه)

وكـــم رفـــع الخيـــاط في شـــقة النـــوى

إذا شـــطّ نـــأي الـــدار عمـــن ينادمـــه

---

(١) وقع له: أي وجد له أو أعطى له أحد.

(٢) المشافر: تعني باللهجة اليمنية الشفائف، جمع شفاه.

ملحون

ومـــن بعـــده(المحويـــت) وصـــلناه مـــن يحـــين

ســبكنا لنـــا فيـــه يـــوم حنـــان لـــه طنـــين

ومـــن ســيدي(العـــزي) ذبحنـــا طـــلي ســـمين

وفي يـــوم ثـــاني فجـــر قلنـــا لهـــم شـــديد

معرب

فكـــم مـــن ســـمين أنحـــل الـــسيّر جـــسمه

وكـــم مـــن نعـــالٍ قـــد تراخـــت قدائمـــه

وليلـــة هـــذا اليـــوم بتنـــا بـــسوقه

وقـــد يفهـــم اليـــوم المعـــيّن فاهمـــه

ملحون

فمـــن يحـــسب الأيـــام قـــد يعـــرف المـــراد

مـــن الـــسوق وقـــد جـــا مـــن طريقـــه وقـــد يكـــاد

وفي ذا الكـــلام الغـــازيـــا فتيـــة الرشـــاد

وأنـــتم بحمـــد الله مـــا مـــنّكم بليـــد

معرب

ولم نتعـــدّ(الطـــور) في يـــوم جمعـــة

علـــى أنهـــا لم تخـــل في (قوارمـــه)

وفيـــه نظمنـــا مـــا نظمنـــا كـــأنكم

لـــدينا وقـــد هبّـــت علينـــا نـــسائمه

ملحون

ومنـــه إلى الريغـــة[1] نـــشرنا آخـــر النهـــار

فـــسيره عـــلى الـــرجلين وركبـــه عـــلى الحـــمار

أقمنـــا وسرنـــا مـــن ســـحر نطـــوي القفـــار

مـــشاوير ومـــا مثـــل الـــسّرى يطـــوى البعيـــد

معرب

فـــلما ذرّ قـــرن الـــشمس حتـــى بـــدا[2] لنـــا

مـــن الـــصبح في "مختـــارة"[3] القـــرن جاحمـــه

ولم نلـــق فيهـــا ســـيّد القـــوم إنـــما

بترحيبـــه والبـــشر قـــد قـــام خادمـــه

ملحون

فجالـــت ســـهام الـــرأي في جعبـــة الفكـــر

وقالـــت إلى "القنبـــور"[4] نمـــشي عـــلى قـــدر

وفي بيـــت "زيـــن" الـــشيخ بتنـــا إلى البكـــر

وقـــال الـــشريف نـــأتي إلى ســـوحه الـــسعيد

---

(١) الريغة: اسم قرية.

(٢) لهجة يمنية تعني ظهر.

(٣) المختارة: اسم لحصن في وادي مور بتهامة.

(٤) القنبور: اسم لمنطقة في تهامة من محافظة الحديدة.

معرب

فلـــــما أتينـــــاه وقفنـــــا ببابـــــه

وقـــوف شـــحيح ضـــاع في الـــترب خاتمـــه

ويـــشرنا بالبـــشر واليـــسر وجهـــه

وفاضـــــت علينـــــا بالهبـــــات غمائمـــــه

ملحون

وفي حـــال هـــذا الـــرقم واحنـــا مـــن الحـــما

مخـــاليس[1] في "الزهـــرا"[2] نـــدوّر لـــبغم[3] مـــا

مُـــبرد مُبخـــر مثـــل مـــا عنـــدكم فـــما

وجـــدنا ولكـــن عنـــدنا كـــل مـــا نريـــد

معرب

وقـــد عادلـــت ذا بـــردة الخـــاطر التـــي

إذا مـــسّ جـــسمي الحـــرّ فهـــي تقاومـــه

فمـــن نـــال مـــن دنيـــاه بـــردة خـــاطرٍ

تأتّـــت لـــه مـــن كـــل شيء كرائمـــه

(١) مخاليس" أي بدون ملابس غير ما يستر العورة من شدة الحرارة.

(٢) الزهراء: اسم لمنطقة في تهامة في محافظة الحديدة.

(٣) بُغم: أي القليل من الماء.

ملحون

و"بـــير العـــزب" مـــن مخـــدر المـــاس لهـــا
نـــصيب لأن مدينـــة ســـام هـــي منهـــا قريـــب
فـــما فايـــده في الـــبرد والقلـــب في لهيـــب
فقـــد نفـــسنا نجلـــس وإلاّ نـــسير زبيـــد[(١)]

معرب

وكـــل المنـــى إن ســـاعد الجـــدّ رحلـــة
إلى حـــرم الله المـــؤَمَن قادمـــه
فكـــل اغـــتراب فيـــه حلـــوٌ مذاقـــه
وكـــل قعـــود عنـــه مـــرّ علاقمـــه

ملحون

مـــرادي أبـــث الـــسرّ مـــن داخـــل الـــستور
وأدعـــو بـــأعلى الـــصوت يـــاربّ يـــا غفـــور
عبيـــدك أتـــى بـــالفقر يـــدلي وبالقـــصور
فـــلا تقطـــع المعـــروف عـــن أحقـــر العبيـــد

(١) زبيد: مدينة العلم والعلماء في الفقه واللغة وعلم البيان والأدب في اليمن، وهي إحدى أهم معاقل المبـدعين في زمن الشاعر وإلى الآن.

١٢٨. لا تسل

دع ســـــؤال الحكـــــيم عـــــن ذاك لِمَ كـــــا
ن ولِمْ لا يكـــــــــــون في التقـــــــــــويمِ
فجـــــمال الوجـــــود في ذلـــــك الـــــصُّنع
بـــــما لم ينلـــــه فكـــــر الحكـــــيمِ

١٢٩. جيد غادة

فـــــلا تنظمـــــي درَّ العقـــــود لزينـــــةٍ
فحليـــــة هـــــذا الجيـــــد أن يـــــتعطَّلا
لقـــــد ســـــترت هـــــذي الـــــلآلي محاســـــناً
مـــــن الجيـــــد أبهـــــى مـــــن ســـــناها وأجمـــــلا

١٣٠. تعوّد خلال البر

تعـــــوَّد مـــــا اســـــتطعت خـــــلال بِـــــرٍّ
تُحَـــــسِّنُ مـــــا زراه عليـــــك زاري
فـــــصوت الرعـــــد وهـــــو أجـــــش صـــــوتاً
يحـــــسُّ أخـــــفَّ مـــــن صـــــوت الهـــــزار

١٣١. سرّ الليل

وأَلَّـــــف شـــــملنا مـــــسوّد ليـــــلٍ
يرفـــــرف فيـــــه بـــــرق ذو خفـــــوق

كأنـــــا في ضـــــمير الليــــــل سرَّ
تــــــنمّ عليـــــه ألـــــسنة الــــــبروق

١٣٢. موثق

وســــائلة عنــــي جــــواب ســــؤالها
ســــؤالك عـــن حـــالي جـــواب ســـؤالي
فعـــادت وقـــد نالـــت شـــفاء لعيهـــا
كـــما أنـــا عنهـــا رحـــت نـــاعم بـــال
ولمـــا تـــساقينا عـــلى ظمـــأ النـــوى
مدامـــة حـــبٍّ في كـــؤوس وصـــال
أخـــذنا عـــلى كـــتم الـــسرائر موثقـــاً
عزيـــز منـــال لا يفـــك بحـــال

١٣٣. ترك التحية

حييتنـــي فتركـــت ردَّ تحيتـــي   عمـــداً ومـــثلي بـــالموارد أعـــرف
إن التحيـــة منـــك يعظـــم قـــدرها   عـــن أن يقابلهـــا الأقـــل الأضـــعف
والله يأمرنـــــا بــــــردِّ تحيَّـــــةٍ   بمثيلهـــا أو بـــالتي هـــي أشرف

١٣٤. مشافهة

ومـــزق قرطـــاسي فجنـــت حواســـدي
سروراً ونالـــــت بي هنـــــاك مناهـــــا
ولم يعلمـــــــوا أن الحبيـــــــب بفعلـــــــه
أشـــــار إلى أن الحـــــــديث شـــــــفاها

١٣٥. استدعاء

وله يستدعي بعض إخوانه:

بـادر إلينـا يـا "جمـال الهـدى"[1] أسرع مـــن بـــادرة الـــشاعر
"واهـبط علينـا كهبـوط النـدى في سرعـــة الـــريح أو الطـــائر

١٣٦. العنب بعد البقيس[2]

شـابت نـواصي الكـرم واتخـذت قطراتــــه في سرعـــة حبكـــا
وكأنــــه في الحـــال ذو كـــبر "ضحك المشيب برأسـه فبكـا"

١٣٧. للَه ما أعطى ولله ما أخذ

قال عبد الله العماري جامع الديوان: وقال وهو في سن الصِّبا لم يبلغ الحلم مضمناً قول جده محمد بن إسحاق يرثي ابنة له:

---

(١) جمال الهدى: والجمالي: لقب لكل من اسمه ((علي)).
(٢) البقيس: قص الأغصان اليابسة وتشذيبها في موسم معين، والسرع: أي الفرع الجديد من شجرة العنب.

قـــضى الله في ريحانـــة القلـــب أمـــره

ومـــن ذا يـــردُّ الأمــر مــن بعــد مــا نفــذ

فــلا تجزعــي يــا نفــس واستــشعري الرضــا

"فللــــه مـــا أعطـــى ولله مـــا أخـــذ"

فضّمن البيت الثاني (أي العجز) فقال:

بروحـــي مـــن وافى عـــلى حـــين غفلـــةٍ

فيــا مــا أحــيلى الوصــل منــه ومــا ألــذ

أخـــذ قلـــب مـــضناه وأعطـــاه قبلـــة

"فللّـــه مـــا أعطـــى ولله مـــا أخـــذ"

١٣٨. لغز؟؟

وقال ملغزاً في الحيا:

أي شيءٍ قـــرن الله بـــهِ ... كــل صــون وعفــاف وكــرم

يجعــل النــرجس ورداً أحمــرا ... ولقــد يوجــد مــاء مــن عــدم؟

١٣٩. وجوه السّعالي

وبــيض صــحايف بــدّلت عنهــا ... بــيض صــفائح الهنــد الــصقال

وسرب كالــسّعالي[1] آنـــسات ... شريــت بهــا وجوهــاً كالــسعالي

(١) في نسخة: كالجآذر.

١٤٠. سر ضمير الليل

وألــف شـــملنا مـــسوّد ليـــلٍ　　يرفــرف فيـــه بـــرق مـــستطير

كأنّـــا في ضـــمير الليـــل سرّ　　مـصون كـاد يفـضحه الـسرور

١٤١. لقب العلامة

أنـــشد الله صـــاحباً لي حمـــيماً　　كتبتنـــي كفـــاه بالعلامـــه

أن يـــسوي تقـــرين عـــين لهـــا ثـــم ليـــدل بنقطتـــين العلامـــه

لقـــب لـــست والـــذي بـــرأ العـــالم منـــه ولا بقـــدر القلامـــه

١٤٢. سواده

وله في فتاة اسمها سواده[١] مورياً:

لا ألــوم العميــد في بــدرٍ حــسن　　حــل مــن كوكبــان بــرج الــسعاده

ســـدّدت عينـــه إليّ ســـهاماً　　إن رمـــت نـــاظراً أصـــابت ســـواده

١٤٣. المقضّض

ضرب "المقـضض"[٢] في الجبـا[٣]　　منـــع المقـــى أن تغمـــضا

قـــد قلـــت حـــين أقـــامني　　صـبراً عـلى حكـم القـضا...ض

---

(١) هكذا جاء اسمها في الديوان.

(٢) المقضّض: الشخص أو العامل الذي يقوم بعمل القضاض على أسطح المنازل قبل استخدام مـادة الاسـمنت. وهي مادة من الجص تخلط وتطحن مع الرمل.

(٣) الجبا: أي السطح أو سقف البيت أو المنزل، وهو مسطح الشكل غالباً في اليمن.

١٤٤. لا تسألوا عما جرى

وقال جامع الديوان: "وكتب إليه سيدي محمد بن إبراهيم (إسحاق) ملغزاً في "جوهر" فأجاب رحمه الله

يقول الشاعر[1]:

الشريف الشريف والجوهر الجوهـ
ـر والخالص النضار النضار

فاستطرفه واستجاده السيد محمد بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق رحمه الله وراجعه بأبيات منها:

فاستمل ما يُمْلَىٰ عليك مضمناً
بيتاً تباع به القلوب وتشترىٰ

أيلام صبّ حقه أن يعذرا
تالله ما عرف السلوّ ولا درىٰ

يا ناقضين عهود أحباب لهم
أسمعتم فيهم حديثاً مفترىٰ؟

قال العواذل ما لدمعك جارياً
فأجبتهم لا تسألوا عمّا جرىٰ

مهلاً فلو شاهدتم حالي وقد
بان الخليط فلا أُطيق تصبرا

(١) هو الشاعر قاسم بن هيثمل.

قــــالوا الرحيـــــل فقــــال صـــحبي ظنـــة
مــــاذا تـــرىٰ؟ فـــأجبتهم مــــاذا تـــرىٰ؟
ليـــــت التجمّـــــل كــــان ثـــم إقامـــة
والـــــسير كـــــان إلىٰ تلاقينـــــا سرىٰ
رقـــد الزمـــان فلـــم يـــزل في غبطـــة
وتـــنعّم حتـــىٰ أهـــبّ مـــن الكـــرىٰ
لله مـــــن ســــاعات أنــــس جـــادلي
فيهـــا الحبيـــب بوصـــله متغـــرّرا[1]
حيّـــا فـــلا أســـطيع ردّ ســـلامه
فـــافترّ مـــن عجـــب فعـــاد القهقـــرا
فعمـــدت نحـــو ردائـــه فجذبتـــه
وســـقيته بالكـــاس صرفـــاً أحمـــرا
وأردت ردّ ســـــــلامه ببلاغـــــــةٍ
فـــيما أشـــبّهه بـــه كـــي يعـــذرا
فأجبتـــه وعليـــك خـــير تحيـــةٍ
كنظـــام(عـــزٍّ)[2] الآل أزهـــر أنـــورا
نظـــم هـــو الـــسحر الحـــلال لـــذا أرا
ني مهرقـــاً[3] أضـــحىٰ يـــدفق أبحـــرا

---

(١) متغررا: صنعانية، أي: متنكراً.
(٢) عز الآل: يقصد السيد محمد بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق. ولفظ عز الدين العزي: أي كل شخصٍ يبدأ اسمه بمحمد، وذلك لتقدير ومكانة الشخص المخاطب.
(٣) المهرق: الصحيفة (معرب).

لا غـــرو إن حـــاز الكـــمال محمـــد

وحـــوىٰ مـــن الغايـــات حظّـــاً أوفـــرا

قـــد حـــازه قـــدماً أبـــوه وجـــدّه

أكـــرم بهـــم مـــن ســـادة ســـادوا الـــورىٰ

لا زلـــت في دوح المكـــارم والمعـــا

رف والعـــوارف غـــصن فـــضل مثمـــرا

١٤٥. وكيف أنسى من به أُنسي

وكتب إليه صديقه الأديب الزاهد يوسف بن إبراهيم الأمير أبياتاً مطلعها:

لم يبـــق لي في عـــالم الأنـــس ســـواك مـــن رؤيتـــه أُنـــسي

فأجابه بقوله:

يـــومي في حبـــك كـــالأمس أُصْـــبِح فيـــه مـــثلما أمـــسي

مـــا نالـــه قـــول ولا غالـــه غـــول مـــن الجـــن والإنـــسِ

تـــالله مـــا غـــاب محيَّـــاك عـــن قلبـــي وإن غبـــت عـــن الحـــسِّ

وأن ودِّي لـــك طـــول المـــدىٰ ممتـــزج بـــالرُّوحِ والـــنفسِ

لا صـــافحت كـــف العـــلىٰ راحتـــي ولا دنـــت مـــن خمـــسها خمـــسي

ولا ســـمت لي همـــة ترتقـــي مـــن دنـــس دان إلىٰ قـــدس

إن خطـــرت في خـــاطري ســـلوة أو صـــدفت عـــن شـــغف نفـــسي

أو عـــرض النـــسيان فيـــه لكـــم وكيـــف أنـــسىٰ مـــن بـــه أنـــسي؟

أعيـــذ ودِّي لـــك مـــن حاســـدٍ أو عـــاذل أو مـــاردٍ رجـــس

١٤٦. ورد إبراهيم عليه السلام

وكــــم حـــام قلبــــي في ســــواكم لعلـــه
يــرى مـــورداً في الحــب أحـــلا وأعـــذبا
ســــما فـــرأى ورداً ترفـــرف نحـــوه
فـــذاق فلـــم يعـــذب لـــه فتجنَّبـــا
فعـــاد بـــودٍّ خـــالص فتبينـــوا
ولا تقتلـــــوه إن في طيِّــــــه نبــــا

فاعترضه بعض أصدقائه بقوله:

أيطلـــب منـــا الوصـــل صـــبٌ وقـــد ســـما
إلى غيرنـــا أو رام في الحـــب مـــذهبا؟
ولـــو عـــذب الـــورد الـــذي كـــان ذاقـــه
لأعـــرض عنَّـــا في الهـــوى وتجنبـــا

فأجاب رحمه الله:

ألا إن قلبـــي حـــام في مبـــدأ الهـــوى
فلـــمَّا انتهـــى لم يـــستطب بعـــد مـــشربا
فـــما ذاق إبـــراهيم كأســـاً رويـــةً
مـــن الحـــب حتـــى رام شمـــساً وكوكبـــا

قـــال: وهذا لا يستقيم إلا على قول من قال: إن إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قال عند رؤية النجم: هذا ربي كان عند دعوته لنفسه لا لقومه، والله أعلم.

وأجاب أيضاً بقوله:

سما ليعلم هل تمت محاسنه
فما استفاد سوى ما فيه من حسنِ
إن الخليل إلى عين اليقين سما
ليطمئن فنادى ربه "أرني"

١٤٧. وكيف أنسى من به أُنسي

وكتب إليه صديقه الأديب الزاهد يوسف بن إبراهيم الأمير أبياتاً مطلعها:

لم يبق لي في عالم الأنس ... سواك من رؤيته أُنسي

فأجابه بقوله:

يومي في حبك كالأمس ... أُصْبِح فيه مثلما أمسي
ما ناله قول ولا غاله ... غول من الجن والإنسِ
تالله ما غاب محيّاك عن ... قلبي وإن غبت عن الحسِّ
وأن ودّي لك طول المدى ... ممتزج بالرّوحِ والنفسِ
لا صافحت كف العلى راحتي ... ولا دنت من خمسها خمسي
ولا سمت لي همة ترتقي ... من دنس دان إلى قدس
إن خطرت في خاطري سلوة ... أو صدفت عن شغف نفسي
أو عرض النسيان فيه لكم ... وكيف أنسى من به أنسي؟
أعيذ ودّي لك من حاسدٍ ... أو عاذل أو ماردٍ رجس

١٤٨. نور النور

وبعث إليه صديقه العلامة يوسف بن إبراهيم الأمير بأبيات مطلعها:

سيدي قد نصب الغيم على الأفق رواقا

فأجاب عليه بقوله:

قد أتى النظم فراقا ... وشفى القلب وشاقا
حاك للرَّوض قميصاً ... ملأ القلب اشتياقا
والذي صاغ لعليا ... ك من الزَّهر نطاقا
وقضى في سلك أوصافك للفضل انتساقا
إن نور النور من نو ... رك أخذاً واستراقا
وكمالاً منك أولا ... ه كمالاً واتساقا
حسن أخلاقك روض ... لرياض الأفق[1] فاقا
طال بالطَّول بسوقا ... ورسا أصلاً وساقا
وحوى من ريح روح اللَّطف أنفاساً رقاقا
وسقاه الله من غيث العلى كأساً دهاقا

١٤٩. دعوة إلى بير العزب

ودعاه صديقه الشاعر يوسف بن إبراهيم الأمير إلى "بير العزب" في أول الربيع بأبيات أولها:

مولاي إن الروض قد ... أبدى لنا شيئاً عجيبا
وأبان للرائين من ... أغصانه معنى غريبا
قبل اخضرار عذارها ... بالنَّبت ألبسها المشيبا

(١) وفي نسخة: لرياض الأرض.

فأجاب عليه بقوله:

هيجـــت ذكـــرى لـــن تغنيـــا ودعـــوت مـــستمعاً مجيبـــا

ولقـــد ســمعت الطـــير لمَّـــ ـــا قـــال حـــين رقـــى خطيبـــا

الحمــــــــد لله الـــــــــذي أحيـــا بنعمتـــــه الجـــــديبا

وأفـــاض مـــن جـــون الغــــما م بجـــــوده المــــاء الـــصَّبيبا

هـــذا وأمَّـــا بعـــد فاعـــ ـــلم أيهـــا الـــروض الخـــصيبا

أنَّ الـــــشتاء أزال عـــــن أغـــصانك المعنـــى العجيبـــا

ويـــراك حتـــى صرت مـــن بعـــد النـــدَّى عـــوداً صـــليبا

والله قـــــد أولاك مـــــن نعمائــــه الفـــضل الرَّغيبـــا

وحبـــاك حتـــى عـــدت غـــصناً نـــاعماً لـــدناً رطيبـــا

وكـــساك مـــن أوراقـــهِ وزهـــوره بُـــرداً قـــشيبا

فاشـــكر لنجنـــي مـــن ثـــما رك يانعـــاً ونـــشمُّ طيبـــا

واعلـــم بأنـــك إن كفـــ ـــرت ولم تكـــن خلقـــاً منيبـــا

وجحـــدت أنعمـــه اللـــواتي مـــا برحـــت لهـــا ربيبـــا

كنـــت المعـــدَّ لنـــاره حطبـــاً ألا فـــاخشَ اللهيبـــا

وَعـــظٌ تُـــراع لـــهُ القلـــوبُ ويجعـــل الولـــدان شـــيبا

١٥٠. شكوى من الشوق

وكتب إليه السيد يوسف الأمير هذه الأبيات:

وليس بالموقف عيب سوى الشغل عن الحاضر بالغايبِ

فكم عميدٍ يتمنى اللقاء ... بكم وكم صاب إلى "الصاحبِ"[١]

وكم فتى نحوكم شاخصٌ ... ناظره المحجوب بالحاجبِ

فأجاب عليه بقوله:

شكوى من الشوق إلى الغائب ... شكية المغلوب من غالبِ

هذا وما بالعهد بعدٌ بكم ... وما تعرَّت فرس الراكبِ

حتى استهلت مقلتي للنَّوى ... بواكف من دمعي الساكبِ

ماضحك زهر الروض من بعدكم ... إلا كضحك الهازئ العاجبِ

يضحك للدَّهر وإتيانهِ ... بالعكس من أُمنيَةِ الطالبِ

أعندما رق الهوى وانثنت ... غصونه كالثَّمل الشاربِ

وارتقت الورق بأعوادها ... مفصحة بالسَّجع كالخاطبِ

أسرح لمحاً للتلاقي كما ... تسرع لمحاً مقلة الغاضبِ

فهل لمن قد أضحكت حاله ... حسَّاده من راحم رائب

(١) الصاحب: إشارة إلى الصاحب بن عباد.

١٥١. شكوى من الشوق

وكتب إليه السيد يوسف الأمير هذه الأبيات:

وليس بالموقف عيب سوى الشغل عن الحاضر بالغايبِ
فكم عميدٍ يتمنى اللقا بكم وكم صاب إلى "الصاحبِ"(١)
وكم فتى نحوكم شاخصٌ ناظره المحجوب بالحاجبِ

فأجاب عليه بقوله:

شكوى من الشوق إلى الغائب شكية المغلوب من غالبِ
هذا وما بالعهد بعدٌ بكم وما تعرّت فرس الراكبِ
حتى استهلت مقلتي للنّوى بواكف من دمعي الساكبِ
ماضحك زهر الروض من بعدكم إلا كضحك الهازئ العاجبِ
يضحك للدّهر وإتيانهِ بالعكس من أُمنيَةِ الطالبِ
أعندما رق الهوى وانثنت غصونه كالثّمل الشاربِ
وارتقت الورق بأعوادها مفصحة بالسّجع كالخاطبِ
أسرح لحاً للتلاقي كما تسرع لحاً مقلة الغاضبِ
فهل لمن قد أضحكت حاله حسّاده من راحم رائب

(١) الصاحب: إشارة إلى الصاحب بن عباد.

١٥٢. عتاب

وكتب إليه السيد العلامة علي بن إبراهيم الأمير يعاتبه[1]:

إذا كــــان طرحـــي للـــسلاح[2] علـــيكم
يفيـــد فهـــا سـيف الـصباح سـلاحي
وعـــدتم فـــما أحـــلا غـــدوِّي وبنـــتم
فوارحمتـــالي مـــا أمـــرُّ رواحـــي
تخلفـــتم فالقلـــب للبـــين واجـــبٌ
ونـــدب النـــوىٰ في الحـــب غير مبـــاح

فأجــــاب:

جـــرحتم بـــسيف العتـــب قلبـــي وليـــتكم
قنعـــتم بـــه عـــن طـــرح ســـيف صـــباح
ولـــولا مـــزجتم جـــده بمزاحـــه
كـــما كـــسرت بالمـــاء ســـورة راح
لـــذاب بحـــرف منـــه قبـــل ســـماعه
فـــؤادي بـــل قلَّـــت شـــباة ســـلاحي
وأقـــسم مـــا عـــاق الـــسلو ولم يعـــق
ســـوىٰ قـــدر مـــن ذي الجـــلال متـــاح
ولي عنـــد نـــشر الحكـــم بـــالغ حجـــةٍ
ســـأطوي عليهـــا قبـــل ذاك جنـــاحي

---

(١) السيد العلامة الزاهد الواعظ الخطيب الشاعر علي بن إبراهيم بن الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، كان مفرط الذكاء، سريع الفهم، قوي الإدراك، فائق النظم والنثر، له عدة مؤلفات مفيدة، ولد بصنعاء سنة ١١٧١هـ، وتوفي سنة ١٢١٩هـ، وقد ترجمه المؤرخ محمد زبارة في (نيل الوطر) ج٢، ص ١١٠-١١٥.

(٢) طرح السلاح: الجنبية أو السيف أو البندقية في اليمن أشد أنواع العتاب علىٰ خطأ يقع.

١٥٣. رؤيا

بينما أبتغي حبيبي بفكري ... وبذكراه خالياً أتملّى
إذ أتاني مستخفياً فدعاني ... فتعرّفت صوته فتجلّى
قلت لبيّك قال لبيك ألفاً ... قد أتيناك قلت أهلاً وسهلا
ثم أغشيت فانثنى لعناقي ... فتراجعت فاشمعل[1] وولّى
لهف نفسي على الوصال الذي ما ... كان إلا برقاً شرى فاضمحلا

قال جامع الديوان: ثم أن السيد حسين رحل من صنعاء إلى (اصطنبول) وعاد سنة ١٢٤٦هـ في أوائل الشتاء فكتب إليه يدعوه إلى (الروضة):

أهلا بكم عاد إذ عدتم لنا السعد
واهتز عطف الأماني وانثنى القد
وكادت الأرض أن تبدي نضارتها
عوداً على البدء لكن صدها البرد

فأجاب عليه السيد حسين:

يا مرحباً بنظام قد أتى يحدو
إلى رياض الأماني جادها العهد
وكادت النفس من حر الغرام بها
تذوب شوقاً ولكن صدها البرد

---

(١) اشمعل: تفرّق.

١٥٤. لا عاصم من أمر الله

أيــزعم مــن تحــصن مــستجيرا إلى قلــل الجبــال مــن الــبلاء
بـــأن ســـيردّ موئلـــه بـــلاء ويمنعـــه المحـــلّ مـــن القـــضاء
وأمـــر الله ينـــزل مـــن ســـماء إلى أرضٍ ويعـــرج في هـــواء
وقــد آوى إلى الجبــل ابــن نــوحٍ ليعــصمه وصُــمّ عــن النــداء
فـــأحرق مـــن جهالتـــه بنـــارٍ صـــلاها عنـــد غـــصّته بـــماء

١٥٥. رسالة ودّ(١)

اذهبـي يـا ريـح وحيـا وارجعـي لا تقــولي ســوف آتيــك غــدا
بـــسلامٍ متـــوالٍ عطـــرٍ يمـــلأ الأرجـــاء نـــدّاً ونـــدى
أبلغيـــه عـــين أعيـــان المـــلا قطب أربـاب العلى فخـر الهـدى
مــن مــشوق بــان عنــه صــحبه ويـوادي ضـهر(٢) أضـحى مفـردا
لا أديـــــب أتمـــــلاه ولا عــــالم أقـــبس منـــه رشــــدا
حــال مــا بينـي وإخــواني الأولى لـــسماء المجـــد كـــانوا عمـــدا
صـــور مثـــل الـــسعالي شـــوهّت جعلـــت في كـــلّ فـــج رصـــدا
تخـــذت ســـمر العـــوالي مخلبـــاً وســـيوف الهنـــد نابـــا نـــضدا

---

(١) قال مكاتباً السيد عبد الله بن عيسى الكوكباني، السيد العالم، الأديب الكبير، الشاعر المؤرخ الناقد عبـد الله بـن عيسى بن محمد شرف الدين الكوكباني، مولده سنة ١١٧٥هـ،وتوفي سنة ١٢٢٤هـ انظر (نيـل الـوطر) لزبـارة ج٢، ص٩٥.

(٢) وادي ضهر: وادٍ على مقربة من صنعاء، كان كثير الفواكه، وفيه عين جارية، وكان منتزهاً لساكني صنعاء.

وذئـــاب تنهـــب المـــرء الثيـــــ ـــــاب ولا تـــنهش منـــه جـــسدا

آه مـــن دهـــر تنـــاهى جـــوره وتمـــادى في التنـــاهي أمـــدا

قلـــب الأحـــوال حتـــى أنـــه جعـــل الأقـــرب داراً أبعـــدا

يـــا خليلي بـــل أخـــي بـــل والـــدي زر خلـــيلاً بـــل أخـــا بـــل والـــدا

بكتـــــاب أتــــراك بـــــه لا أرى أشرف منـــــه أبـــــدا

قولـــك الـــدرّ بِـــل الترياق بـــل هـــو أشـــفى لفـــؤادٍ وجـــدا

١٥٦. عقد الوصال (١)

وكــــان ظنّـــي بقلبـــي بعــــد فـــرقتكم
أن ســـوف تخدعـــه عـــن وجـــده الخـــدع

فــــلما فـــصلتم ولا ســـيقت ركـــائبكم
حتــــى أضرّ بــــه التأســــاء والجــــزع

ليـــت الوصـــال الـــذي قـــد مـــرّ متـــصلاً
كالعقــــد فـــصّل أجــــزاء فيتــــسع

في الـــشهر يـــوم فـــإن لم يـــشف أنفـــسنا
هـــذا الوصـــال ففـــي الأســـبوع نجتمـــع

فـــإن رضـــينا وإلا عـــاد منـــتظماً
عقـــداً تباعـــد عـــن مكنونـــه الجـــزع

---

(١) هذه المقطوعة قيلت بعد فراقه للأديب عبد الله بن أحمد بن محمد شرف الدين والذي ترجم له زبارة في نيل الوطر.

وقد أجاب عليه السيد عبد الله بقوله:

إني ترحّلـــت عـــن تلـــك الـــديار ولي
شـــوق تكـــاد لـــه الأحـــشاء تنـــصدع

شـــوق أمـــامي إلى الأوطـــان يجـــذبني
ومـــن ورائـــي شـــوق لـــيس ينقطـــع

مـــــا سرّني وطنـــــي إلا وعارضـــــه
شـــوق إلى غـــرب "صـــنعا" نجتمـــع

يـــدني لي الـــشوق معنـــى مـــن خيـــالكم
حتـــى أكـــاد لـــدرّ الـــنظم أســـتمع

فـــإن أغـــب عـــنكم مـــا غـــاب ذكـــركم
عـــن خـــاطري والتـــسلّي عنـــه ممتنـــع

١٥٧. ذهول

نزلـــت عـــلى أهـــل المكـــارم والعـــلى
كـــأني عـــلى أهـــلي نزلـــت وفي قـــصري

فـــــما زال بي إحـــــسانهم وافتقـــــادهم
وبـــرّهم حتـــى ذهلـــت عـــن القـــصر

١٥٨. بين شاعرين

وقال وبعث بها إلى أصدقائه في "شبام كوكبان"

حبـذا مـن بطـون تلـك الخيـام   نفحـة هيجـت كمـين غرامـي
حملت من شـذا مساحب أذيــ   ـال الـدّمى في مـسارح الآرام
بعدما عانقـت قـدوداً مـن الأغــ   ـصان واستضحكت ثغـور الخزام
واكتسـت في مرورهـا مـن خـدود الـورد عرفـاً ممسّك الأكـمام
ذكرتنـي ناسـاً ولـستُ بنـاسٍ   خلقـوا مـن سـلالة الانـسجام
أخـذوا مـن مكـارم الخلـق أعـلاه وحـازوا بالفـضل خـصل الترّامـي
رأوا الزهــر عاريــاً فكــسوه   حلــلاً مــن بــدائع الأفهــامِ
وقفـوا في صـنائع الجـود حتـى   كـاد يـسري نـوالهم في الغـمام

وقد أجاب عليه الشاعر المؤرخ السيد الحسن بن عبد الرحمن الكوكباني[1] بقوله:

نـسمة عطّـرت ريـاض شـبام   وتـسامت إليّ مـن أرض سـام
طرقتنـي فلـم أقـل لـيس ذا وقـت تلاقيـك "فـارجعي بـسلام"
بـل تلقيتهـا بقلـب إليهـا   ذي اشتياقٍ واهتـزّ غـصن غرامـي
قـد تمـشت عـلى ربـا البـير فـابتزت شـذا زهرهـا مـن الأكـام
عبقـت الوجـود بالمسك حتـى   أفعمـت بالـشذى أنـوف الأكـام
فانتـشقنا منهـا شـذا نـشر أخبـار المـصلّي والجـيرة الأعـلام
أودعوهـا طيبـاً مـن الخلـق المـزري بأنفـاس روضـنا البـسّام

---

(١) العالم المررخ الأديب الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين الكوكباني، مولده سنة ١١٧٩هـ، وله عدة مؤلفات ودواوين شعرية، وتوفي سنة ١٢٦٥هـ بكوكبان، انظر (نيل الوطر) ج١، ص ٣٢٩-٣٣٦.

لـو سرىٰ عرفهـا إلىٰ مغـرب الـشمس مـن الـشرق سـافه ذو زكـام

واسـتمدت مـن الـشمائل عرفـاً هـو أحـلا مـن المنىٰ والمـرام

كالـشفا للعليـل والنـوم للـسا هـر والبـارد الـزّلالا لظـامي

ثـم جـاءت بـه حـديثاً فأنـسىٰ بقـديم في سـالف الأعـوام

صـاغه المحـسن الـذي لا يـسيء الفعـل حتـىٰ بـالفرض والاهـتمام

هـو كفـارة الزّمـان إلينـا مـن ذنـوب الأنـام والأيـام

كـم لـه مـن فـضائل يعجـز الواصـف عـن حـصرها بكـل الكـلام

الـشريف الـشريف والجـوهر الجـوهر فـرداً لا جـوهر النظـام

أحـرز الـسبق في الكـمال فـصلّىٰ خلفـه بالـصعيد كـل إمـام

وأتانـا مـن البلاغـة بـالمعجز منـه ولم يـرد إفحـامي

فترجّلـت في الطّـراد وألقيـت إليـه أعنـة الأقـلام

١٥٩. زكاة الأدب

قال جامع الديوان: وصل إلىٰ صنعاء في دولة المتوكل أحمد من مدينة "إب" الفقيه قاسم بن لطف الله، وله طبع سليم وفكر مستقيم، ومسكة في علم الطب كاملة، وأدب غض، وطلب من المولىٰ الحسام (صاحب الديوان) نقل شيء مما قاله فماطله فكتب إليه:

أيـا بـن الكـرام أجـب سـائلاً أتـاك ليعطـىٰ زكـاة الأدب

تـصدّق فأنـت إذاً محـسن يحـسّن مـن جـاد فـيما وجـب

فبالانتظـار يـرىٰ الاصـفرار يجول علىٰ جسم مـن قـد أحـب

فجـدلي بوعـد مـضىٰ قبـل أن يرىٰ اللون مـن فـضتي كالـذهب

فأنـت الـصفيّ وأنـت الـوفيّ وأنـت الـرضيّ وعـالي الرتـب

فأجاب عليه بقوله"

لقد جاءني نظمك المنتخب فخلت به عجباً في عجب
مدام يدور به مهرق وسحر يحلل بل يستحب
هو الدر قد جاءني سائلاً من النظم ما هو كالمخشلب
معان تفوق ولفظ يروق فيهتز سامعه من طرب
أنيل من الحسن فوق النصاب فما إن له في نظام أرب
فيا عجباً كيف يُعطى الغني من المستميح زكاة الأدب؟

١٦٠. تهنئة بقدوم

بقدومك(١) الروض النضير معوذ
بعد السرور بقربك الميمون
من أن يروّعه التباعد منكم
في كل عامٍ دمت طول الحين
فلقد كسوت جماله ياذا العلى
ثوب الكمال ففاز بالتحسين
وأزلت منذ نزلته كرب الجوى
عنه بلا شكٍ ولا تخمين

(١) هو السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكوكباني، من ذرية الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، كان عالماً مجتهداً فقيهاً ناقداً جهبذاً، وهو أستاذ شيخ الإسلام الشوكاني، ولد بصنعاء سنة ١١٣٥هـ، كما أنه كان من أبرز تلاميذ الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، وصحبه سبع سنوات، وله أشعار حسنة، ومؤلفات في شتى الفنون والعلوم، وقد ترجمه الشوكاني في البدر الطالع، وانظر ترجمته في نيل الوطر ج٢ ص ٤٤-٥٢، وتوفي سنة ١٢٠٧هـ.

فـــصباحه بـــك والمـــساء كلاهمـــا
ســيان والتفريـــق غـــير مبـــين
ولأهلـــــه والـــــساكنين تـــــشرّفاً
وتمتعـــــاً بخطابـــــك المكنـــــون
وجنـــى ثـــمار ريـــاض علـــم زاخـــرٍ
تيّـــــاره بغرائـــــبٍ وفنـــــون
والغيـــث أنـــت وطـــالبوه تجـــاهلاً
مـــنهم بقـــدرك في النّـــدى والـــدين
واســـلم ودم في نعمـــــة وســـــلامة
متمتعـــاً بـــالعلم غـــير ضـــنين
مـــا فـــاح عـــاطر نـــشر ذكـــرك في الـــورى
ويـــه يمـــسك عـــاطر التـــزيين

١٦١. عتبتم وعذرتم

وأرسل إليه ابن عمه السيد العلامة الأديب إسماعيل بن علي إسحاق[١] قصيدة مطلعها:

رويـــدك أيهـــا البـــدر المنـــير   وعطفـك أيهـا الغـصن النـضير

فأجاب بقوله:

أمـــسك مـــا تـــضوَّع أم عبـــير   وزهـــر مـــا تنـــاثر أم زهـــور؟
لقـد جئـتم بـما دهـش العـذارى   فأمـسكن الـذي حـوت النحـور

(١) الأديب الشاعر العالم إسماعيل بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق. انظر زبارة، ج١، ص ٢٩٠ (نيل الوطر).

وجئـــتم بالبـــديع فـــما أراه   يداني بعض ما حوت السطور
معـــان تـــسترق الحـــر طبعـــاً   وألفـــاظ تـــرقّ لهـــا الـــصخور
عتبـــتم ثـــم أنكـــم نـــوالاً   عـــذرتم والحلـيم هـــو الغفـــور
أيـــذوي روض ودّكـــم النـــضير   ويخبـــث مـــاء مـــورده النّمـــير؟
فـــلا هطلـــت بمخـصبة سحاب   ولا هبّـــت بـــصافية دبـــور
إذا ذهبـــت بـــودكم الليـــالي   فـــلا ذهبـــت بطلعتهـــا البـــدور
وإن جلـب الـسلوّ البعـد عـنكم   فكيـــف مـــن التباعـــد نـــستجير
لقـــد مزجـــت محبـــتكم بقلبـــي   كـــما بالمـــاء تمتـــزج الخمـــور
أيـــا جـــلّ المـــراد ومـــن إليـــه   نلمـــح بالمقالـــة أو نـــشير
لـئن خاطبت منك ضمير جمعٍ   فإنـــك مـــا تـــضمنه الـــضمير
أتحـــسب أن ودّك غـــير بـــاقٍ   وأن هـــواك تمحـــوه الـــدهور
لقـــد أبعـــدت في التخييـــل مرمـــى   أعـــد نظـــراً تبـــين لـــك الأمـــور
عجبت من الخواطر كيف ترمي   بـــسهم قـــد يجـــوز وقـــد يجـــور
عتابـــك مـــن صـــدودك لي نـــذير   فـــما عـــذري وقـــد جـــاء النـــذير؟
وشـــعرك مخـــبر برضـــاك عنـــي   فـــلا جـــرم أتـــى عنـــدي بـــشير
فـــلا تـــسمح برقّـــك أن تـــراه   يحـــررّ فيـــه بهتـــان وزور
فمـــن يـــسمع يخـــل لكـــن عليـــه   تحقـــق مـــا تكتّمـــه الـــصدور
وعفـــواً إن جنيـــت فلـــيس إلاّ   ثـــمار غـــصون ود لا تبـــور
وإن يك عند مـولى الـصّفح ذنـب   عظـــيمٌ فهـــو للجـــاني غفـــور
ودم في حفـــظ عـــيشٍ مـــستطابٍ   بظـــلّ لـــيس يعقبـــه حـــرور
وأني نـــاظر جمعـــاً قريبـــاً   ســـيمنحنا بـــه الـــربّ القـــدير

١٦٢. لا تشك من جور الزمان

وقال رداً على أبيات وصلته من ابن عمه إسماعيل بن علي إسحاق بعثها إليه من السجن مطلعها:

أطيـف خيـال كـاد مـن سـفحنا يمـضي؟
فروّعــه الــسجّان فارتــدّ كـالومض؟
أم الـــشوق إن جـــدّ التنكــر بالحـــشى؟
فبـالوهم يـدني الـبعض منـا إلى الـبعض

فأجابه صاحب الديوان:

أســكان وادي القــصر حــبكم فــرضي؟
أمــالي مــن لقيــاكم غــرض مقــضى؟
عـــسى وقفـــاتٍ في حمــاكم أنيقــة
تعــود عــلى مــضناكم قبــل أن يقــضى
لقــد نقلــت ذكــراكم في صــحيفة الخــوا
طـــر أشخاصـــاً مطهّـــرة العـــرض
ويـــوم وقفنــا نرقــب الوصــل صــبحه
ونقنــع مــن مــاء المحبــة بــالنضّ (١)
بـــروض مـــن الأوراق أخـــضر مونـــق
ومــن أدمــع الأجفــان أبــيض مــرفض
بأفئـــدة عـــذل العـــواذل حولهـــا
وحـــبكم منهـــا ترفـــع في عـــرضي

---

(١) نض الماء: سال قليلاً قليلا.

فلـــما رأينـــاكم عـــلى شـــسع المـــدى
ولم تتبـــين قـــسمة الـــبعض مـــن بعـــض
عرضـــنا علـــى المنقـــول مـــا خيلـــت لنـــا
النـــواظر فامتـــاز الجميـــع لـــدى العـــرض
فـــلا تـــسألن عـــما رأيـــت فإنهـــا
أغـــاليط مـــن أمثالهـــا عجبـــاً نقـــضي
وحقكـــم مـــا تركنـــا الكتـــب عـــن قـــلا
ولا كـــان تـــأخير الجوابـــات عـــن بغـــض
ولـــولا التهـــاب الطّـــرس كنـــت بـــبعض مـــا
يعـــوق إلـــيكم يـــا أحبتنـــا مفـــضي
يقولـــون إن الكتـــب تـــدنو بمـــن نـــأى
وتـــشهد مـــن ودّ المتـــيم بـــالمحض
وحـــسبي مـــن المـــدني ادّكـــاري لشخـــصكم
ومـــن كـــل عـــذلٍ مـــدمع ثقـــة مـــرضي
ولا تـــشك مـــن جـــور الزمـــان فإنـــه
وجـــا ينتهـــي عـــما قليـــل إلى خفـــض
ولله في أعطـــــاف كـــــل ملمـــــةٍ
خفيّـــات ألطـــاف عـــلى خلقـــه تمـــضي
عـــسى مـــرّ دهـــر يـــستحيل حـــلاوةً
وأســـود عـــيش يـــستهل بمبـــيضّ

١٦٣. وصف أبيات

وقال مجيباً على أبيات من السيد علي بن شمس الدين أبو طالب[1] مطلعها:

ألا "يــا حــسام الــدين" مالــك أخمــدت

قريحتـــــك المــــشهورة الآن بالــــشعر؟

الجواب:

أعقـــد مـــن الـــنظم المفــصّل بالــسحر؟

أم الروضـــة الغنّـــاء ضـــاحكة الزّهـــر؟

أم الـــراح قـــد دارت علينـــا كؤوســـها

ولكنهـــا جلّـــت عـــن الإثـــم والـــوزر؟

أعـــلّ بهـــا مـــولى الكتابـــة رقـــة

وأنهلهـــا منـــه المقـــدّم في العـــصر

هـــي الـــشمس لا عيـــب علـــى ثامـــل بهـــا

وقـــد أشرقـــت في جـــنح ليـــل مـــن الحـــبر

جمـــال المعـــالي لا برحـــت مقلـــداً

لرقـــك مـــن دار البلاغـــة في النحـــر

(١) لعله السيد العلامة الأديب علي بن يحيى بن الحسن بن القاسم، ترجمه المؤرخ زبارة في (نيل الوطر) ج٢ ص ١٦٥ وقال إن مولده سنة ١١٥٩هـ ومات في صفر سنة ١٢٣٦هـ.

١٦٤. ربَّ هجر يكون من خوف هجر

أرسل إلى صديقه السيد يوسف بن إبراهيم الأمير من "الروضة" إلى "بير العزب" هذه الأبيات:

كان لي موعد إلى الروضة الغناء منكم بزورة واتفاق
وتيقنت أنني إن تبطت لديكم أبطأتم بالتلاق
فرأيت الصواب عزمي سريعاً ووجدت الفراق حلو المذاقِ
ربّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ وفراق يكون خوف فراق

وقد أجاب عليه السيد يوسف الأمير بقوله:

حار فكري في كيف هذا الفراق وإلى كم تنكر الأخلاق؟
كيف رجحتم الفراق على الوصل وملتم له عن الاتفاق؟
كيف آثرتم الرحيل على سوح رحيب يغصّ بالأشواق؟
كيف أخطأتم الصواب وقلتم قد وجدت الفراق حلو المذاق
واكتسبتم هذي الطباع من الروضة ميلاً عن الوفا والوفاق
فتمنيت أن تكونوا بعيداً والذي بيننا من الودّ باقي

وقد أجابه شاعرنا بقوله:

أين أهل الأفكار والأذواق يحسموا بيننا شقوق الشقاق؟
أمصيب في القول من قال في الهجر الذي كان داعي الاتفاق
قد رأيت الصواب عزمي سريعاً ووجدت الفراق حلو المذاق
أم حقيق بأن يجاب عليه: حار فكري في كيف هذا الفراق؟
ثم يرمي بجفوة الطبع والميل عن العدل والوفا والوفاق

وشارك في الحوار بعض أدباء صنعاء فقال:

أمـصيب في القـول مـن قـال في الهجـر الـذي كـان داعـي الاتفـاق
"قد رأيت الصواب عزمي سريعاً ووجـدت الفـراق حلـو المـذاق

وقد أجاب شاعرنا على أبيات السيد يوسف بقوله:

الـذي قـال: قـد رأيـت فراقـي لحماكـم مـستدعياً للتلاقـي
مـستحيل بـأن يجـاب عليـه: "حار فكري في كيف هـذا الفـراقِ"

وأجاب السيد يوسف الأمير بقوله:

أي نكـر أتـى الـذي استحـسن الهجـر الـذي كـان داعـي الاتفـاق
والـذي لامـه حقيـق بـأن يرمـى بميـل عـن الوفـا والوفـاق

فأجاب شاعرنا بقوله:

بـل أجبـتم عـلى الـذي استحـسن الهجـر الـذي كـان داعـي الاتفـاق
"كيـف أخطـأتم الـصواب وقلـتم قد وجدت الفراق حلو المذاق"
اكتـسبتم هـذي الطبـاع مـن "البـير"[1] عـدولاً عـن الوفـا والوفـاق

١٦٥. جواب سؤال

إذا طـــاب اجـــتماع الـــشمل يومـــاً
بـــرغم البـــين والـــشوق الـــشديد
ونظّـــم عقـــد أحبـــاب لهـــم في الـــ
ـــمطارحة اقتناصـــات البعيـــد

(١) البير: يقصد حيّ "بير العزب" بصنعاء.

أيحــــسن في المقـــام حـــضور ســـفرٍ

يفيـــد بمثـــل صـــورة مـــستفيد؟

متـــى تليـــت معانيـــه فهـــم بيـــ

ـــن منتقـــدٍ عليـــه ومـــستجيد؟

أم الأفكـــار بالأبكـــار تغنـــي

وتكفـــي لـــذّة المعنـــى الجديـــد؟

فأجابه الشاعر:

ألا إن الحـــديث لـــه شـــجون

مفرّعـــة عـــلى أصـــل وحيـــد

فـــضع أصـــل الحـــديث كـــما اقتـــضاه

خطابـــك للـــذكيّ وللبليـــد

وعنـــد تجـــاذب الأطـــراف منـــه

فـــألق الـــسمع بالقلـــب الـــشهيد[1]

وســـاجل مـــن تجـــالس غـــير تـــالٍ

بـــلا داع أســـاطير البليـــد

وإن ألجـــي الكـــلام إلى كتـــابٍ

رجعـــت إليـــه كـــالحكم المفيـــد

هنـــاك تعـــدّ خـــير جلـــيس قـــوم

وتكـــسى حلّـــة الخلـــق الحميـــد

---

(١) الشهيد هنا: أي حاضر الذهن. كما في قوله تعالى: {أو ألقى السمع وهو شهيد}.

كذا أجاب عليها أخوه السيد العلامة علي بن إبراهيم الأمير:

سماع رسائل الأحباب تتلى
معانيها بألسنة الوجود

ألذّ من الذي يمليه مجموع
سفر راق من خبر الفقيد

وما يملي لسان الفكر أحلى
لسمعي من مفاكهة البليد

وغاية ما السطور استودعته
ذخائر مثل صدر ابن العميد[1]

وهبك وجدت أرفع منه قدراً
فمهموم بتحصيل العصيد

فإن نظم اللقاء إخوان صدقٍ
ففي مجموعهم بيت القصيد

وأجاب كذلك العلامة السيد أحمد بن عبد الكريم إسحاق[2] أخو صاحب الديوان بقوله:

رسوم الصحف تغني عن مغانٍ
تزين به الدّمى عند الرشيد

(١) ابن العميد: يقصد هنا أبو الفضل محمد بن العميد، الوزير العالم، الفيلسوف، الأديب المترسل، وكان يسمى "الجاحظ الثاني" توفي سنة ٣٦٠هـ، ترجمه ابن خلكان في (الوفيات) ج٥ ص ١٠٣-١١٣.

(٢) سبق التنويه به.

وينـــسيك المنـــى نظـــر إليهـــا
ويجلـــو الهـــمّ عـــن قلـــب العميـــد

وربّ صـــدور أقـــوام حـــوت مـــا
خلـــت عنـــه ســـطور المـــستفيد

ودعنـــي عـــن حـــديث نـــسيم نجـــدٍ
وحكـــم الـــدهر جـــار علـــى العبيـــد

وتـــدبير الملـــوك ولـــست فـــيهم
بمـــأمون هنـــاك ولا رشـــيد

بـــلى نفـــسي تـــضيق طباعهـــا عـــن
مـــداراة المفيهـــق[1] والبليـــد

١٦٦. مسبحة اليسر

لا زلـــت في اليـــسر قـــد وافتـــك مـــسبحة
مـــن خـــيرة اليـــسر يـــا خـــير الأصـــاحيب

تريـــك إذ نـــسقوها مـــع مؤذنهـــا
سرباً مـــن النحـــل دبـــت خلـــف يعـــسوب

فأجاب المرسل إليه:

وافـــت إليَّ بيـــشرى كـــل مطلبـــة
إذ جـــاءت اليـــسر مـــن يمنـــى الأطاييـــب

(١) المفيهق: تنطع كأنه ملأ به فمه، وهي من: تفيهق وتوسع.

تريني الشهد من أنفاس محسنها

وتقتضي العين والبشرى ليعقوب

فأجاب الشاعر:

أهلاً بباكورة النظم الذي أخذت

كل الكمال بتلخيصٍ وتهذيب

وافت فطاب بها وقتي وطال بها

أنسي فناهيك من حسنٍ ومن طيب

فلو شققت لها جيب الهوى لما

وفيتها حق تأهيل وترحيب

١٦٧. جفن الليالي

ودعاه الفقيه القاضي إبراهيم الشامي إلى "الأهجر" فلما رأى "مفرجه"[١] في موضع يسمى "السهلات" قال:

وعيش مرّ في "السهلات"[٢] حلو

سرقت به السرور على الزمان

كأني كنت في جفن الليالي

وقد نامت ولم تعلم مكاني

---

(١) المفرج: أي مكان المقيل، وله مواصفات غير الغرف الأخرى في المنزل لضرورة توفر الخصوصية والنوافذ الواسعة والإطلالة الجميلة.

(٢) السهلات: اسم مكان في الأهجر وقد دُعي الشاعر إليه من قبل القاضي إبراهيم الشامي.

إذا سرحــــتْ لحاظــــك في ربــــاه
وقفــن بهــا عــلى كــل الأمــاني
وفيــــه "مفــرج" حجبــت عليـــه
أنابيـــب تـــدفّق كـــل آن
إلى بـــرك كمثـــل الـــدرع تهـــوى
إليـــه كالأســـنّة للطعـــان
وقامـــات الغـــصون لهـــا ارتقـــاص
وتحريـــك عـــلى تلـــك الأغـــاني
وأنفـــاس الخليـــل لهـــا انبـــساط
تبـــشر بالمـــسرة والتهـــاني
ولم نعـــدم مـــن اللـــذات إلاّ
منافـــسة "البـــديع"[1] عـــلى المعـــاني
ومـــا معنـــى "البـــديع" ســـوى كـــريمٍ
مـــن الفـــصحاء حـــلّ بكوكبـــان
تمنـــع إذ رأى الأشـــواق زمّـــت
مطاياهـــا إليـــه بـــلا تـــواني
وأخلـــف وعـــده بالوصـــل عمـــداً
وخلـــف الوعـــد مـــن شـــأن الحـــسان

(١) البديع هنا: لقب كان يطلق على السيد الشاعر الأديب الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين.

ولما قرأ السيد الشاعر الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين الملقب بالبديع الأبيات أجاب عليه بقوله:

دعـــاني فاشـــتياقي قـــد دعـــاني
إلى غـــرف حكـــت روض الجنـــان

وإخــــوان كـــأنهم نجـــوم
تـــضيء بنورهـــا القطـــر اليـــماني

ولكــــن الموانــــع عارضــــتني
وأنـــشدت "البـــديع" عـــلى لـــساني

"أبـــوكم آدم ســـن المعـــاصي
وعلمكـــم مفارقـــة الجنـــان"

فـــأهجر نـــوم عينـــي حـــين حلّـــوا
بـــه وأبيـــت ســـاهي الطـــرف عـــاني

أراني الله وجهـــك يـــا "حـــساماً"[1]
بـــه تجـــلى الهمـــوم فقـــد أراني

بوصـــلك "كوكبـــان" ازداد حـــسناً
وتـــشريفاً بقربـــك والتـــداني

---

(١) يقصد الشاعر /السيد محسن بن عبد الكريم إسحاق.

١٦٨. ألوكة

أغنــت "ســفينة" مولانــا المُهــذّب عــن
سماع جنــك شرب الــشمس في الغلــس
وعــن نــدامى لطــاف رقّ طــبعهم
وذات دلّ وعــن كتــب وعــن فــرس
أتــت ولي أرض آداب غــدت يبــساً
فلــو أرادت لقالــت أرضــه انبجــسي
رمــت الركــوب عليهــا لالــتماس بحــو
ر الــشعر منهــا فلــم تجــر لملــتمس
وأنــشدت عجــزاً مــن صــدرها خجــلاً
"إن الــسفينة لا تجــري عــلى اليــبس"

١٦٩. جاءتك ترفل[١]

بكــر وذا القرطــاس مــسقط رأســها
وبــه عيــوب البكــر عنــد نفاســها

وكان الجواب من المولى الحسام رحمه الله على بحر هذا البيت المفرد:

جاءتــك ترفــل في مــلا أعراســها
وتعطــر الأرجــاء مــن أنفاســها

(١) يصف هذه أبياتاً للعلامة/ أحمد بن محسن الحضراني.

هيفـــــاء تمـــــزج تيهها بــــدلالها
لطفـــاً كمــــزج ســـلافها في كأســـــها
ســـفرت وحجبهـــا الحيـــاء فـــأبرزت
كفـــاً ينـــال الأســـد في أخياســـــها
لم أدر إذ ســـــــفرت بـــــأي لطيفـــــة
أسرت فـــؤادي في قـــوي مراســـــها
أبلحظهـــا المـــسموم أم مـــن لفظهـــا
المنظـــوم؟ أم بالـــسحر مـــن إيناســـها؟
عوّذتهـــا لمـــا شـــهدت جمالهـــا
مـــن عـــين حاســـدها ومـــن خنّاســـها
ســـمحت بمـــدح ســـفيتي مـــن لفظهـــا
فزهـــت بـــه وزهـــت علىٰ أخياســـها
هبّـــت لهـــا ريـــح القبـــول فأقبلـــت
مـــشحونة بالـــدّر مـــن رجّاســـها
وإليـــك يـــا بحـــر الكـــمال (ألوكـــة)
نهـــدي الـــسلام عليـــك في قرطاســـها

١٧٠. سؤال فقهي

قال يسأل بعض أدباء عصره:

مـــا يقـــول الإمـــام في الآداب ... حـــافظ العلـــم عـــن ذوي الألبـــاب
في الـــذي قـــد تعـــود النـــاس في المنظـــوم مـــن ذكـــر ربنـــا الوهّـــاب

ثـــم تعقيبـــه بـــذكر شـــفيع الخلـــق يتلـــوه ذكـــر ذات النقـــاب

هـل يـسيئون في التـأدب صـنعاً؟ أم يثـابون مـن جزيـل الثـواب؟

فـافتني في الـذي سـألت سريعـاً وأرح فكـرتي وعجِّـل جـوابي

وقد أجاب عليه عدد من أدباء وعلماء عصره، فقال الفقيه علي بن صالح العماري[1].

أيهـــا الـــسابق المـــبرز في الفـــضل المجـــلَّى في حلبـــة الآداب

ســائلاً لي عــن ابتــداء الــنظم في الملحــون[2] باســم المهــيمن الوهَّــاب

ثـــم ذكـــر الـــشفيع طـــه ويتلـــوه التغنِّـــي بـــالخوذ ذات الخـــضاب

أمثـــاب مـــن قالـــه أم مـــسيء؟ أنـــت منـــي أولى بفـــصل الخطـــاب

نحـن أدرى وقـد سـألنا بنجـدٍ[3] أيـن منـا منـازل الأحبـاب؟

غـــير أني أقـــول أســـتغفر اللـــــه إذا كنـت خابطـاً في الجـواب

إن هـــذا الـــصنيع لا بـــأس فيـــه بـل يرجـى بـه جزيـل الثـواب

ولنـــا فيـــه أســـوة بـــذوي العلـــم بهـــم يقتـــدي أولـــو الألبـــاب

أي فـــرق مـــا بـــين هـــذا ومـــا بـــين الـــذي في رســـائل الكتـــاب

فـــإذا كـــان ذا خطـــاء فعنـــدي أن ذاك الخطـــاء عـــين الـــصواب

جواب شيخ الإسلام الشوكاني[4]

الـــذي لاح وهـــو فـــصل الخطـــاب بعـــد حمـــد المهـــيمن الوهَّـــاب

---

(١) الوزير الكبير البارع الألمعي علي بن صالح العماري، برع في شتى الفنون والعلوم، والآداب والهيئة والفلك والهندسة، ونظم الشعر الحسن، واستوزره المهدي عباس، ولد في سنة ١١٤٩هـ بصنعاء، وتوفي سنة ١٢١٣هـ، وانظر ترجمته في البدر الطالع، ونيل الوطر، ج٢ ص ١٣٦-١٣٩.

(٢) الملحون: يقصد الشاعر الشعر الحميني غير المعرب.

(٣) يلاحظ أن الشطر للمتنبي، والأصل:

قد سألنا ونحن أدرى بنجدٍ أقصير طريقنا أم يطول

(٤) سبقت الإشارة إلى ترجمته.

إن ذكـــر الإلـــه في أول الملحـــون ثـــم الرســـول غـــير معـــاب
و"العمومـــات قـــد أتتنـــا بـــما فيـــه جـــلاء الـــشكوك والارتيـــاب
و"عمـوم الخطـاب حـالاً ووقتـاً وزمانـاً مـن لازمـات الخطـاب
فعلى مـدَّعي الخصوص لمـا عـمَّ بيـــان الخـــصوص بـــالآداب
والذي قـد أجاب في مركـز المنـع لمـا حـاد عـن طريـق الـصواب
قد أعـدَّ النقـول مـن كـل وجـه وأبـان العـراض في كـل بـاب

جواب البنوس(١)

يـــا إمـــام العلـــوم والآداب والمـــبرا عـــن كـــل شـــين وعـــاب
جاءني نظمـك الـذي هـو أحـلا حين يملا من رشـف عـذاب الرضـاب
ســـائلاً لي عـــن الـــذي يـــصنع الـــشاعر ومـــن ذكـــر ربنـــا الوهـــاب
ثـــم تعقيـــب ذكـــره الخـــد والقـــد وخـــصر الـــرداح ذات النقـــاب
هـل بـها قـد أتـاه سـاء صـنيعاً؟ أم بـه قـد ينـال حـسن الثـواب؟
فـــإذا كـــان ذاك منـــه ســـؤالاً ومـــلاذاً لفـــرط عظـــم المـــصاب
مـــن جـــوى زائـــد ونـــار اشـــتياقٍ قـــد غـــدت في حـــشاه ذات التهـــاب
فـــأراه أصـــاب دمـــت مـــدى الأيـــام تجلـــو لنـــا وجـــوه الـــصواب
وإذا كـــان غـــير ذاك فبـــاب اللَّـــوم منـــا في صـــنعه غـــير نـــابي
أنـــا أولى بـــأن أكـــون أنـــا الـــسائل يـــا ذا العـــلى وهـــذا جـــوابي

---

(١) السيد العالم التقي الحفاظة الشاعر محمد بن محمد بـن الحسين، مـن أحفـاد الإمـام المتوكـل إسـماعيل الملقـب (بالبنوس).

١٧١. أحلام شعرية

وله رحمه الله تعالى والبيت الأخير من هذه القطعة لسيدي محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق رآه في المنام فوقعت الأبيات قبله ترشيحاً له:

هم القوم كل القوم تاقت نفوسهم
لأحسن من دار الغرور مقيلا
فما سحرتهم بالغرور حياتهم
ولا سلبتهم بالخداع عقولا
إذا أسفرت يوماً وقد أزمعوا السرى
لووا عن سناها أخدماً وتليلا
"وقالوا لها لا تسفري وتبرقعي
ألم تعلمي أنا نؤم سبيلا"

وعلى ذكر رؤيا المنامات أذكر شيئاً من ذلك تتميماً للفائدة كما أخبرني مولانا الحسام رحمه الله تعالى قال أخبرني الأخ محمد بن علي اليزيدي أنه رأى فيما يرى النائم كأن إنساناً يملي عليه هذا البيت المفرد:

إذا كنت لا ترضى سوى الله صاحبا
من الناس فاجعل سيّد الرسل واسطه

وهذا من أجود الشعر وأصحه لفظاً ومعنى، وقد تشرف مولانا الحسام بأن ضم إليه هذا البيت:

فمن يطلب الزلفى بغير اتباعه
فذلك كالموصول من دون رابطه

وأخبرني مولانا الحسام قال أخبرني الأخ الجليل الحسن بن علي الأمير أن والده

المرحوم أخبره أنه رأى في المنام كأن إنساناً يتغنى ويرقص وهو يقول في غنائه:

يحق لمن كان عبداً له … بأن يتغنى وأن يرقصا

ورأى صاحب الديوان رحمه الله تعالى كأنه نظر في مجموع فيه مقاطع فحفظ منه هذا:

لإن أحسنت في نظمك للأقوال إحسانا
لقد أخطأت في ظنّك من خاطبت إنسانا

ورأى السيد العلامة محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى، سيدي عبد الله بن شرف الدين صاحب كوكبان بعد وفاته كأنه في حالة حسنة فقال له فزتم فقال نعم ثم قال:

ولما رأيت الوصل ليس بنافعي … من الجسم في الدنيا سمحت بروحي

ورأى الفقيه الفاضل حسن بن عبد الله حجا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول له، وكان في أمر مهم ففرج الله عنه بهذه الرؤيا:

ألم تر دعوة المظلوم أن لها … إجابة بزوال الملك والنعم

ورأى (كينعي) زمانه وابن أدهم أوانه الفقيه العابد إبراهيم بن أحمد اليعمري كأنه أنشأ هذه الأبيات أو أمليت عليه:

يا رب فاتحة الكتاب … وسيلتي فيما أروم
فامنن بتطهير الفؤاد … فأنت منان كريم
واختم بخير عملي … يا من لك الفضل العظيم

وأخبرني السيد العلامة الحسام صاحب الديوان رحمه الله تعالى، قال أخبرني محسن المطري، قال أخبرني سيدي قاسم بن عبد الرب، قال أدركت ضيقة في البحر فنمت وإذا قائل يقول لي:

على باب الرجا عرج ونادي … وقل يا ربّ بالسبع المثاني

تنـال جميـع مـا ترجـوه منـه فـإن السّبع مفتـاح الأمـاني

ورأى القاضي العلامة إسماعيل بن أحمد الحماطي سيدي العلامة علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بعد وفاته رحمه الله تعالى فقال له:

قد بلغنا الأماني على رغم الحسود وانتشقنا شذى طيب طوبا

واجتنينا جنا الوصل في دار الخلود وشفينا بعليا قلوبا

ورأى المزاح الشاعر المشهور قائلاً يقول له في منامه: وما قال الشعر قبل ذلك قط:

وطيف زار منه ولم يزدني على تسليمه وعلى وداعي

فأجابه في النوم:

ظفرت بما تُحيت المرط منه ولم أظفر بما تحت القناع

ثم استيقظ شاعراً مفلقاً والشيخ عمر بن الفارض رآه جامع ديوانه بعد إتمامه فقال له: لما لا تنقل القصيدة العينية وأنشده إياها في منامه وانتبه حافظاً لها، وهي التي أولها:

أبرقٌ بدا من جانب الغور لامع أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

وهذه هي النكتة في أنها لا توجد إلا في بعض النسخ من ديوانه في آخر الكتاب ووجدت بخط القاضي العلامة الأديب أحمد بن حسين المفتي صاحب مدينة إب، عن والده العلامة حسين بن علي المفتي رحمه الله تعالى: أنه رأى في المنام كأن منشداً يقول:

ويعد يا فوج العدين قف لي

وأخبرني القاضي المذكور أنه رأى بعض النساء فسألها عن زوجها فتنفست الصعداء وأنشدت:

صار من تعرفه في بلدٍ جاره نامُسُها والنعم

وأخرى أنه بات ذات ليلة متعلق الخاطر بشخص ألفه ثم فارقه فبينما هو نائم إذ برجل ينشده:

إن الـــذين عهـــدتهم بـــالمنحنى　　　ســـــتراهم بمعـــالم التنزيـــل

وأخرى أيضاً أنه بات ضيق الخاطر من نكد هـذه الـدار فبينما هـو نـائم إذ رأى رجلاً يخاطبه بقوله:

الله عـــودك الجميـــل فإنـــه　　　كهـف الـذي منـه إليـه تجـأر

وأخرى أيضاً كأن قائلاً يقول له في منامه:

وقـد أزف الرحيـل فلـم يعقنـي　　　سـوى بـرق تـألق مـن رباهـا

فأتمه في اليقظة:

فقلـت لفتيتـي أرسـوا فعينـي　　　رأت مـن هـا هنـا مـا قـد كفاهـا

فقـالوا بارقـاً فـأجبتهم بـل　　　رأيـتم بارقـاً ورأيـت فاهـا

وقـــال: إن هذا غير مسموع بل مرتجل وواسطة هذه المنامات ورحيـق هـذا المدامات ما وجدته بخط القاضي حسين بـن يوسـف الـصديق عـن المـولى العلامـة الحسام صاحب الديوان رحمه الله تعالى أنه رأى والده رحمه الله تعالى ينشد هذه البيت فانتبه فأجازه بالذي بعده وهما:

الـسيف والطـرف الكحيـل تخاصـما　　　كـلٌ يقـول المـوت في إفرنـده

والطـرف أصـدق في المقـال لأنـه　　　يفري القلـوب ولم يـزل عـن غمـده

فلله رؤيا ملأت القلوب رَيا والعيون رِيا، وعلى سبيل التذييل لهـذه المنامـات مـا ذكره صاحب كتاب الفرج بعد الشدة أن أعرابيا رأى قائلاً يقول له امضى إلى أمـير المؤمنين العباس بهذه الأبيات وكان في شدة من الفقر، فوصله:

لكـم إرث الخلافـة مـن قـريش　　　تـزف إلـيكم أبـداً عروسـا

إلى هـارون تهـدى بعـد موسـى　　　تمـيس ومـا لهـا أن لا تميـسا

ورأى المأمون قائلاً ينشده

يـــا راقـــد الليـــل انتبـــه   إن الخطـــوب لهـــا سرى
ثقـــة الفتـــى بزمانـــه   ثقـــة محللـــة العـــرى

ففزع من نومه ودعى بالفراش فوجد تحت فراشه حية عظيمة.

ورأى بعض المصادرين على أفراح قائلاً يقول له عليك باسم الله الأعظم تجده في قوله:

لطـــائف الله وإن طـــال المـــدى   كلمحـــة الطـــرف إذا الطـــرف رنـــا

ذكر ذلك في شرح الخرطاشية.

ورأى القاضي أحمد السماوي قائلاً ينشده:

حـــسبنا الله تعـــالى وكفـــى   مـــن زمـــان خطبـــه مـــا وقفـــا


الجزء الثاني الحميني

١٧٢. مولى النعم[*]

نعــــم، نعــــم شـــكري لمـــولي الـــنعم
في كــــل حالـــــه؛ فــــرض لازم
أغنـــى، وأقنـــى[١] كـــل ســـائل وعـــم
بـــــالجود أصـــــناف العـــــوالم
هــــو الـــذي قـــد أوجـــدك مـــن عـــدم
وكنـــت طيـــف في جفـــن حـــالم
نطفـــه ومـــضغه صـــوّرك في الظلـــم
وكـــان بـــك في الغيـــب عـــالم
وشـــق ســـمعك والبـــصر فـــانتظم
وجهـــك - تعـــالى خـــير نـــاظم
وعـــدّلك في الخلـــق حتـــى اســـتتم[٢]
صـــنعة حكـــيم الـــصنع، حـــاكم
وزيّنـــك بـــالعلم حتـــى افـــتهم
لـــك، مـــا ســـواك لـــه.. غـــير فـــاهم
وأســـجد الأمـــلاك لـــك في القـــدم
ويـــــــث مـــــــن آدم أوادم...

(*) هذه القصيدة "نعم، نعم" من أشهر القصائد التي يحفظها وينشدها النشادين في اليمن في جميع المناسبات.
(١) أقنى: أي أغناه.
(٢) استتم: أي حتى اكتمل.

وأطعمـــــك ممـــا ســــقته الـــــدِّيم
في الأرض ألــــــوان المطــــــــاعم
وألبـــسك مـــن كـــل غـــالي: وكـــم
وكـــم أصـــف لـــك مـــن عظـــائم
وآنـــــسك بالحاشـــــية والحـــــشم
والأهـــل، والـــــصحب الأكـــــارم
هـــذا شـــقيق مـــشفق، وهـــذا ابـــن عـــم،
وذا صـــــديق؛ طبعـــــه ملائـــــم
وأنـــــت في غيِّـــــك كـــــأن لم ولم[1]
بـــل صرت مـــن بعـــدا[2] مخاصـــم
يعطيـــك مـــا يعطيـــك؛ كـــم ذا الكـــرم
كـــم ذا العطـــاء مـــا جهـــد حـــاتم[3]
فاحمـــد إلهـــك، واعـــترف بـــالنعم
واعقـــد عـــلى الـــشكر العـــزائم
وعـــضّ مـــن جهلـــك بنـــان النـــدم
وغـــضّ في كـــلّ المحـــارم
واســـمُ إلى العليـــا بأســـمى الهمـــم
واعـــزم مـــع مـــن كـــان عـــازم

---

(١) كأن لم ولم: أي كأن لم يكن شيء.
(٢) من بعدا: صنعانية أي من بعد ذلك.
(٣) "حاتم": يقصد الشاعر والفارس حاتم الطائي الذي اشتهر بكرمه وسخائه وكان يضرب به المثل.

وارغـــب بنفـــسك عـــن مقـــرّ الـــوخم
إلى مقـــــــرّ العِـــــــزّ دايـــــــم...
ويلـــغ الهـــادي شـــفيع الأمـــم
أزكـــى الـــصلاة، مـــا حـــام حـــائم
والآل، مـــن هـــم في الهدايـــة علـــم
وصــــــحبه الغـــــرّ الأكـــــارم

١٧٣. يا مالك الملك

يـــا مـــن عـــلا في ســـماواته ... يـــا مالـــك الملـــك؛ يـــا ديّـــان
يـــا مـــن هـــدانا بآياتـــه ... وأنـــزل الـــذكر للتبيـــان
وخـــصّ موســـى بتوراتـــه ... والمـــصطفى الطّهـــر بـــالقرآن
تـــزداد مـــن نـــور مـــشكاته ... قلـــوب أهـــل الهـــدى إيـــمان
العبـــد في بحـــر زلاتـــه ... تايـــه؛ وفي ليلهـــا حـــيران
مـــضى شـــبابه ولذّاتـــه ... والليـــل مـــن شـــعره الفينـــان[1]
وأوضـــح الـــشيب حالاتـــه ... والـــشّيب كالـــصبح في التبيـــان
فقـــد رأى العبـــد ســـوآته ... واستـــشعر الجهـــل والعـــصيان
إن لم تكـــن لـــه؛ فقـــد فاتـــه ... فـــوزه وقـــد بـــاء بالخـــسران
فـــاغفر لعبـــدك خطيئاتـــه ... يـــا واســـع العفـــو يـــا رحمـــن
واســـتر عيوبـــه وعوراتـــه ... عـــن الـــورى، إنـــسهم والجـــان

---

(١) الفينان: أراد بالليل الشعر الأسود، ويقال امرأة فينانة: أي كثيرة الشعر.

وطهـــره مـــن دناســـاته ... بالمـــاء، والـــثلج، والغفـــران

وأمـــنن بتـــسكين روعاتـــه ... ويـــدِّل الخـــوف باطمئنـــان

بـــسرّ طـــه وآياتـــه ... ومـــا حـــوىٰ الـــصدر مـــن إيـــمان

عليـــه أزكـــىٰ تحياتـــه ... مـــا مَـــسَحَ الطـــايف الأركـــان

تبلـــغ إليـــه كـــل أوقاتـــه ... بعـــد الـــصلاة مـــا سرت ركبـــان

ويعـــد يـــا مـــن مقاماتـــه ... ي القلـــب مـــا نالهـــا إنـــسان

يـــا غـــصن في وســـط جنّاتـــه ... ختـــال كالـــشارب الـــثملان

الوصـــل قـــد زلّ ميقاتـــه[1] ... والـــصبر قـــد جـــاوز الإمكـــان

والقلـــب هـــيّج صـــباباته ... مـــع البـــوارق عـــلىٰ "نعـــمان"[2]

قـــد ذكرتنـــا ابتـــساماته ... عهـــد اللقـــا ســـالف الأزمـــان

في عـــيش تمـــت مـــسرّاته ... بـــالراح، والـــروح والريحـــان

عـــودوا تعـــد طيـــب أوقاتـــه ... ويكمـــل الحـــسن بالإحـــسان

فـــالزرع قـــد مـــدّ قاماتـــه ... والـــرّوض قـــد زيّـــن الأغـــصان

والطـــير في ظـــلّ دوحاتـــه ... د أحكـــم الـــسجع بالألحـــان

ويـــا التلاقي وســـاعاته ... ون أُنـــس الـــشجي الولهـــان

فـــالله يقـــضي بعوداتـــه[3] ... فـــئم عـــلىٰ رغـــم أنـــف الـــشّان[4]

(١) زلّ ميقاته: أي فات وزل ميعاده.

(٢) نعمان: جبل في "وصاب العالي" يسمى نَعْمان.

(٣) عوادته: عوائد بالأفضال.

(٤) الشّان: الشاني والعذول.

١٧٤. ما غير بابه

أرزاق غـــدوه عـــلى الـــرزاق
والكــل عالـــة عـــلى الخـــالق
وكـــل ســــاعه لهـــا أرزاق
هـــو قـــد تكفـــل بهـــا الـــرازق
فـــلا تخـــف كثـــرة الإنفـــاق
وكـــن بـــما في يـــده واثـــق
ومـــدّ كفـــك إلى الخـــلاّق
لأن فـــضله هـــو الـــسابق
مـــا غـــير بابـــه عـــلى الإطـــلاق
يرجـــع إليـــه عبـــده الآبـــق
فـــما لبـــاب الكـــريم إغـــلاق
ولا منـــع مـــن عطـــاه طـــارق
أجـــرى مـــن المـــاء لـــلأوراق
أرزاق في غـــصنها الباســـق
والطـــير أرزاقهـــا تنـــساق
لوكرهـــا في ذرا شـــاهق
فخـــلّ نفـــسك مـــن الإقـــلاق
واطـــرح همومـــك وكـــن حـــاذق
فجـــو بـــير العـــزب قـــد راق
والطبـــع في ســـوحها رايـــق

ودوحهـــا قـــد نظـــم أطـــواق

في الغـــصن ترصـــيعها فـــايق

والنهـــر مـــن تحتهـــا دفـــاق

وعـــرف أزهارهـــا عـــابق

والطـــير يمـــلي عـــلى الأوراق

رخـــيم صـــوته مـــع الحـــازق[1]

وقـــد حـــدا حـــادي الأشـــواق

إليـــك يـــا بغيـــة الوامـــق

فـــلا تمنّـــع عـــلى المـــشتاق

مـــا درّاك[2] كيـــف حالـــة العاشـــق

وقـــد معـــي للقـــا شـــبراق[3]

وحـــدس بـــالاجتماع صـــادق

إن لم تبـــادر إلى المـــشتاق

فحـــسن بـــير العـــزب طـــالق

صـــلّوا عـــلى المـــصطفى الـــسبّاق

والآل مـــا رفـــرف البـــارق

---

(١) الحازق: الحاد اللطيف في نغمة العود.

(٢) ما درَاك: أي ما أدراك.

(٣) شبراق: صنعانية: أي الأمل والحدس في اللقاء.

١٧٥. القلب الطروب

بـــالله بلّـــغ يـــا نـــسيم ساري مــن الروضــه ســحر
ســلام أزهــى مــن زهــور الــروض مــن بعــد المطــر
أرق مـــن صـــوت الهــزار إذا تغنـــى في الـــشجر
يحكــي رقيــق الجــو في الــرو ضـــه؛ إذا الغـــيم انتـــشر
ومـــدّ فـــوق الأفـــق حلـــه بالبهـــا تغـــشى البـــصر
ومالـــت الأغـــصان مـــن مـــرّ النـــسايم في البكـــر
وغنّـــت الورقـــا وطـــش المـــزن في الدّوحـــه نقـــر
وتاهـــت الـــسيّال حتـــى ألقـــت علـى الغيــل الــدّرر
واســترقص القلــب الطــرب واســـتوقف المـــرء النظـــر
وكـــاد أن تـــسجع عليهـــا.. دورهـــا لـــولا الخفـــر..
واوصــل إلى "بــير العــزب" وارجــع كــما لمــح البــصر
مــن قبــل مــا تعطيــك مــن آلافهـــا صرة ضـــجر..[1]
تــسير[2] مــن عنــدي نــسيم وارجــع تجــي مثــل الحجــر
ويقتلـــب[3] لينـــك قـــسا، ويعـــتري صـــفوك كـــدر
إحـــذر تـــسنّب[4] في المقـــام إلا أمـــد شرح الخـــبر
قــل للــضيا[5] يوســف قــرين الـــسعد محمـــود الـــسّير

---

(١) صرة ضجر: أي حقيبة من السأم والكآبة.

(٢) تسير: أي تذهب.

(٣) يقتلب: يتحوّل.

(٤) تسنب: صنعانية: أي : تتوقف.

(٥) الضياء: لقب لبعض الأسماء للاحترام والتقدير خاصة من كان اسمه "إسماعيل".

هـــذا مـــن الروضـــة وصـــولي   قـــصد موقـــفْ[1] مختـــصر

وذا أثـــار المـــسك مـــن   عـــرفي، وفي كفـــي نـــشر

الـــشوق أزعجنـــي إليـــك   حتـــى تخطّيـــت الخطـــر...

والقلـــب مـــن فقـــدك ومـــن   شـــوقه إليـــك مالـــه مقـــر

وكيـف يطيـب العـيش للعاشـق   إذا خلّـــــــــه هجـــــــــر؟

سرور قلـــب الوالـــه المـــضنى   إذا خلّـــــــــه حـــــــــضر

والـروضـــة الغنّـــا وصـــال   الخـــــلّ في اليـــوم الأغـــر

١٧٦. قلوب أهل المحبة

يا عيد إن عدت بالأحباب حيّيت عيد

فلـست عيـدي ومـن أهـواه غائـب بعيـد

لأن وصـــل الأحبـــة منتهـــى مـــا نريـــد

لا ملـك كـسرى ولا المقـصود ملـك الرشـيد

* * *

لا شيء أحـــلا، ولا أحيـــا لميـــت الهـــوى

كالوصـل بعـد الجفـا والقـرب بعـد النّـوى

وكلهـــا في قلـــوب أهـــل المحبـــة ســـوى

والفـــرق إن التّـــائي غـــير قـــصد العميـــد

* * *

---

(١) قصد موقف :لغرض اجتماع أو لقاء.

لــــولا الرســـائل تـــودّي عـــن رهـــين البعـــاد

سرايـــر الحـــب محلولـــه بـــماء المـــداد..

في رق مختـــــوم يـــــشهد أن سرّ الفـــؤاد

في الغيـــب مكتـــوم لا يفـــشي ونعـــم الـــشهيد

* * *

كــــأن ســـود الرســـائل في بيـــاض الـــورق

تمثـــال بـــيض الأمـــاقي في ســـواد الحـــدق

لـــــذاك تطفـــي بهـــا للعاشـــقين الحـــرق

بـــاب التـــشابيه في فـــنّ المحبـــة مفيـــد

* * *

حتـــى يمـــنّ المهـــيمن باللقـــا والوفـــاق

ويجمـــع الـــشمل بالأحبـــاب بعـــد الفـــراق

ويكفكـــف الوصـــل مـــن دمـــع القلـــم مـــا أراق

طـــول التنـــائي ويـــأتي بالزمـــان الـــسعيد

* * *

وفي التحيـــات دهـــر البـــين معنـــى دقيـــق

يدريـــه مـــن كـــان طبعـــه في المحبـــه رقيـــق

ينبيـــك عـــن أن غـــصن الـــودّ نـــاضر وريـــق

وأن عهـــد التـــصافي في التجـــافي أكيـــد

* * *

فخـــــصك الله منــــا بالــــسلام الـــــذي
يعطّـــر الأفـــق بـــالعرف الـــذكي الـــشذي
حتـــى يوافيـــك خاضـــع لـــيس بالمحتـــذي
ففـــي حمـــاك المقـــدس بغيـــة المـــستفيد

١٧٧. اسقني يا صاح

حُسن ذات الخـال. مــا أبقــى خــلي. كـــــل العقـــــــول:
ثاملـــة مـــن كـــأس؛ ودّه
أصــبحت تختــال. ربّـــات الحـــلي. ذات الحجــــــــــول:
مــن شــذى أنفــاس؛ بــرده
فيــه مــا قــد قــال. "قـيس الأخــيلي. بــــــل والنـــــصول:
آخــذه مـــن بــاس؛ صـــدّه
والقضيب ما مـال. إلا صـــــحّ لي. أنّـــــى أقـــــول:
إن هـــــذا آس؛ قـــــدّه

بيت

كلهـــا ألفـــاظ. والمعنـــى المـــراد. ذات الجـــــــمال.
نحـــو الأخبـــار.. تـــسند
قــد روى الحفــاظ. عنهـــا مـــا أفـــاد. بــــل مـــــا أزال؛
شــبهة الأغيــار.. ؟ عــن يــد
ما لـذي الألحـاظ. حتـــى للجـــماد. ســـــلّت فـــــسال؛
هل بها الأسحار.. تُعقـد؟

مـا يـشا العـذال. خـابوا عـذلي. ليـت العـذول؛
ما خلق في النـاس.. وحـده

* * *

قـد حلـل هتكـي. لوجـدي والحنين. قـد طـال مـا،
كانـت الأسرار.. تحجـب
مـا أرى شـكي. وقـد لاح اليقـين. إلا كـما.
يـستر الأنـوار.. غيهـب
قـل لمـن يـشكي. فـراق النـازحين. لـو همـت مـا،
خلـت غـير الـدّار.. مـا حـب
خل شكوى الحال. عنـي؛ واجـتلي. بعـد الأفـول،
منيـة الجـلاّس .. وحـده

* * *

واسـقني يـا صـاح. مـن ذكـر الحبيـب. حتـى أفيـق،
فالـدّوا بالـدّا.. أجـدى
إن يكـن للـراح. مـن ثغـره نـصيب. كـان الرحيـق،
للتّقـى بالهـدي أهـدى
خـدّه التفـاح. والـورد العجيـب. هـذا حقيـق،
خـدّك الأنـدى.. أنـدى
يـا خـليّ البـال. حبـك مـا بـلي. جـد بالوصـول
مـا أرى في اليـأس.. بَـرْدِه[1]

---

(١) برده: صنعانية: أي راحة.

١٧٨. بين الروضة وبير العزب

صحت "البير شعبه من "شعوب""[١] "للعزب" مثل بير "البينيان""[٢]
جوّها مثلما تِزْرط[٣] حبوب أو كأنك تقرّط[٤] هندوان
مثل "حدّه"، ولكن في الكروب شبهوها نباريس الزمان
ما الشمالي وريحه كالجنوب بل ولا الزجّ فعله كالسنان

***

من رأى روضة الحسن الأنيق وشرب من طلاها وطلتين[٥]
صار نشوان فيها لا يضيق يفتتن في هواها فتنتين
فلذا سميت "روضة" حقيق ما جميع المخارف يشبهين
صحّ لي أنها.. روض القلوب ما الخبر عن سناها كالعيان

***

قدر لبنه[٦] بلبنه من ذهب تبذل السّايله في الجامده
أين منها ربا بير العزب هل حوت من فضيله واحده؟
هل هوا رقّ فيها أو عنب طاب؟ ما في رباها فايده
هل لبس جوّها وقت الغروب من برود الأصايل طيلسان؟

(١) "شعوب": اسم لمنطقة كانت زراعية تقع في ضواحي مدينة "صنعاء" العاصمة والبير يعني بها بير العزب.
(٢) البينيان: نسبه إلى الجالية الهندية.
(٣). تزرط: أي بمعنى تبتبلع بصعوبة.
(٤). تقرط: أي تطحن بأسنانك.
(٥) الوطلة: الرشفة والقطرة..
(٦) اللبنة: وحدة مساحية معروفة والسايلة: النقود والجامدة: الأرض.

***

هــذه الــروض غــرّه زاهيــه   حــسنها قــد تجـلى كالــشموس
أشــبهت في المغــاني غانيــه   قــد تحلّــت بــأنواع الــسلوس
عنــدها "البــير مثــل الحافيــه؛   فرق بـين "البزيّـه"[1] والعـروس
ومعـــاني محاســـنها ضروب   يعجــز القــول عنهــا والبيــان

١٧٩. بُعدك قاتِلي

يومنــا في فــم الــدنيا ابتــسام   فهـــو كـــل المنـــى للآمـــل
يـضحك الزهـر مـن دمـع الغـمام   فيــه مثــل الحبيــب المايــل[2]
وكــأن الغــصون سـقّت مـدام   فهـــي تختـــال مثـــل الثامـــل
والهوامــدّ مـــن ســـحبه خيـــام   مذهبـــه بالأصـــيل الهامـــل

***

والـــصباحين وافانـــا وقـــف   يرتعـــد[3] كالعليـــل الناحـــل
والحبيـــب الـــذي زان الغـــرف   بـــالحلا والجـــمال الكامـــل
حـين أهـوى بكأسـه وارتـشف   خِلْــت شــكل الهــلال الآفـل
وجمـــع شـــملنا بـــدر الـــتمام   في مقـــام الـــسرور الـــشامل

***

(١) "البزية": الخادمة.

(٢) المائل: لهجة يمنية تعني المساعد الراضي.

(٣) يرتعد: صنعانية أي يرتجف.

ثـــم لمـــا ســـمعنا في اللّـــوى صـوت حـادي الفـراق العاجـل
نـاثر العقـد مـن دهـش النـوى والتفـــت كـــالغزال العاطـــل
ثـــم قـــال لي بكلمـــه لا ســـوى مـا تـرى؟ قلـت: بُعـدك قـاتلي
فرثـــى لي، ولا طـــف بـــالكلام ووعـــد بالوصـــال العاجـــل

***

سـلوتي عـن هـوى حسنه حـرام لا تطيـل الحكـى يـا عـاذلي
مـا تـشا مـن خيـالات المـلام الهـوى عـن ملامـك شـاغلي
لا تـسل عـن غرامـي والهيـام مـا تـرى سـايلي؟[1] يـا سـائلي
ثـم أزكـى صـلاتي والسـلام تبلـغ الطهـر غـوث الآمـل

١٨٠. فتان النفوس

سقى دار الوصال. هتّـان هطّـال. ودامت في ظـلال. اليسر تختـال.
ففيهـا قـد رأيـت. الأرض في بيـت. وفيها قـد طويت. الـدهر في حـال.
وندمـه كالبـدور. تفـديهم الحـور. ثنـاهم للـدهور. أقـراط وأحجـال.
وفتّـان النفـوس. لا زال محـروس. تبدّى كالشموس. سـاحب الأذيـال.
تثنّـى في الـبرود. كالغصن إملـود. فـشبّهت الخـدود. والرّشح قد جـال.
شقائق بين لـول. أو ورد مطلـول. وأشـهى مـن يمـزج بسلسال.
فقالـت مهجتـي. للعـين: فـزتي. ولكـن حـصتي. حرقـه وبلبـال.

***

[1] سايلي: الأولى: دمعي وسائلي الثانية حبيبي.

وأقسم بالعيون. ما زلت مفتون. أحاديثي شجون. مستغرق البال.
بَدَالي بعد طيب. العيش تعذيب. فليته يا حبيب. لا زال لا زال[1].

١٨١. ساحر الطرف

يا ساحر الطّرف خاف الله في صبّ صبره بدمعه غرق
إرحم معنى عميد القلب حبّه أهانه بنار شوقه حرق
واغنم بنا الوصل في حدّه فهذا أوانه من قبل ما نفترق
وشاهد الغصن يا فتّان كالقدّ زانه بالسجع طاير ملق
وانظر "حميس"[2] يا حبيب القلب هو والدموع يستبق
وخلّ عتبك وخلّ الصبّ من امتحانه ما هو لذا يستحق
وإلا فِردّيتِ قلبي يا حبيبي مكانه ما دام هو يلتفق
فبيننا عهد يا اهيف قد تِقادم زِمانه بالحفظ منّك وثق
فخنتِ عهدك وِبدّلت الوَفا بالخيانه وقلت ذاك قد سبق
ما حدّ نقض عهد محبوبه وخان الأمانه سواك فارحم ورق
وقد بلغني كلام من قول أهل الكهانه أنا من أجله قلق
إن كان صادق فهذا للمعنى إهانه ولو درى ما عشق
وإن كان كاذب فما نعتب ودِونهِ وشانه ومن حنق له حنق
فخبّر الصبّ بالواقع وصحّح بيانه ولو قدك ممتحق[3]
فأنت والله مُنَى قلبي ومَالك عنانه ونالك[4] أفديك رِق
صلّوا على المصطفى والآل أهل الديانه ما ناح طائر ذلق

---

(١) لا زال، الأولى دعاء له بالدوام والثانية: لم ينفذ.
(٢) "حميس": اسم لجدول كان في "حده". التي كانت منتزهاً.
(٣) ولو قدك ممتحق: أي قد تغيرت عما عهدتك.
(٤) ونالك: صنعانية وتنطق كذلك: أي وأنا لك.

١٨٢. الحسان النواعم

إذا لاح شــــاري الــــبرق واهتــــز كالقنــــا
نظــــم مــــن دمــــوعي في خــــدودي قلائــــد
وذكــــر بمــــن هــــم غايــــة القــــصد والمنــــى
حــــسان الوجــــوه النــــاعمات الخرائــــد
إذا ابتــــسمت كــــالبرق، أو قــــدّها تثنــــى[1]
فــــما مثلهــــا إلا الغــــصون الموائــــد
وإن أســــفرت فالــــصبح في النــــور والــــسنا
وإن أســــلبت فالجعــــد كالليــــل ســــاجد
وفي خــــدّها التفــــاح والــــورد يجتنــــى
ولكــــن ســــهام اللّحــــظ عنهــــا زوائــــد
فيــــا مرســــلي بــــالله بلّــــغ ســــلامنا
وقبــــل ثــــرى أوطــــانهم والمعاهــــد
وحقــــق[2] لنــــا كيــــف حــــالهم بعــــد بعــــدنا
وهــــل عهــــدهم بعــــدي كــــما كنــــت عاهــــد؟
ولا تحــــسبوا أن النــــوى غــــال ودنــــا..
فــــودّي عــــلى مــــا تعهــــدون وزايــــد
وجــــسمي مــــن الهجــــران قــــد شّــــقه الــــضنى
ونــــومي عــــن الأعيــــان قــــد صــــار شــــارد

---

(١) ثنى: أي تثنى، الموائد: التي تهتز وتميد.
(٢) حقق لنا: صنعانية، أي أخبرنا أو أبلغنا.

وتـــذكارهم مـــا زال في الـــصبح والمـــساء
وأشـــواق قلبـــي كـــل ســـاعه زوايـــد

١٨٣. يا بارق السحب

يـا بـارق الـسحب في جـنح الـدجىٰ   هل في خبايـاك قطـره مـن لمـا الأغيـد
يروي بهـا ظـامي الأحـشاء مـا يخفـاك   حال الذي ذاق بعد الوصل طعم الصد
هذي أحاديـث يرويهـا عـن الـضحّاك   صـحيحة النّقـل دلّتنـي علىٰ مقـصد
حكيت يا بـرق لكـن مـا معـك إدراك   هيهـات هيهـات منـك النـار تتوقـد
فثغـر خـلّي حكـىٰ لي منـه المـسواك[١]   أنـــه إذا ســـفّ ريقـــه للجـــوىٰ بـــرّد
هــذه عبـارات معنـىٰ لفظهـا معنـاك   مـا دام يحكـي، ولا لـه في الحـما مقعـد
يظـن ريـح الـصّبا أهـدت لنـا ريّـاك   فنحسب الأفق يسطع مِنْـهُ عـرف النّـد
إذا شـدا الطـير قلنـا هزّتـه ذكـراك   صـياح، والحـق أنـه بالغنـا غـرّد
ونــسأل الله يــا عــذب اللّــما لقيــاك   طال التنائي رويـدك قـد بلغـت الحـد

١٨٤. الحبيب الذي غاب

الحبيـب الـذي غـاب عنـا واحتجـب   مـــا الـــذي ميّلـــه عـــن أســـيره
إن يكن[٢] بـه خطيّـه درينـا مـا الـسبب   وعرفنـــا بـــما في ضـــميره
وعلينا رضا الـسِّيد[٣] يطلـب مـا طلـب   شـــانو في ويختـــار خـــيره

---

(١) المسواك: أي السواك.
(٢) إن يكن به: أي إن كان ثمة شيء.
(٣) السيْد: أي الحبيب.

إن يشا الروح شلّه وإن يطلب ذهب … كل هذي المطالب يسيره
والذي زان معسول ثغره بالشنب[١] … ما يجد في الغواني نظيره
جمع الما في صحن خدّه واللهب … نار حمراء وروضه نضيره
إن تثنّى قوامه فما أحلى العذب … فيه والحجل تسمع صريره
أو كشف ليل جعده فما هذا العجب … ليل داجي أوان الظهيره
آهٍ يا ناس أما أنا قلبي ذهب … يعلم الله أين صار مصيره؟
بعدما سار قصدي وسؤلي والأرب … واحسبه راح ساعة مسيره
فإن يكن فيك يا مرسلي قفله … بلّغ السِّيد مني سريره
قل: فلان بعدما فارقك ولهان صب … طول ليله وذكرك سميره
كيف تنساه صحّيت[٣] ما ترعى … ما رحمت الدموع الغزيره؟
أنت للغيد سلطان في أعلا الرّتب … وأنت في الحسن دوله كبيره
والنبي أنّ الانصاف منّك قد وجب … قد ظلمته، ومن ذا نصيره؟
يا إله السّما يا مفرّج للكرب، … يا محُل الأمور العسيره
فرّج الكرب، واغفر لعبدك ما كسب … من كبير الخطا أو صغيره
ثم صلّي وسلم على خير العرب … كنزنا، والرجا، والذخيره
وكذا الآل والصّحب ما الغيث انسكب … فسقى ترب روضه نضيره

١٨٥. يا من تفضل على عبده

يا من تفضّل على عبده ومن … يا فارق الأمر في الشعبانيه[٤]
بمصطفاك الأمين المؤتمن … شفيعنا من لظاك الحاميه

---

(١) ثغره بالشنب: أي زينه بأسنان ناصعة البياض.
(٢) قفله حسب: أي قليل من الود.
(٣) صحيت: أي تبين أنك.
(٤) الشعبانيه: هي ليلة النصف من شهر شعبان.

عجّـل بغـاره علينـا مـن محـن ... لم تبـق مـن صـبر عبـدك باقيـه
فقـد علقنـا إلى جـد الحسن ... بـذيل نـسبه رفيعـه عاليـه
لنـا بتلـك العلاقـه حسن ظـن ... فـلا تخيـب النفـوس الراجيـه
عليـه والآل مـا الوابـل هـتن ... أسـنا الـسلام والـصلاة الزاكيـه
عليـك يـا مـن شـكا جـور الـزّمن ... شـكوى تـذيب القلـوب القاسـيه
سـلام مـا نـاح قمـري في فـنن ... مـن مغـرم اذنـه لقولـك واعيـه
لمّـا نـشرنا كتابـك كـاد أن ... تمحيـه دمـع الجفـون الدّاميـه
نجّش[1] على قلبي المضنى شجن ... وابـدى لـه اسرار كانـت خافيـه
كـم نـاح كـم حـنّ مملوكـك وأن ... كـم سـكن المهجـه المتلاشـيه
وكيـف لا والنـوّى قـد نـاب عـن ... أيـام لقيـا أنيقـه شـافيه
سـاعاتها عـن تعـاطي خمـر دن ... وعـن سـماع الملاهـي خاليـه
لكنهـا بالمعـالي والمـنن ... كانـت لجيـد الليـالي حاليـه
والله لـولا تأسّـينا بمـن ... قاسـى العنـا في الـسنين الماضـيه
مـا جاذبـت مقلتـي ذيـل الوسـن ... ولا تـسلّت بروضـه زاهيـه
مـا نـال يوسـف و يـونس مـن محـن ... ففيـه للخلـق عـبره كافيـه
كـذاك آل النبـي المـؤتمن ... قـد نـالوا اشـياء تـشيب الناصـيه
مـن فـوّض الأمـر لله اطمـأن ... وعـاش في الخلـق عيـشه راضـيه
والحمـد لله مـا هـذي المحـن ... إلا مـنح والعفـا[2] في العافيـه

---

(١) نجّش: أي حرك واستثار.
(٢) العفا: الإكتفاء والغنيه.

١٨٦. أسرار الوداد

إليكهــــا محكمــــة وفــــق المــــراد
أيــــات كــــالروض بــــالزّهر ابتــــسم
في طيّهــــا عتــــب مــــن مــــضنى الفــــؤاد
لقــــاك شــــافي لمــــا بــــه قــــد ألم
لمــــه[1] تناســــيتنا يــــا اهيــــف وكــــاد
يكــــون وجــــداننا عنــــدك عــــدم؟
قــــد كنــــت مــــن قبــــل ســــهل الانقيــــاد
فكيــــف أبــــدلتني لا عــــن نعــــم؟
متــــى متــــى بعــــد جــــيش الابتعــــاد
يخفــــق لجــــيش اللّقــــا الــــشافي علــــم؟
وأيّ حــــين[2] شــــا تــــساعف بــــالمراد
واقــــل لقلبــــي زمانــــك قــــد بــــسم؟
فأنــــت بــــيّض ســــوادك يــــا مــــداد
وأنــــت كفكــــف دموعــــك يــــا قلــــم
ومــــا مــــضى يــــا حبيــــي لا يعــــاد
وصــــلك يعيــــد الكبــــائر كــــاللّمم
كــــم مــــن عــــذول في هــــواك أبــــدا العنــــاد
ولــــو رأى طلعتــــك ألقــــى الــــسّلم

---

(١) لِمَهْ: صنعانيه: بمعنى لماذا.

(٢) أي حين تعني متى باللهجة اليمنية.

للسحر في غنج عينيك انعقاد

وباهي الدرّ في فيك انتظم

عرضت غيرك على قلبي فزاد

حبّك وما قال على غيرك: بكم؟

فاسمح إذا عزّ قربك بالرّقاد

وابعث بطيفك ولا تخشى الرّسم[1]

فكل عاشق من الخل استفاد

إلا أنا في اللّقا ما لي قسم[2]

كم باح دمعي بأسرار الوداد

والقلب للحب يا سيدي كتم

هذه شكيّة إليك منك وعاد[3]

فخصمنا أنت فيها والحكم

١٨٧. ما للهوى نهاية

وحرمة الودّ يا رفاقي / إني إلى سوحكم مشوق

قد جرّح المدمع المآقي / إن رفرفت فوقه البروق

وذبت ما فزت بالتلاقي / حتى ولا في الكرى طروق

ليل النوى كم تكون باقي / متى لشمس اللّقا شروق؟

(١) الرّسم: حرس السجن.

(٢) القسم: الحظ والنصيب.

(٣) وعاد: أي ولا تزال ثمة شكاوي.

***

مــا للهــوى فــيكم نهايــه   وحــسنكم مــا لــه انتهــا
مــا يبلــغ الطــرف منــه غايــه   إلا وفاتنـــه مثلهـــا
في كـــل معنـــى لـــه كفايـــه   منّـــه، وللـــنفس مـــشتهى
حلـــوا - بحـــق الهـــوى -وثـــاقي   فـــلي بإحـــسانكم وثـــوق

***

لا تتركـــوني وحيـــد مفـــرد   أســـعى إلـــيكم بـــلا دليـــل
نظـــره بعـــين القبـــول لا الـــرد   تُبينـــوا لي بهـــا الـــسبيل
رشـــفه مـــن الـــصافي المـــبرّد   تطفـــي بهـــا شـــدة الغليـــل
يـــديرها مـــن يديـــه ســـاقي   إليـــه أخبارنـــا نـــسوق

***

يـــا مـــن هـــم منتهـــى الأمـــاني   ومـــن لهـــم يحـــسن الخـــضوع
إن لم أكـــن أهـــل للتّـــداني   فـــلي بـــذكري لكـــم قنـــوع
عـــن حـــبكم فتـــشوا جنـــاني   واستـــشهدوا هـــذه الـــدموع
فقـــد أقامـــت عـــلى اشـــتياقي   دلائـــل الهـــائم المـــشوق

١٨٨. خصك فؤادي

خـصّك فـؤادي يـا رشـا بالـشغفْ   وعـــنْ ســـواكْ اعـــرضْ وولّى
مـن بالملاحـه توّجـك؟من رصـف   للـــدر في ثغـــرك وحـــلّى؟
قـد شـاقني[1] خـدّك بـورده وشـفْ   واعيـــان بـــالتفتير كحـــلا

---

(١) شاقني: صنعانية بعث في الشوق وأعجبني.

قاسي وجسمك حاز كلّ الترّف ... واللّين بالأغصان أولى
الروض زهره للكمائم كشف ... وبدر وصلك ما تجلّى؟
حبك قصد قلبي وعنده وقف ... فقال له: أهلا وسهلا
بدّلت سلوانه بطول الأسف ... وما جزا من حب[1].. إلاّ..
ما راق له في البعد زهر الغرف ... وليس بالأغصان يسلا[2]
ولا تسلّى بالطّلا حين سف ... إلاّ بذكرك حين يتلى
عرّفتني في عِشقتك ما عرف ... فيما سلف (مجنون ليلى)
واسقيتني بالصدّ كأس التلف ... وكأس وصلك كان أحلا
قد قلت لك يا قلب دع ذا الكلف[3] ... فقلت لي ما عنه تَخلا
حتى وصلت الآن فيه الطرف ... وصرت بالأشواق تصلى[4]
فاصبر ولا تشكي فما به[5] نصف ... كم للهوى أسرى وقتلى
كم شاهدت عينك وكم قد وصف ... لك من عشق حاله وأملى
حكم الهوى يمنع وإن شا صرف[6] ... وإن شا خفض من شا واعلى
كم قد ظمى عاشق وبعدا[7] ارتشف ... كاس المنى علا ونهلا
وذاق غاية ما حلاله وخف ... حتى نسى ما مرّ قبلا
وساعده دهره وخِلّه عطف ... وغصن آماله تدلى
وأزكى الصلاة تغشى رفيع الشرف ... قد فاز من سلم وصلى

---

(١) أي وما جزاء من يحب إلاّ الوصال والإحسان.

(٢) يسلا: يفرح.

(٣) الكلف: العشق، ما عنه تخلا: لن تنفعك عنه.

(٤) تصلى: صنعانية: تحترق، ووصل الطرف: أي الحدّ.

(٥) فما به: صنعانية أي فليس هناك. والنصف: الإنصاف.

(٦) يمنع: يبخل. وصرف يعني: يعطي. وإن شا صنعانية: وإن أراد.

(٧) وبعدا: صنعانية أي وبعد ذلك.

١٨٩. كاي الوُد

جمالـك مـا انتهـىٰ لـه قـط مقـدار — وروحـي مـا بقـت[١] منـه بقيـه
وركـن الـصبر منـي كـاد ينهـار — وأركـان الهـوىٰ عنـدي قويّـه
إذا نـادمتني في الموقـف الـسار — بكـأس الـود فالـدنيا مـضيّه[٢]
وإن يـا فـاتني تبعـد بـك الـدار — فـما للـدّار بعـدك مـن مـزيّـه
كفىٰ عينيك عـن تعقيـد الأسـحار — دلائـل مـن محاسـنها قويّـه
ومـا أغنـاك عـن حانـات خمّـار — وفي ذا الثغـر خمـره بابليـه
نظمـت الـدرّ في وصـفك بأشـعار — كـساها اللّطـف حلّـه معنويّـه
معـاني مـا بلغهـا فكـر (مهيـار)[٣] — ولا مجنـون لـيلىٰ العامريّـه
بـما تحويـه أعيانـك مـن اسرار — بهـا اسـتعبدت ألبـاب البريّـه
تأمـل في حـواشي تلـك الأشـعار — تجـدها فيـك أو منّـك شـكيّه

١٩٠. أنت يا حالي العذب

يـا عـاذلي طوّلـت في جـدالي — نـصحت مـن لا يقبـل الوصـايا
فمـشربي في الحـب قـد حـلا لي — ولـذّلي يـا عـاذلي عنايـا
عـذاب مـن أهـواه عَـذْبٌ حـالي — والحـبّ شـانه يعكـس القـضايا
وأنـت يـا حـالي[٤] شـغلت بـالي — مـن بعـد مـا شـدّت بـك المطايـا
سـكرت مـن حبّـك وأنـت سـالي — مـا ذقـت مـن كـاسي ولـو بقايـا

---

(١) ما بقت: لهجة يمنية: ما بقيت.
(٢) مضيّة: لهجة يمنية بمعنى مضيئة.
(٣) مهيار الديلمي الشاعر العباسي المعروف.
(٤) الحالي: الجميل.

مـا يـستوي يـا خـلّ قلـب خـالي | وقلـب كـم لـه في الهـوى زوايـا
والله لـو حـدّث بـما يـصالي[١] | ومـا لقـى في الحـب مـن قـضايا
لا يمـلي[٢] الأوراق بالأمـالي | وفي الزوايـا يـا رشـا خبايـا
فـلا تقـل مـالي وأنـت مـالي؟ | مـن بعـد مـا بانـت لـك الـشكايا
فهـذه احـوالي وأنـت والي | وكلّنـا في الحـب لـك رعايـا
عجـل وصـالي لي فـؤاد صـالي[٣]؛ | عَـدْل الملـك مـن أشرف المزايـا

١٩١. ألف أهلاً

سـقِّني يـا شـقيق الـنّفس مـن خمـرة الـراح
صـبّ في الكـاس لي أمّ المـسرّة والافـراح
قـد سـمح باللقـا - بعـد الجفـا - روح الارواح
قلـت لمـا بـدا كالبـدر، والـصبّح قـد لاح

* * *

ألـف أهـلاً بمـن وافى عـلى الـراس والعـين
وسرى مثـل مـسرى الطيـف مـن خيفـة العـين[٤]
وهـو لابـس قنـاع اخـضر بجـردة[٥] ذهـب عـين
فـوق نـور الجبـين مثـل الـشفق عنـد الاصـباح

* * *

(١) يصالي: صنعانية أي يقاسي ويعاني.
(٢) لا يملي: أي لملأ.
(٣) صالي: فصحى أي يحترق.
(٤) خيفة العين: أي خوفاً من أن يصاب بالعين، أو من خوف الرقيب.
(٥) جردة ذهب: من الحلي الذهبية الصنعانية.

والقمــــيص زنـــج مــــن فوقــــه يلـــق عـــال[1] مـــذهب

وهـــــو في غـــصن مــــايس كــــاد بالعقــــل يـــذهب

غَــــر غَـــاني فَـــرِهْ تيّـــاه[2] للــــذيل يـــسحب

مــــن رآه حـــار في حـــسنه ومـــن خاطبـــه راح

***

والعقــــود يـــا حبيــــب شـــبّهتها بالأهلّـــة

قارنــــت بـــدر خـــدّك يـــا حـــويلي الأشــــلّه[3]

إن هــــذا القــــران مــــا قـــد ســــمعنا بمثلـــه

غـــير عقـــدك وخـــدّك يـــا مغـــير ســـمر الارمـــاح

***

هـــات كمـــل صـــباحي بالـــصبوح المشعـــــشع

واســــتمع مـــا يقــــول شـــيخ الـــسماع المرجّـــع

إن تغنّـــى فقــــولي فيــــك يـــا ريـــم الاجـــرع

ســـقّني يـــا شــــقيق الـــنفس مـــن خمـــرة الـــرّاح

١٩٢. يوم التلاقي

لم أنــــس يــــوم التلاقــــي غـــــــــــربي آزال

حـــين زارني وهــــو راقــــي بــــرج الكـــمال

ودار بالكـــــأس ســـــاقي بـــــاهي الجـــمال

(١) الزنج: من أنواع القماش الهندي المذهب، وعال: يعني جيّد أنيق.

(٢) غرّ: طائش، وغاني: أي جميل. وفره: ناعم، وتيّاه: متكبّر.

(٣) يا حويلي: تصغير يا حلو. والأشلّه: الأطواق الذهبية.

واطفـــى لهيـــب اشـــتياقي		بالاتـــــــصال

***

فقلــــت: أهـــلاً وســـهلاً		عـــلى الـــرؤوس
بـــذا الجـــمال المـــولّى		عـــلى النفـــوس
مـــن تحـــسده حـــين يُجـــلا		نـــور الـــشموس
مـــن صـــار جاعـــل فراقـــي		لـــه رأس مـــال

***

وأنـــا الـــذي طـــار قلبـــي		إلى حمـــــاه...
وأنـــا الـــذي حـــار لبـــي		في ذا ســـــناه
أبـــديت للخـــلّ عتبـــي		روحـــي فـــداه
وقلـــت عـــلّ احتراقـــي		يُطفـــي بحـــال

***

فـــورّد الخـــلّ خـــدّه		مِـــن الخفـــر
وقـــال مـــن صـــحّ ودّه		قاســـا الخطـــر
وحـــوّل النـــوم وجـــده		إلى الـــسّهر
وصـــبّ دمـــع الأمـــاقي		مثـــل الـــلآل

بيت

فقلـــت: حُـــسنك ملكنـــي		هـــذا البـــديع
مُـــرني بـــأمرك تجـــدني		ســـامع مطيـــع
إلاّ التجـــافي فـــإنّي		لا أســـتطيع
الله مـــن الهجـــر واقـــي		فـــالهجر طـــال

***

منيّتـــــــي في مطالـــــك وذا النفـــــــــار
ومنيتـــــــي في وصـــــالك في وســـــــط دار
جمعـــــت لي مـــــن فعالـــــك جنّـــــه ونـــــار
وصـــــــــرت مالـــــك وثـــاقي في كـــــل حـــــال

١٩٣. هذا فؤادي

قـــم يـــا رســـولي مـــن الرّبـــع الـــسعيد
بلـــــغ كتـــــابي وعـــــدلي بـــــالخبر
هجّـــر، ويكّـــر، وســـير ســـير البريـــد
واسري فحمـــد الـــسّرئ عنـــد البكـــر
ســـل عـــن أحبـــاي، وابحـــث، واســـتزيد
لا تجعـــل القـــول فـــيهم مختـــصر
هـــل ضـــمّهم ذلـــك القـــصر المـــشيد
في ســـفح (صـــنعاء) سُـــقي صـــوب المطـــر
أو في حمـــا "البـــير"[1] في العـــيش الرغيـــد
قـــد قيّلـــوا تحـــت أغـــصان الـــشجر
وهـــل رعـــوا ذلـــك العهـــد الأكيـــد؟
أو مـــرّ، أو دار ذكـــــري، أو خطـــــر؟
أمـــا أنـــا عهـــد ودّي مـــا يبيـــد
وصـــفو ودّي لهـــم مـــا فيـــه كـــدر

(١) البير : بقصد منطقة : بير العرب

هـــذا فـــؤادي مـــن الـــشوق الـــشديد
كـــالطير يبغـــي مـــن إشراكـــه مفـــر
أشـــواق قـــد مزّقـــت صـــبر الجليـــد
وهتّكـــت مـــن حديثـــه مـــا اســـتتر
ودمـــع عينـــي عـــلى خـــدّي شـــهيد
مـــا رقرقـــه؟ مـــا أســـاله كالـــدّرر؟
ونـــوم عينـــي لمـــه[1] أمـــسى شريـــد؟
والليـــل مـــا طوّلـــه بعـــد القـــصر؟
مـــن بعـــض مـــا اشـــتكى ذاب الحديـــد،
ورقّ ممـــــا أقاســـــيه الحجـــــر
بـــالله عـــودوا، ورقّـــوا للعميـــد
فـــالروّض قـــد فـــتَّح أكـــمام الزهـــر
والجـــوّ قـــد رقّ، والطّلـــع النـــضيد
قـــد راق حـــسنه، وقـــد طـــاب الثمـــر
لا تجعلـــوا وعـــد لقيـــاكم بعيـــد
فلـــيس إلاّ بكـــم يـــومي أغـــر
لا زلـــت يـــا غـــصن في الـــنّعما تميـــد
مـــا أطلـــع الأفـــق للـــسّاري قمـــر

(١) لمه: صنعانية تعني لماذا؟

١٩٤. سلم الأمر تسلم

ما ترى كيف تقليب أطوار الفلك   واختلاف الأمور النواشي
بينما الليل لابس جلاليب الحلك   إذْ أتى الصّبح بالنور غاشي
يهتدي في المسالك بنوره من سلك   ويفكّ الكتب والحواشي
ياتعالى الذي للعوالي قد ملك   كلّ ساعه وله شان ناشي

***

سبعه أيام عنها تكون اثنى عشرْ   شهر حتى انتهى حول كامل
قدّر الله هذا على سير القمرْ   في بروج السّما والمنازل
وقضى كل كاين فأبداه القدرْ   في أوانه فعاجل، وآجل
والذي قد قضاه الإله لا بدّ لك   من وقوعه، وإلاّ فماشي[(١)]

***

سلّم الأمر تسلم، وفوّض للقدير   كلّ أمرك، وإياه فارهب
وتأمّل بعين البصيرة ما المصير   وإلى فضل مولاك فارغب
واجعل العمر مركب إلى بندر[(٢)] يسير   تذهب الريح به كل مذهب
واتّجر من بضاعه وفيها ربح لك   من نفيس الحلي[(٣)] والقماشِ

***

(١) وإلاّ فماشي: لهجة يمنية أي: وإن لم فلن يكون ذلك.
(٢) المركب: السفينة. والبندر: المرفأة.
(٣) الحلى: صنعانية جمع حلية وفي نسخة الحلل.

لا تصل وأنت مفلس[1] وإخوانك ملوك	كالـــسلاطين فـــوق الأسرّه
واطلب الله ما دام لك فيها سلوك	قبــل يطــوي شراعــك بغــره
في الـضحىٰ والأصـائيل وفي وقـت	ومـــن الليـــل كـــره بكـــرّه
لا يغرّك مروج الحرايـر عـنّ لـك؛	وانت في حوش[2] كالسهم ماشِي

***

من تفكر وطالع تواريخ الـدّهور	وتأمّـــل بعـــين البـــصيره
كَمْ ملوك أصبَحوا بعدْ ما شادوا قصور	هـــمْ وأقـــرانهم في حفـــيره
صحّ له أنّ ما هـذه الـدنيا غـرورْ	وتركهـــا ذَميمَـــه حقـــيره
لا يبالي بها لـو مَلكْهـا مـن مَلَـكْ	فهـــيَ دارُ الفنـــاْ والـــتلاشِي

***

وانشرح خاطره مثلما البـدر الوجيـه	في النوائـب، وهـو ثابـت الجـاش
باسم الوجه ثبت الجنـان لا يعتريـه	طيش فيها ولو طـاش مـن طـاش
دائم الفكر والذكر معـدوم الـشبيه	واسـع الـصدر هـشاش بـشاش
حفـظ الله ذاتـه لنـا أنّـا سـلك	دائـم الـدّهر قاعـد ومـاشي

---

(١) مُفلس: مفلّس وخاسر.

(٢) الحوش: الساحة.

١٩٥. السوح الرحيب

مـــــا "بـــــير العــــزب" والـــــسّوح الرحيـــــب
عنـــــــدي يُـــــستحب بعـــــدك يـــــا حبيـــــب
وصـــــلك قـــــد وجـــــب للــــــصبّ الكئيـــــب
جـــــازي مـــــن أحـــــب بالوصـــــل القريـــــب

* * *

حـــــــالي مـــــــستعاد بـــــــاقي لا يـــــــزول
لـــــو يـــــسمع جمـــــاد منـــــي مـــــا أقـــــول
لا يبقـــــــىٰ رمـــــــاد كيـــــف اهـــــل العقـــــول؟
هـــــا اعـــــصر لـــــك عنـــــب مـــــن وادي (حريـــــب)

* * *

فـــــالروض البـــــديع مـــــصقول الهـــــوا
في فـــــصل الربيـــــع عنـــــد الاســـــتوا
أفراحـــــه تـــــضيع في دهـــــر النـــــوىٰ
لـــــفّ الـــــشمل رب عاجـــــل بالحبيـــــب

* * *

هاقبـــــل زهـــــور   وانقـــــر في صـــــفا
واســـبح في بحـــور   في قـــاع الحفـــــا[1]
ســـبحان الـــصبور   قـــد طـــال الجفـــا
والـــدمع اســـتكب   مـــا طفـــى لهيـــب

يوصـــل مـــن "زرود"   عنـــد أهـــل النقـــا
باســـم عـــن بـــرود   فـــارح باللقـــا
هـــابط مـــن نجـــود   بعـــد الارتقـــا
مـــن دار الخلـــب[2]   عهـــده مـــن قريـــب

***

ألطـــف مـــن نـــسيم   أغـــزر مـــن عهـــاد[3]
أطيـــب مـــن شـــميم   "شـــاهي" أو زبـــاد[4]
يـــا الله، يـــا كـــريم..   بلغنـــا المـــراد..
عبـــدك قـــد طلـــب   جـــودك، يـــا مجيـــب

١٩٦. وضاح السنا

لاح كالـــشمس[5] وضّـــاح الـــسّنا   فتنـــة العابـــدين الناســـكين
مخجـــل الغـــصن قامـــه إن ثنـــى   رمحهـــا خـــرّ رائيهـــا طعـــين

(١) الحفا: المشي بغير خف ولا نعل.
(٢) الخلب: الطين المشبع بالماء.
(٣) العهاد: المطر.
(٤) عطر الشاهي: من أشهر عطور صنعاء، والزباد: طيب معروف.
(٥) في نسخة: لاح كالبدر.

مـــن يقينـــي[1] إذا لحظـــه رنـــا؟ رحـــت مـــن ســـحر ألحاظـــه يقـــين
سود مـا البيض؟ مـا سـمر القنـا[2]؟ مثلهـــا في أكـــفّ الـــشاهرين
اســـتوى ســـهمها لمـــا انحنـــى فوقهـــا قـــوس حاجبهـــا المتـــين
بـــالمنى روض خـــدّه يجتنـــى لا تنالـــه أكـــفّ اللامـــسين
ورد زاهـــي نـــدي غـــضّ الجنـــى ســـاحر الـــشكل، روض النـــاظرين
والـــشّفاه، الـــشّفا فيهـــا لنـــا مـــن عـــذاب الهـــوى هـــذا المهـــين
حـــلّ مـــن تحتهـــا كنـــز الغنـــا كـــل جـــوهر مـــن اللؤلـــؤ ثمـــين
إن نطـــق مـــا نطقنـــا كلنـــا.. لاســـتماع الحكـــى[3] ذاك الرصـــين
بأغـــــاني تنـــسيك المنـــــى إن ســـمع ســـبكها قـــاسي يلـــين
صـــحّ عنهـــا رَوى عـــود الغنـــا وحكاهـــــا، ولكـــــن مـــــا يبـــين
قلـــت: يـــا مـــن عـــلا فـــوق الثنـــا وتجـــاوز صـــفات المـــادحين
يـــا حبيبـــي ويـــا مـــن هـــو أنـــا.. مـــا بقـــى لي أنـــا غـــير الأنـــين
قـــد تملّـــك هـــواك أرواحنـــا كلهـــا في يـــدك ملـــك اليمـــين
مـــا لنـــا يـــا حبيبـــي كلّنـــا مـــن كـــؤوس المحبـــه ثـــاملين؟
كيـــف بنـــا حـــين تنـــأى كيـــف بنـــا؟ هـــل عـــلى حمـــل حبـــك مـــن معـــين؟
لا يطيـــب بعـــد بعـــدك عيـــشنا وأنـــت مطلوبنـــا في كـــل حـــين
قـــد حـــلا، قـــد حـــلا فيـــك الفنـــا الفنـــا فيـــك فـــوز الآملـــين
مـــن تحمّـــل لعينيـــك العنـــا فـــاز بـــالروح بـــين العاشـــقين
لـــو تمثّـــل لشخـــصك شـــوقنا والجـــوى، والـــصبابه والحنـــين.

(١) من يقيني: من يحميني.
(٢) ما البيض: يريد السيوف، وسمر القنا، الرّماح.
(٣) الحُكي: صنعانية: الكلام والهذيان أيضاً.

كــــان مثــــل العمائـــم فوقنـــا | ملتـــوي في الـــشمائل واليمـــين
الأحاديـــــث منـــك والكُنـــى | عنـك والجهــر، والـسر الكمــين
قــال: لــو كنــت تهــوىٰ وصــلنا | بحــت بالحــب بــين العــالمين
وجعلــت الهـــوىٰ كلـــه لنـــا | مـــا تبـــالي بقـــول اللائمـــين
وهجــرت الكــرىٰ مــن أجلنـــا | هجـر "واصـل"[1] لـراء الناطقين
تبتغـــي بالـــدّعاوي[2] ودّنـــا | دون مـــا تبتغـــي أســـد العـــرين
قلــت: عفــوك إذا عبــدك جنــىٰ | كــن لعبــدك عــلىٰ حبّــك معــين
ثــم صــلّىٰ عــلىٰ مــن قــد دنــا | فتــدلّىٰ لــه "الـــروح الأمـــين"
عـــين أعيـــان أهـــل الاعتنـــا | الـــذي خـــصّ بالجـــاه المكـــين
وكـــذا الآل مـــن هـــم ذخرنـــا | مـــا أضـــاء الـــصباح المـــستبين

١٩٧. غنّي يا هزار

غنّـي بـصوتك يـا هـزار الغـصون | ويـــا حمـــام الـــروض غنّـــي
غنـاك أغنـىٰ عـن سـماع اللحـون | فهـــــات ردّدلي وثنـــــي
أصـوات تـشجي بـل تثـير الـشجون | جالـــت مجـــال الـــروح منّـــي
أوتارهـا مـن صـنع كـن، لا تكـون | شــــبيه أوتـــار المغنّـــي

***

أصـغي إلىٰ معنـىٰ غنـاك العجيـب | مـــن بـــين أصـــوات الحمائـــم
كــأنّني أســمع حــديث الحبيــب | مـــن بـــين أقـــوال اللـــوائم

---

(١) واصل بن عطاء الغزّال: أحد أئمة المعتزلة وكان ألثغ لا يجيـد نطـق الـراء فكـان يتجنبهـا في كلامـه وأحاديثـه وخطبه ورسائله.

(٢) الدّعاوي: الدعاوىٰ.

أو اجتنى زهر الأقاح الرطيب   من بين ملتفّ الكمائم..
أطربت بالرنّات حتى الغصون   من أجلها هذا التّثنّي

***

كسيت هذا الروض معنى بهي   بذاك كانت له مزيّه
فاجني وكل من كلّ ما تشتهي   واشرب عليه شربه رويّه
وامللي أغاريدك علينا فهي   حياة الرواح[1] الشجيّه
وهات صِفْ لي فالأحاديث شجون   من علمك هذا التغنّي؟

***

أحكمت قانون "الغنا الموصلي[2]   أو كان لك مزمار داؤود
طلائع الأفراح أبديت لي   وفي غناك الأنس مشهود
حكيت بالألحان صوت الحلي   والجنك والطارات والعود
عليك تبدي[3] من سجوعك فنون،   وذكر من أهواه فنّي

١٩٨. الرفق بالمغرم

الحمد للمولى   عظيم المنه البرّ الجواد
على الذي أولى   من الخير الذي عم البلاد
ثم الصلاة تتلى   مدى الدنيا إلى يوم المعاد
على الذي صلّى   عليه الله وأعطاه المراد

---

(١) الرواح: هكذا تنطق في صنعاء.
(٢) الموصلي: نسبة إلى إسحاق الموصلي من مشاهير الفنانين والمطربين في العصر العباسي الأول.
(٣) تبدي: أي أن تظهر.

***

ويعـــــد يــــا ظـــــافر ظفـــــاير بـــــالمعنّى ظـــافره
عـــــلى جبــــين زاهــــر حكـــى شـــمس النهـــار الزّاهـــره
وســــــيفه الــــــشاهر مـــن اغـــماد الجفـــون الفـــاتره
يحمــــــي بـــــه النــــاظر إلى ورد الخــــدود النـــــاضره

***

ذا دُرٌّ في المبــــــــــــــسم يـــنظم عـــن آقـــاح؟ أم ذا بـــرد؟
وذا رضــــــــــــــابك أم عتيـــق الـــرّاح في الثغـــر انعقـــد
ويـــــدر حـــــسنك تـــــم فعوّذتـــــه بآيــــات الــــصّمد
الرّفـــــــق بـــــــالمغرم فـــما أبقـــت لي الفرقـــه جلـــد

***

وقـــــد ظهـــــر وجـــــدي بنطـــق الحـــال لا نطـــق اللّـــسان
والـــــدمع في خـــــدّي وســـــقمي في المحبـــه ترجمـــان
وإن نفـــــد جهـــــدي وزادت شدّتـــــي في الامتحـــان
شاشــــــكيك للهــــــادي ومـــن يـــشكي إليـــه نـــال الأمـــان

***

هــــو ركنتنــــا العــــالي مـــن أهـــوال الخطـــوب المبهمـــه
ويــــــدرنا الجــــــالي مهـــــمّات الأمـــــور المظلمـــــه
لأمرنــــــــــــــا والي وسرّ الله فيــــه قــــد عظّمــــه
شـــــا ينظـــــر أحــــوالي وشــــا يقــــضي بــــما الله ألهمــــه

* * *

يـــــا صـــــــادق الهـــــدّات في الأعـــداء ويـــا عـــين الوجـــود
إليكهـــــــــا أبيـــــــــات يحكــــــي نظمهــــا درّ العقـــــود
لا زلــــــــت في الخــــــيرات واللــــــذّات دائـــــم في ســـــعود
محفـــــــــوظ بالآيـــــــــات والقـــرآن مـــن عـــين الحـــسود

١٩٩. ساحر الألباب

بلّـــــغ إلى مــــن نـــزح عنّـــــا يــــا مرســــــلي، واكــــــتم اسراري
ســــلامي الطيــــــب الأســـــنا عــــلى شــــموسي وأقــــماري
قــــل: بعــــدكم أوحــــش المـــضنى لمــــا اختفــــى بــــدره الــــسّاري
وصـــــار لفظــــاً بــــلا معنــــى ومــــن قمــــيص البهـــا عـــاري

* * *

والله لــــو أن ســــفح (البــــير) يقـــدر عـــلى بـــثّ أشـــواقه
لـــصاح أمّـــا أنـــا شـــاطير مـــالي عـــلى البـــين مـــن طاقـــه
ابـــدلتوا الـــصّفو بالتكـــدير يـــا لهـــف غـــصني وأوراقـــه..
مـــن بلـــبلي بعـــد مـــا غنّـــى قـــد نـــاح بـــل كـــل أطيـــاري

* * *

فـــارعوا عهـــود الوفـــا يـــا احبـــاب لا تهملـــــوا للمعنّـــــى حـــــق
يكفــــي جفـــا ســـاحر الألبـــاب فالـــصّبر فيـــه ســـار مـــستغرق
أنتـــوا فتحتـــوا علينـــا بـــاب مـــن الجفـــا والنـــوى مغلـــق
بــــلا خَطِيّــــه[1] جــــرت منّــــا والله بافعـــــــــــالكم داري

---

(١) بلا خطيه: أي بلا خطيئه.

٢٠٠. أسير الفراق

حــــرس الله تلكـــم الأخــــلاق   اللّطـــــــــاف، الرقـــــــاق
التــــي مــــاء لطفهـــا الرّقــــراق   رقّ حـــــــــــــــــسنه، وراق
والوجـــــوه التـــــي لهـــا إشراق   والقـــــــــدود الرّشـــــــاق
وحباهــــا المهـــــيمن الخـــلاّق   مـــــن أســـــير الفـــــراق
بـــــسلام.. يعطّـــــر الآفــــاق   فـــــاح طيبـــــه، وفـــــاق
بعـــد ذا فالمحـــب بالأشـــواق   للذيـــــــذ الـــــــتلاق
كــلّ حــين فــؤاده خفّــاق   بعـــــدكم يـــــا رفـــــاق
محـــتفظ بـــالعهود والميثـــاق   وعــــلى العهـــــد بـــــاق
ثــم أن تــسألوا عــن المــشتاق   دائـــــم الاشـــــتياق
فهـــو في نعمـــة وفي غيـــداق[1]   اصـــــطباح، واغتبـــــاق
لا مكـــدّر لـــه عـــلى الإطـــلاق   غـــــير ذا الافـــــتراق
أســـأل الله قاســـم الأرزاق   جمعنـــــا بـــــا تـــــساق
في ريـــاض نـــضيرة الأوراق   بالوفــــــا والوفـــــاق
ثــم صــلّوا عــلى النبــي الــسبّاق   فـــــوق ظهـــــر الـــــبراق
مــن سرى بــه إلهــه الخــلاّق   للطّبـــــاق اخـــــتراق
وعــلى الآل مــا أضــا الإشراق   أو تجـــــلّى محـــــاق

---

(١) الغيداق: صنعانية أي أغدق النعم.

٢٠١. الدنيا دول

سلم الأمر تسلم، ودع عنك العجل فالوقوف تحت الاحكام أولى
من علم أنّ الأقدار كانت في الأزل فهو عن حكمها ليس يخلا
والسعيد الذي إن طلع، والا نزل لا يقل[١]: "كيف" لو كان لولا
فالليالي، والايام، والدّنيا دول من طلع رآس قلعة تولّى
ما ترى البدر أحيان في برج الحمل ثم في الطرف و"القلب" يُجلا

***

يا أحباي كيف اتّخذ عنكم بدل؟ ما يجازى الذي حبّ إلاّ
فلكم في فؤاد المحبّ أرفع محل ووِدادي لكم ليس يُبلى
كم أرجّى عسى طيفكم عندي يصل أو يعود الذي مرّ قبلا
من ليالي وأيام أحلى من قُبَل في ثنايا الحبيب المشلاّ؟[٢]
حين أصبحت من ريقكم شارب عسل وعلينا طلا القرب يحلا
فيك يا خو الغزاله يليق كل الغزل ومدايح من الدر أغلا
علّقتها يد الفكر في أزكى الدّول فهو بالمدح بالشعر أولى
حسن الإسم[٣] والرأى من إن قال فعل وله القدح في ذا المعلاّ
وهو إن هز عسّال أقلامه وسل سيفها بالسطور منه تملى
وإذا رمت وصفه فهو مثل الجبل ذي بِكُل الوقار قد تحلا
دام مجده وسعده وإقباله حصل وانتظم كلّ ما له تولّى
وصلاتي على المصطفى كلّ الأمل وعلى الآل ما الذّكر يتلى

---

(١) إن طلع وإلاّ نزل: أي إذا ارتفع منصبه أو انخفض. ولا يقل: صنعانية: أي لا يعترض فلا يقول لماذا؟ أو يتعلّل بالأماني.
(٢) المشلاّ: أي المتزين بالحلي.
(٣) هو الفقيه/ حسن بن علي معوضه.

٢٠٢. قلبي وخلي

السلام الذي يهدي إليك في قدومه   عطـــر "شـــاهي" و "فــلّي"
يقصدك بالخصوص،لا ينظمك في عمومه   نظـــم جزئـــي بكــــلّي
بعدما يلثم الكفّ اساله ما علومه(١)   كيـــف فـــارق محـــلّي؟
وهو شايخبرك عمّا جرت من خصومه   بـــين قلبـــي وخـــلّي
جهّز القلب جيش الصبر يطرد همومه   فـــوق خيـــل التــسلّي
والحبيب جهّز الأشواق نحوي تسومه   مقـــصد الخـــلّ شـــغلي(٢)
والتقى القوم ضحوه يوم غابت نجومه   في القتـــام المعـــلّي(٣)
فانتصر جيش من أهوى وأمسى   جـــيش صـــبري مـــولّي
فإذا تمت اعلامه فقل: ها السّلُومه(٥)   والجمالـــه لخـــلّي
واخبر الماجد الكرّار مردي خصومه   في الـــسباق المجـــلّي
الذي قد قلع من داخل الحصن ثومه   واغـــترس فيـــه بـــصلي
أن شوقي إليه في كل ساعة فهومه(٦)   هـــو مـــن الـــشوق مـــثلي؟

---

(١) ما علومه: ما أخباره.
(٢) شغلي: يمنية الإيذاء.
(٣) ضحوة يوم: في وقت الضحى. والمعلّي: المخيّم.
(٤) بشومة: أي بشؤمه.
(٥) أعلامه: أخباره و "هالسلومه" لهجة يمنية تعني الحمد لله على السلامة.
(٦) فهومه: لهجة يمنية أي فماذا عنه هل هو مثلي؟

٢٠٣. أمسيت سهران

أهــــديت يـــا طيـــب الانفـــاس   روائـــح المـــسك مـــن بـــدري[١]
أذهبـــت عنّـــي جميـــع البـــاس   يـــا طيـــب وقتـــي، ويـــا فخـــري[٢]
أهـــلا وســـهلاً، وفـــوق الـــراس   بعرفـــــك الطيّـــــب العطـــــر
لا لـــوم إن بحـــت بـــين النـــاس   بالحـــبّ، أو نحـــت كـــالقمري

***

طوّقـــت جيـــدي بـــما أوليـــت   فهـــا أنـــا بالثنـــا ســـاجع
ملكـــت رقّـــي ومـــا أبقيـــت   للقلـــب يـــا مـــالكي شـــافع
فالقلـــب بيتـــك وربّ البيـــت   لملكـــــه الحـــــايز المـــــانع
إذا دنـــا نحـــوه الخنّـــاس   أتبعتـــه الـــشهب مـــن ذكـــري

***

لـــولاك يـــا مـــن ســـلب حِـــسّي   والعقـــل حـــسنه وإحـــسانه
مـــا لمـــت في شـــوقها نفـــسي   إلى "المـــصلّى"[٣] وغزلانـــه
ولا تكـــدّر صـــفا أُنـــسي   بـــذكر عهـــده وأيمانـــه
وأمـــسيت ســـهران في وســـواس   حـــيران في مهمـــه الفكـــر

***

فبـــالعهود التـــي حُلّـــت   محـــل سرّي وأشـــجاني
وعقّـــدتها فـــما حلّـــت   كفّـــك؛ ومـــالي ولـــك ثـــاني[٤]

---

(١) من بدري: أي مبكراً أو في الصباح الباكر.
(٢) الفخري: لقب كل من اسمه عبدالله.
(٣) المصلّى: قرية خارج مدينة رداع مشهورة بالجمال.
(٤) مالي ولك ثاني: أي لا ثالث لنا.

جـــدّد بلقيـــاك مـــا أبلـــت كــف النــوى، واطلــق العــاني،
واروي ظــما مهجتــي مــن كــاس الوصــل، واشرح بهــا صــدري

***

وابلــغ صــلاتك شــفيع النــاس لــــديك في موقــــف الحــــشر
وآلـــه الـــسّادة الأكيـــاس ويــــدّل العــــسر باليــــسر

٢٠٤. دوا القلب السقيم

يـــا مـــن عـــلى احبابـــك منعـت الوصـل في الليـل البهـيم
قـــد كـــان جنِتّـــا بـــك وكـــم بتنـــا ليـــالي بـــك نهـــيم
وقـــد ولعنـــا بـــك وذلحـين[١]، يـادوا القلـب الـسقيم
إن شـــــئت أحبابـــــك نقـول: العفـو مـن شـان الكـريم
شـــــاجي[٢] إلى بابـــــك قريـــب وإن مـــا تـــشانا يـــا وســـيم
واقـــــل لحجّابـــــك قلــوا لِلــسِّيد هــذا بــه غــريم
قـــد جـــا إلى بابـــك وقـــد اقـــسم بمـــولاه العظـــيم
مـــا ســـار إلا بـــك[٣] ولــو يجلــس ســنة هانــا مقــيم

***

مـــا قـــد فعلنـــا بـــك؟ أتمنعنــا وصــالك يــا وســيم؟
حِـــنْ قـــد ظفرنـــا بـــك وهـذا القـصد يـا ظبـي الـصريم[٤]
يـــا فـــاتح أبوابـــك صــلاتك تبلــغ الطّهــر الكــريم

(١) ولعنا: ألفناك وتولعنا بك؛ وذلحين: أي والآن.
(٢) شاجي: سأقبل، أو فسوف آتي. وما تشانا لهجة يمنية أي وإن لم تردنا.
(٣) ما سار إلا بك أي لن يعود إلا بصحبتك.
(٤) حن قد صنعانية أي يكفينا أننا، والصريم القطعة من معظم الرمل.

٢٠٥. فتان حالي

قالوا وجد في "أزال" شادن صغير من[1] ... فتان حالي القبلْ
فقلت بالله تقولوا لي بأي المنازل ... البدر هذا نزل
قالوا بسعد السعود طالع وفي القلب ... وفي هواه لم نزل
نهيم في قدّه الميّاس بين الغلايل ... وما شفينا غلل
فقلت قدّه - فداه الروح - مثل العواسل، ... قالوا وريقه عسل
فقلت: كم ذا الحلا والشهد في الثغر ... قالوا وإن شئت سل[2]
من لحظ عينيه ماضي حدّ، مسموم قاتل ... فقلت: كم قد قتل؟
قالوا: عوالم؛ وكم له في المشاهد جمايل ... أفنى عوالم جمل[3]
فقلت: يا ناس ما جهدي لشادن مقاتل ... شاهر سيوف المقل؟
قالوا: فصوته يرد الروح، واللّطف ... والسر ذا قد حصل
فقلت: يرحب على العينين واعزّ ... ساعه وقد ذا[4] وصلْ
وَصَلْ، وسلَّم وما كلَّم سوى صَبْ ... خصرِه لجسمه نَحل
فقلت: بالله غني لي بحالي الشمائل" ... لأن لطفك شمل
فقال: تسخى بقلبك قلت إذا انت قابل ... فشل قلبي، وشل
صوتين تسحر عقول الخلق ما سحر ... والعود، والطار، بل.
ما صوت "إسحق" ما سجع الهزار ... خلاّني أرها وبل[5]

---

(١) بلاد "القبايل": عزلة من ناحية الحيمة الداخلية.
(٢) سلّ: انتضى السيف من لحظ عينيه في البيت التالي، وسايل: ذائب.
(٣) عوالم: صنعانية تعني أناساً كثيرين. وجمايل أي لا تحصى.
(٤) وقد ذا: أي وحالاً.
(٥) اسحق:إسحاق الموصلي، وأرها: لهجة يمنية يعني أذوب. والوبل: العشب الأخضر.

٢٠٦. نال العنا

من قد ملك في روضة أحمد عنب	بقى مشعبك في حباله[١]
يحتاج هيجه في (تهامه) سلب	سره، وللقدّه إطاله[٢]
قد زادت المرنع، وزاد التعب	ها الخزع رُبُع مرنع عجاله
والبير قد نزّت، وماها نضب	والمحل كاين، لا محاله[٣]
ها عجل المسرى لمسر الخلب[٤]	واسأل من الله الجماله
حتى تخال الماء حوله حبب	مثل القمر في وسط هاله
فاشرب وسقي لاعدمت الطرب	نلت الذي ما حّد[٥] يناله
وبعد ذا فالمرخ[٦] قالوا وجب	لا بد للزيل من إزاله
وغاية المحصول مبزد[٧] عنب	أصفر طري مثل الذَّباله
وهكذا الدنيا محلّ النّصب	أشغال ما فيها إقاله
نال العنا من للمنى قد طلب	فيها وما تمّ المنى له
ومن تركها نال أقصى الأرِب	فيها وفي الأخرى جزاله
إن الفنا محصولها فالعجب	مّمن جعلها رأس ماله
فاسأل من الرحمن نيل الأرِب	وأن يعجل بالإقاله
ويرسل الأمطار مثل القرب	فما لنا إلا سؤاله
وأن يبدّل محلنا بالخصب	بالمصطفى الهادي وآله

(١) شعبك: صنعانية أي خلط الخيوط أو الحبال بعضها بعض.

(٢) الهيجة: الغابة، السّلب: الحبل . السرة: الحبل الذي يتم الإلمام به .القدّة: الخشبة التي يربط بها الحبل.

(٣) نزت الماء: جفّ.

(٤) مسر البير: إخراج ما فيها من ترسبات.

(٥) ما حّد: أي لا أحد.

(٦) المرخ: تمهيد الأرض للزراعة.

(٧) المبزد: اليسير من الشيء.

٢٠٧. الهوى بلوى

إذا عاتبــــت مـــن أهـــوىٰ　　عـــلىٰ طـــول النـــوىٰ
نفـــر عنّـــي ولا يقـــوىٰ　　عـــلىٰ بـــثّ الجـــوىٰ
فــــأقطع درة الـــشكوىٰ　　واطـــوي مـــا انطـــوىٰ
وأصـــبر والهـــوىٰ بلـــوىٰ　　عـــلىٰ أهـــل الهـــوىٰ

***

فـــشكوىٰ علتـــي توذيـــه　　وصـــــبري يوهمـــــه
وتـــرك العتـــب فيـــه مـــا فيـــه　　وعتبــــــي يؤلمـــــه
ويتجنـــــىٰ؛ فأســــتعفيه　　فــــآهي مــــا اظلمـــه
فمــــن يـــسمع لي الـــدعوىٰ　　صـــــواب، وإلاّ غـــــوىٰ

***

عـــلىٰ مـــن في الهـــوىٰ أشـــكي　　واشرح قـــــــــصتي
وأبكــــي لــــه؛ فيـــستبكي　　ويـــــرحم عـــــبرتي
ويعــــذرني عــــلىٰ هتكــــي　　ســـــتاير عـــــشقتي
ســـواك يـــا عـــالم النجـــوىٰ　　وهـــل لـــك مـــن ســـوىٰ؟

***

لأنّـــك تعلـــم المكتـــوم　　مـــن الـــسرّ المـــصون
وتكـــشف كربـــة المهمـــوم　　وقـــد خابـــت ظنـــون
وتـــسمع دعـــوة المظلـــوم　　وماشـــــيته يكـــــون

٢٠٨. لي خلّ مثل القمر

لي خـــلّ مثـــل القمـــر كامـــل ضـــياه

مـــن مقلتـــه يـــا أمـــان الخـــايفين

عـــلى صـــدوده عـــلى كثـــرة نـــواه

عـــلى جفـــاه يـــا معـــين الـــصابرين

بعيـــد كالبـــدر طـــالع في ســـماه

إلى لقـــاه يـــا دليـــل الحـــائرين

وإن تثنـــى قوامـــه مـــن حـــلاه

أقـــول أنـــا: يـــا مقيـــل العـــاثرين

شاشـــكر فعالـــه ولـــو أعـــرض وتـــاه

فـــالله تعـــالى يثيـــب الـــشاكرين

واســـأل مـــن الله يعجّـــل لي لقـــاه

فهـــو كـــريم مـــا يـــرد الـــسائلين

ومـــن مكـــر بيننـــا، واظهـــر دهـــاه

في الهجـــر فـــالله خـــير المـــاكرين

فانـــا عـــلى العهـــد بـــاقي في حمـــاه

ولـــو نهـــوني جميـــع العـــاذلين

قـــصدي مـــن الخِـــلْ نتحـــاكى شـــفاه

لأجـــل نعـــرف كـــلام الكـــاذبين

فحـــين وعـــى الخـــلّ مـــن صـــبّه شـــكاه

مـــن طـــول هجـــره، وكثـــر اللائمـــين

وايقـــــن[1] بـــــأني مـــــلازم في هـــــواه
ولــــيس مــــثلي جميـــع العاشــــقين
ســـــمح بلقيـــــاه، روحــــي لـــــه فـــداه
وكنـــت بالوصـــل خـــير الفـــائزين
وأصـــــبح الكـــــأس في كــــفّ الــــسقاه
دايـــر عـــلى رغـــم أنـــف الحاســـدين
والعـــــود يـــــنفح، ويطربنـــــا غنـــــاه
بـــصوت يـــشبه كـــلام النـــاطقين
وتـــــمّ لي مــــــا أريــــــده مــــن لقـــــاه
فالحمـــــــــد لله ربّ العـــــــــالمين
ونخــــــتم الــــــنظم هـــــذا بالــــصلاة
عـــلى محمــــد شـــفيع المـــذنبين
وآلــــــه الغــــــرّ والـــــصّحب الهــــداة
ممّـــن نظـــم أو ســـمع في كـــلّ حـــين

٢٠٩. تباريح الهوى

مــا الحــب طبعــك يــا مطــوق	خــلّ الهــوى لأهــل الهــوى
أيـــن شـــاهد الـــدمع المـــصدّق	عـــلى تبـــاريح الجـــوى؟
لا تـــدّعي مـــا لـــيس بـــالحق	لا والنبـــي مـــا احنـــا ســـوى

(١) وأيقن: أي وتأكد وأيقن.

قلبـــي إلى الأحبـــاب أشـــوق   والـــدّمع يـــدي مـــا انطـــوى

***

مـــا زلـــت للأشـــواق كـــاتم   حنـــت عليهـــا أضـــلعي

حتـــى لمـــع في روض حـــاتم   بـــارق ففاضـــت أدمعـــي

حيّـــا الحيـــا تلـــك المعـــالم   وتـــرب باديهـــا رعـــي

ميطـــت بهـــا عنـــي الـــتمائم   وكـــان فيهـــا مرتعـــي

***

شكوى لسفح "البير"[1] شكوى   مـــنكم إلـــيكم فاعـــدلوا

قالـــت فـــؤادي لـــيس يقـــوى   عـــلى نـــواكم واســـألوا

قـــد كـــان لي في القـــرب رجـــوى   فكيـــف عنـــي ترحلـــوا

وكنـــت للأحبـــاب مثـــوى   مـــن حيـــث شـــئتوا إدخلـــوا

***

مـــن بعـــدكم يـــا كـــل الوطـــار[2]   قـــد أوحـــشت تلـــك القـــصور

كنتـــوا لنـــا في ســـوحها اقـــمار   وفي لياليهـــا بـــدور

وكـــم لنـــا فيهـــا مـــن اخبـــار   فاحـــت بـــأنواع الـــسرور

لا باعـــد الله بيننـــا دار   ولا خلـــت مـــنكم دهـــور

---

(١) "البير": يقصد منطقة بئر العزب.

(٢) الوطار: جمع وطر.

٢١٠. خالف النفس

القياس[١] تفعلوا لكم غفوه   القياس، القياس
انقضى دهرنا على سلوه[٢]   بالكرى، والنعاس
منسدح[٣] في مراقد الشهوه   عند ظبي الكناس
وأنقضى يوم، وابتدا غدّوه[٤]   وعلى ذا يقاس

***

فابلغ الجهد وابذل الموجود   كم مسوّد يسود
قد يصل من يشا إلى المقصود   في وثيق القيود
وعسى أن تهب ريح الجود   من إله الوجود
ربما العير يسبق الفلوه[٥]   بعد طول المراس

***

لو تجرّد حسامك المفلول   من قراب الفصول
كنت أنت الرئيس في المعقول   بل إمام النّقول
فالشفا في الأصول والمحصول[٦]   لا يفيد الوصول
خالف النفس تبلغ الذروة   في بيوت "الأساس"[٧]

---

(١) القياس: باللهجة اليمنية تعني الأفضل والأولى.
(٢) سلوة: باللهجة اليمنية تسلي وتلهّي.
(٣) منسدح: أي مضطجع.
(٤) غدوة: غداً.
(٥) العير: الحمار. والفلو، والفلوة: المهر والمهرة.
(٦) الشفاء: لابن سيناء.
(٧) الأساس: كتاب للإمام القاسم بن محمد في أصول الدين.

***

أنـــت للـــنفس بـــاذل الطاعـــه   معتنـــــــي، مفتـــــتن
لا تخـــالف مرادهـــا ســـاعه   أو عليهـــــا تـــــزن[1]
فـــارتفع وانهـــض مـــن القاعـــه[2]   وعليهـــــا اســـــتعن
واســـأل الله يغفـــر الهفـــوه   واكثـــــر الاقتبـــــاس

***

محـــسن[3] الافتقـــار إلى مغنـــي   لا يمـــــلّ الـــــسماح
واســـع الجـــود، دائـــم المـــنّ..   في المـــسا والـــصباح
لا تعـــوّل عـــلى ســـواه تجنـــي   مـــن ثـــمار النجـــاح
روض جـــدك لمنتهـــى الـــشهوه   لا ريـــاض الغـــراس[4]

***

شـــمّر الـــذيل للـــسّرى واســـمع   للـــــصريح الـــــسميع
واشـــهر الـــسيف للعـــدا وامنـــع   عـــن حمـــاك المنيـــع
تبلـــغ المجـــد والعـــلا أجمـــع   والمقـــــام الرفيـــــع
وتنـــال المنـــى فكـــم غـــزوه   أذهبـــت كـــل بـــاس

***

مـــن مـــشى للنـــزال إذ يُـــدعى   نـــال أجـــر الجهـــاد
وأرى جملـــة العـــدا صرعـــا   تحـــت ركـــض الجيـــاد

---

(١) يلوم يعتب زن يزن زنا: تشدّد، لهجة يمنية.
(٢) القاعة: الحضيض.
(٣) مَحْسن: تنطق هكذا في صنعاء، أي ما أحسن.
(٤) اسم منطقة في ضواحي صنعاء.وفيها جامع المهدي أحمد بن الحسن.

لا تغــــرّك نـــضارة المرعـــى | في وطــــــــيّ المهـــــــاد
فاعقــد العــزم وانقــض الحبــوه[1] | واكــــــــشف الالتبـــــــاس

***

ثــم صـــلّي عـــلى النبـــي الأكـــرم | نـــور شــــــمس الهـــــدى
الـــذي بـــالعلا بـــه يختـــتم | ويـــــــــه الابتــــــــدا..
الـــشفيع المـــشفّع الأعظـــم | مــــن بــــه الاقتـــــداء
وكــــذا الآل صـــفوة الـــصفوه | منبــــــــع الاقتبــــــاس

٢١١. حادي العيس

حادي العيس قف بالربع نقضي حقوقه | لــــــه علينــــا لـــــوازم[2]
كم رأى الطّرف في هذا الحِما ما يروقه | مــــن زهـــــور الكمائـــم
ورأى كل، غيد كالقمر في شروقه | عاقــــــــده للـــــــتمايم
والصّبا من شذى تلك الرياض الأنيقه | قـــد أتـــى وهـــو ناســـم[3]
واينعت فيه دوحات الوصال الوريقه | فلـــه الظـــلّ دايـــم
ينهمي كلّما لاحت لعيني بروقه | مــــن عيـــوني غمايـــم[4]
والبكا فيه ترويح النفوس المشوقه | مــــن ســـجوع الحمايـــم
يا أحباي حمل البين ما لا أطيقه | وإن حملــــت العظـــايم
فابعثوا لي إذا عزّ اللقا بالحقيقه | في هبــــوب النـــسايم

---

(١) الحبوه: حالة الاسترخاء.
(٢) لوازم: أي واجبات.
(٣) ناسم: صنعانية: هادي، ومرتاح.
(٤) ينهمي: صنعانية: ينهمر، والغمائم هنا يعني مطرها.

وأنت يا قلبي، إقرع باب رب الخليقه فهـــو بالـــسرّ عـــالم
وأسأله جمع خلانك، وخذ بالوثيقه مـــن إلـــه العـــوالم
كيف تطلب رضا غيره وتنسى طريقه يـــا كثـــير الجـــرايم؟
فالبدار البدار الركب قد زمّ نوقه وأنـــت في الربـــع نـــايم
وإن تراخيت بعد الآن فاتك لحوقه[1] فـــاعزم إن كنـــت عـــازم
رب صلي على من جاءنا بالحقيقه وعـــلى الآل دايـــم

٢١٢. بخلت بالوصل عنّا يا شرود

بخلـــت بالوصـــل عنّـــا يـــا شرود
أخطـــأت والله في بخلـــك عـــلي
ســـمعت في مغرمـــك قـــول الحـــسود
أســـأت يـــا سِـــيدِ في فعلـــك إلي
إن بِـــهِ خَطِيَّـــهْ[2] ومِثْلـــك مـــن يجـــود
بـــالعفو عمّـــن جنـــى جهـــلا وغـــي
ابـــديتها لي، وراســـك مـــا أعـــود
هـــذا إذا كانـــت الحجـــه لـــدي
وإلا فشاقـــسم بمـــن صـــاغ الخـــدود
مـــن حُليـــة الحـــسن لا أعلـــم بـــشي
مـــن علمـــك - لا ســـقي - خلـــف الوعـــود؟
غـــرّر بـــزوره[3] فـــما في الوعـــد لي

(١) اللحوق: اللّحاق قبل فوات الأوان.
(٢) إن به: تعبير صنعاني معناها إن كان هناك.
(٣) "غرّر بزوره" هكذا في الأصل وفي نسخة "عزّز بزوره".

وبيننـــا يـــا منـــى قلبـــي عهـــود
طويتهـــا بـــاطن الأحـــشاء طـــي
أحرقـــت قلبـــي بنـــيران الوقـــود
كـــويتني يـــا رشـــا بـــالهجر كـــي
أوحـــشتني بعـــدِ بُعـــدك بالـــصّدود
حتـــى ظننـــت أن مـــا في الأرض حـــي
والآن يـــا غـــصن مثمـــر بـــالنهود
إن كـــان لـــك شـــفّ[1] أو رغبـــه إلي
بـــادر بوصـــلك ونفعلهـــا حـــدود
نلـــوي حبـــال الجفـــا ســـبعين لي
جـــي كيـــف مـــا أمكـــن ولا تلـــبس عقـــود
شـــمايل الحـــسن تغنـــي عـــن حـــلي
مـــا عنـــدنا الا غنـــا مزهـــر وعـــود
يفـــوح مـــن عرفـــه العبّـــاق ري[2]
ونـــسأل الخـــالق الفـــرد الـــودود
يغفـــر لنـــا يـــا حبيبـــي كـــل شي
بجـــاه خـــير الـــورى زاكـــي الجـــدود
المجتبـــى للرســـالة مـــن قـــصي
صـــلى عليـــه الالـــه مـــا اخـــضرّ عـــود
أو لاح بـــارق عـــلى كثبـــان طـــي

(١) إن كان لك شف: الشفّ الميل والهوى لهجة يمنية.
(٢) الريّ: الريح الطيبة.

٢١٣. يا من بخل بالوصال

يا من بخل عن مغرمه بالوصال ... وأبدى عن اللقيا معاذر
أعذار مقبولة على كل حال ... عندي؛ وقلبي غير عاذر
لأنّ أشواقه تذوب الجبال ... من بعضها، والوجد ثاير
وكم عذلته قال: هذا محال ... "غيري على السلوان قادر"(١)

***

الصبر إلاّ عن لقاهم جميل ... قلبي لغير الهجر قابل
شاصبر وإن كان التلاقي قليل ... الطل منهم مثل وابل
أما الاياس(٢) منهم فشي مستحيل ... يقنع بهذا كل عاذل
"يا شوق دم "يا ليل طل" في الليالي ... "إني على الحالين صابر"(٣)

***

حجبت عن عيني زهور الكمام ... والدرّ من تلك المباسم،
وَمَيَّلتْ قَدَّك بِزُور الكلام ... يا غصن أقوال اللّوايم
ما شئت فافعل أنت أقصى المرام ... وحبي الحب الملازم
أشكو"وأشكر" منك هذا الفعال ... "فاعجب لشاكٍ منك شاكر"(٤)

---

(١) " غيري على السلوان قادر" مطلع قصيدة لابن الفارض وتتمية البيت "وسواي في العشاق غادر".

(٢) الأياس: اليأس.

(٣) تضمين بتصرف لبيت ابن الفارض.

يا شوق دم، يا ليل طل ... إني على الحالين صابر

(٤) وفي هذا البيت تضمين لبيت ابن الفارض أيضاً والأصل:

فاعجب لشاك منك شاكر

***

ماذا على الأحباب لو واصلوا　　بالكتم عن عين المراقب
ما كان ظني أنهم يبخلوا　　بالوصل في جنح الغياهب
ويسمعوا منّي ولا يقبلوا　　فوصلهم أقصى المطالب
أبث أسراري لهم في الليال　　"والله أعلم بالسرائر"[1]

***

منعت عن مضناك حتى الكتاب　　وكل أنسي في كتابك
لأنني أذكر سماع الخطاب　　حين كان يطربني خطابك
وأرتشف من كاس لفظك شراب　　مختوم في مهرق[2] جوابك
والله يجمع شملنا في آزال　　لا زال فيها المزن هامر

٢١٤. السعادة الخالدة

الرضا بالقضا مرهم لقلب المكلّم[3]　　من سهام النوائب
والسخط والجزع مقرون بالهمّ والغم　　وانتظار المصايب
عهدتك[4] فعل ما اوجب وترك المحرّم　　كن عليها مواضب
واترك الأمر والتدبير لله واعلم　　إن له أمر غالب

***

(١) عجز بيت لابن الفارض وهو:
لي في الغرام سريرة
(٢) المهرق: الصحيفة.
(٣) المكلم: المجروح.
(٤) عهدتك: أي عهدي بك.

ربما قد طوى المكروه فيما يسرّك ... وأنت مسرور غافل
أو طوى الخير فيما منه قد ضاق صدرك ... وأثار البلابل
فإذا كنت لا تدري بنفعك وضرّك ... فالقلق منك باطل
سلّم الأمر للمولى ولا تكثر الهم ... واطرح الهمّ جانب[1]

٢١٥. بين صديقين

ليتك تراني إذا جنّ الظلام ... أدور حول المنازل كي أراك
واسأل رسولي فهو عنده كلام ... يخبرك ما قد جرى لي في هواك
الجسم ناحل وطرفي لا ينام ... وليس قصدي من الدنيا سواك
إذا شرى البرق ازداد الغرام ... ويعطّر الريح من عاطر شذاك
وإن سمعت البلابل والحمام ... تسجع بألحانها فوق الأراك
ذكرت إخوان كانوا في النظام ... من فوق برج الثريّا والسماك
إذا جرى بينهم علم الكلام ... أو خاضوا اليمّ تُكفى ما عناك
وإن تعاطوا سلافات النظام ... ما "البحتري" عندهم إلاّ شراك
أوصافهم في المعالي لا ترام ... فليس لي عن هواهم من فكاك

٢١٦. سلام يا من رحل

سلام يا من رحل عن أرض "سام"[2] ... وما رحل غير قلبي من هواك
إن قلت أنسى فقد صحّ الكلام ... أو قلت راحي وروحي فهو ذاك

(١) يظهر أن هذه القصيدة الرائعة طويلة إذ قال جامع الديوان بعد البيت الأخير "سلم الأمر" الخ تمت وهذا الموجود منها الآن.
(٢) أرض سام: يعني "صنعاء" وفي نسخة طإير قلبي من هناك".

تكـدّر الـصّفو مـن طيـب المقـام عنّـــي ومـــا كـــدّره إلاّ نـــواك
فارقتنـــا فـــانتثر ذاك النظـــام وأي نـــاظم لمشـــوره ســـواك؟
في حـــال يقظـــه وفي حـــال المنـــام والكـــاس دايـــر علينـــا مـــن ثنـــاك
مـــا غبـــت إلاّ بجـــسمك والـــسلام واســـأل مـــن الله يعجّـــل لي لقـــاك

٢١٧. فوج الصّبا

هـــــات يـــــا فـــــوج الـــــصّبا مـــــا تحمّلـــــت اليـــــوم
شي خـــــبر؟أو شي نبـــــا؟ كيـــــف فارقـــــت القـــــوم
بـــــدر شـــــعبان اختبـــــا ويـــــدا شـــــهر الـــــصّوم
وفـــــــؤادي في الرّبـــــــا حـــــال يقظـــــه، أو نـــــوم

***

هـــــات وقـــــف لي قليـــــل أنـــــت ضـــــيف اللّيلـــــه،
وتقيـــــــل فالعليـــــــل يـــــــستريح في القيلـــــــه
والـــــذي مـــــا لـــــه خليـــــل كـــــالألف لا شي لـــــه
كـــــم ننـــــاظر في الجبـــــا أو نـــــرى حتـــــى غـــــوم

***

أو عـــــسى علـــــم، أو خـــــبر نـــــسمعه عمـــــن غـــــاب
والحـــــشاشة لـــــه مقـــــر مـــــا عليهـــــا بـــــوّاب
والمعنـــــى بـــــالفكر مـــــرّ عيـــــشه مـــــا طـــــاب
فِـــنْ يكـــن عنـــدك نبـــا هـــات لا تخـــشى اللـــوم

***

وانـــت عـــاد عهـــدك قريـــب ... يـــــا نـــــسيم بـــــالخبره

فـــــاروي العلـــــم المـــــصيب ... لا تخـــــــــلّي فكـــــــــره[1]...

إنّ ذكـــــــــرك للحبيـــــــــب ... للعيـــــــون فيـــــه قـــــرّه

هـــات عـــن أهـــل الخبـــا[2] ... ذكـــــرهم يـــــصغي حـــــوم

***

أيـــن هـــم؟ كيـــف اصـــبحوا؟ ... كيـــــف تلـــــك الأخـــــلاق؟

مـــا ذروا؟ مـــا روّحـــوا؟[3] ... مـــــا رعـــــوا مـــــن ميثـــــاق

أو عـــــــساهم يمنحـــــــوا ... لـــــك بوصـــــل المـــــشتاق

مرحبـــــاً.. يـــــا مرحبـــــا ... أي ســــــاعه في يــــــوم؟

***

وإن مـــــــرادك في القعـــــــود ... مرحبـــــاً فـــــوق العـــــين

شـــــــاتروّح بـــــــالبرود ... ن هبوبـــــــك اثنـــــــين

وإن يكـــــن قـــــصدك تعـــــود ... للّقـــــا بعـــــد البـــــين

شـــــلّ لي تيّـــــه جبـــــا ... نحـــــوهم قبـــــل الـــــصوم[4]

٢١٨. ردّ التحيّة

علـى الـصّفي منّـي يعـود الـسلام ... مـــا نـــاح فـــوق الغـــصن طـــاير

---

(١) لا تخلّي: لهجة يمنية أي لا تترك ولا تبقي، والخبرة: الأصحاب.

(٢) الخبا: البيت ولم أتمكن من قراءة العجز قراءة صحيحة.

(٣) ماذروا؟ : ما زرعوا؟. وما روّحوا: أي وماذا حصدوا.

(٤) "جبا" : تعني الهدية أو العطاء.

سلام يحكي لطاف ماء الغمام ... إذا همـا في الـروض بـاكر
ومن نسيم الروض أهدي الخزام ... وهـبّ في الأكـوان عـاطر
من بعدما لاحت زهور الكمام ... وطـاف في تلـك المنـاظر
من بعد ما وافى اليّ النظام ... بقيـت في معنـاه حـائر
هل هو حلال؟ أو خمر شربه حرام ... للمستمع؟ أو سحر ظاهر؟
وافى فأهدى للجميع السلام ... وعـمّ غايـب ثـم حـاضر
فقلت هذا من بديع الكلام ... وكـم تـرك أول لآخـر
خذوا عقود الدرّ بالاقتسام ... لكـلّ واحـد عقـد فـاخر
ويقسم القاضي علينا السهام ... سبعه كبار من غير قاصر
ويضرب القرعه إذا به خصام ... ويعـد هـذا من يشاجر؟
وما قضى فالخير فيه للأنام ... لا شـك في هـذا النـاظر
ونسأل الله الرضا والسلام ... عليك من حامد وشاكر
والجمع في الأخرى بدار السلام ... والمغفره من خير غافر
صلّوا على المختار خير الأنام ... وآلـه الغـر الزواهـر

٢١٩. كحيل الرواشق

أي حين باللّقا يا سيد أحظى وأرزق ... من إلـه الخلائـق
وانظرك وأنت مثل البدر بل وجهك ... يـا كحيـل الرواشـق
واسمعك حين تخاطبني؛ وتسلى، ... وأخـبرك بالحقـائق
واعلمك أن قلبي من فراقك محرّق ... والمنـام صـار طـالق
وان تكذِب شكا مضناك فاللدمع أصدق ... إسـأله فهـو صـادق

واسأل القلب هو عندك ومنه تحقّق ... فهــــو مـــــسكين شـــــايق
يخبرك أن دمع العين قد صـار مطلـق ... للـــــــــــداري يــــــــسابق

٢٢٠. قرب الله بين المحبين

قــرّب الله بــين المحبــين الــديار ... وقمــع بــالمنى شــوكة اليــاس
ونظم شمل من كـان عاشـق بـالمزار ... وجمــع باللقـــا بـــين الاجنـــاس
فالهوى دق معناه عن كـشف الخـمار ... مــا عــرف بــالهوى أكثــر النــاس
من تشكى من الحب قالوا ذا هـدار[1] ... عنــدنا معظــم الحـــب وســـواس
والهـوى في فـؤاد الـذي يهـواك نـار ... إنـــما يـــدرك النـــار حـــساس
قـل لمـن لام: لـو أنّ خمـر الحـبّ دار ... وارتـــشفته مـــن اللّحــظ في كـــاس
أو رأيت القـوام المهفهـف منه طـار ... ذا فـــؤادك عـــلى غـــصن ميّـــاس
صرت سكران يا صاح مسلوب الوقـار ... لــيس في ســكرة الحــب مــن بــاس
وجعلـت الهـوى والـصبابة لـك شـعار ... مكتفـــي عـــن نـــدامى وجـــلاّس
وعـذرت المحبّـين في خلـع العـذار ... ثـــم ناديـــت بعـــد الـــتّحمّاس
يـا أحبـاي مـالي عـلى البـين اصـطبار ... شرّفـــوني عـــلى العـــين والـــراس
لـيس لي هـوى سـاحر الطـرف اقتـدار ... لـــين الله لي قلبـــه القـــاسي
عـزّه الحـب يـا لائمـي في الانكـسار ... فــاطرح في الهــوى غــير مبتــاس[2]
لا تطيـل الملامـه فـترك الحـبّ عـار ... عنـــد كـــل الميـــامين الأكيـــاس
والصلاه والـسلام تغتشى خـير الخيـار ... أحمـــد المـــصطفى ســـيّد النـــاس

---

(١) هَدار: كثير الكلام.
(٢) غير مبتاس: أي غير حزين أو خائف.

٢٢١. الجمال اليوسفي

يــــا ذا الجـــــمال اليوســـــفي　　طلعـــة جبينـــك سرّت النـــواظر
بنـــــور وجهـــــك يــــشتفي　　مــن لوعــة الأحــزان كــل خــاطر
حـــين كنـــت عنـــي مختفـــي　　قــد كــاد قلبــي أن يكــون طــاير
وصـــالك اللطـــف الخفـــي　　وفرجـــة الهـــمّ الـــذي أُحـــاذر

* * *

سرور عينـــــي أن تـــــراك　　وأنـــت ريحـــاني وكـــأس راحـــي
مـــا لــــــذّ إلا في هـــــواك　　هتكـــي لـــستر الحـــب واطِّراحـــي
لمـــــا تـــــأرج لي شـــــذاك　　تعطّـــرت مـــن عرفـــه النـــواحي
نــــواك عنّــــي متلفــــي　　ونـــور وجهـــك قـــرة النّـــواظر

* * *

أقـــسم بتفـــاح الخـــدود　　وبـــالعقيق المحتـــوي عـــلى اللـــول
ومــــا بخـــدك مـــن ورود　　تحميـــه ألحاظـــك بـــسيف مـــسلول
مـــا خنـــت في حبـــك عهـــود　　ولا بـــدا لي فيـــه عقـــد محلـــول
إنّي أنــــا الخــــل الــــوفي　　غـــيري عـــلى تـــرك الغـــرام قـــادر

٢٢٢. صفاء ودِّي

بـــــالغرب مـــــن صـــــنعا　　ســـقى الله ســـفحها صـــوب الغـــمام
غـــــزال كـــــم يرعـــــى　　صــــفا ودّي ومـــا يرعـــى الـــذّمام
والقلـــــب كـــــم يــــدعى　　فيلقـــي نحـــو داعيـــة الزّمـــام

والــــدهر كـــم يـــسعى بحِـــدّه.. بيننـــا بالإنـــصرام

***

ســـــمح بإشراقـــــه علينـــا بعـــض ليلـــه واختفـــى

فليـــــت مـــــشتاقه قـــضى أو ليـــت لا كـــان الجفـــا

مــــالي عليــــه طاقــــه ولا للعـــيش في العـــشقه صـــفا

كـــم مـــن عقـــول صرعـــى بكـــاس الحـــب ماســـفت مـــدام

***

ترشّـــــفت بـــــالعين خمــر الـــودّ مـــن كـــأس العيـــون

فاغتالهـــــا ســـــكرين ســـكر الحـــب في ســـكر الجفـــون

يـــا عـــاذلي مـــن أيـــن أصـــحو، والجنـــون عنـــدي فنـــون؟

قـــد لـــذّلي طبعـــا عـــذابي في هـــوى بـــدر الـــتمام

***

مـــــن روض أوصـــــافه بزاهـــي روض أخلاقـــه وصـــف

فليـــــت، إخلافـــــه لوعـــده مـــن ثـــماره يقتطـــف

وليـــــت أعطافـــــه بلطفـــه قـــد قـــضى ليتـــه عطـــف

وتـــمّ بـــالرّجعى إلى عهـــد التّلاقـــي والـــسلام

٢٢٣. دولة الحسن[١]

قضت دولة الحسن أن لا احتكام ... ولا حظّ للولهان
ومن قال لي في المحبه ذمام ... ويه في الهوى إيمان
فقد هام لكن بنفسه ورام ... يصدّق بلا برهان
فكم قد أحلّ الهوى من حرام ... وظلم الهوى إحسان
ولو كان في زمرة أهل الغرام ... نفى رؤية الأعيان
سلوني عن الحبّ إنّي إمام ... ولي بين أهله شان

٢٢٤. حب الجمال

يا لائمي في حبّ شمس النهار ... حمّلتني ما لا أطيقه
دعني فليس الحب بالإختيار ... حبّ الجمال عندي سليقه
ما حيلتي؟ والثغر بالافترار ... يجلى جواهر في عقيقه
والخدّ فيه الورد والجلنار ... يحار فكري في شقيقه
والقدّ عادل في المحبّين جار ... كالغصن في روضه أنيقه

---

(١)
وما قولكم في شجي مستهام ... عميد في الهوى حيران
ودعواه كثر الضنى والسقام ... من البين والهجران
وكان السبب باعثه للهيام ... رأى بدر في شعبان
قمر حين رأيته رمتني سهام ... رشيقة من الأعيان
فلمّا اسعد الدهر لي بالمرام ... وكان بيننا ما كان
وأيقن بأني أسير الغرام ... رجع أنكر العرفان
فما قولكم يا أهيل الهيام؟ ... أجيبوا علي الآن

فيا عـذول اسـلم، وعـش في قـرار ودع فــــؤادي في طريقـــــــه
قـد لـذّلي في الحـبّ خلـع العـذار ويـــان عــــذري في الحقيقــــه
وهــات عــاطيني حـديث العقــار ممـــزوج مــــن صـــافي رحيقــــه
ولـــيس إلاّ ذكـــر تلـــك الـــدّيار ويـــدرها الكامــــل شروقــــه
أعنـي "عـماد الـدين" [1] شـمس النهـار مــا عـــشت لا أنـــسى حقوقـــه
مذ غـاب عـن عينـي، وذكـره مـدار تـــشجي معانيــــه الرقيقــــه
الــروّض يــذكي لــوعتي، والهــزار في كـــل ســـاعه أو دقيقــــه
والــريح إن هبـت فعـرف البهــار والغيـــث إن لاحـــت بروقــــه
وكلّـــما يـــسلى فــؤادي أثـــار... لــــواعج الـــنفس المـــشوقه
لا ينطفـــي شـــوقي بغـــير المـــزار الله يـــــــسهّل لي طريقـــــــه

---

(١) عماد الدين: هو العلامة يحيى بن محمد بن عبدالرحمن صاحب كوكبان الذي أرسل للشاعر هذه القصيدة:

أشجى فؤاد الـصبّ صـوت الهـزار لمــا تغنّـــى في الحديقــــه
وردّد الحانــــه بـــصوته مـــرار من فـوق الاغـصان الوريقـه
نقـر عـلى عـوده وغنّـى، و"طـار" باصـــوات مختـــاره رقيقــــه
فقلت: هل لك خـل؟ قفـى وسـار مثـل الـذي ضـيّع رفيقـه
وخلّـف المـضنى بتلـك الـدّيار يـضل عـن مـنهج طريقـه
وقـد حمـل مـن بعـد بعـد الـدّيار مـن فرقتـك مـا لا يطيقـه
فـإن تكـن مـثلي قليـل اصـطبار ولك شـجن مـثلي حقيقـه؟
فـاعزم عـلى مـولى العـلا والفخـار إمـــام أربـــاب الطريقــــه
أعني "حسام الـدين" زاكـي النّجار مـن حـل في روضـه أنيقـه
وعرفــــه أن اللّيـــــالي القـــصار من بعد ما غاب عن صـديقه
طالـت، وبـات القلـب يـشعل بنـار فزورتـــه تطفــي حريقـــه
صـلّوا عـلى المختـار خـير الخيـار المــصطفى خــير الخليقـــه
وآلـــه والـــصّحب أهـــل الوقـــار مـن هـم لنـا عـروه وثيقـه

٢٢٥. الشوق أغلب

زارني في قميص الليل فتّان معجب ... بـــــــالجمال المحجّـــــــــب
يختفي؛ وهو مثل البدر في جنح غيهب ... كيـــــف يخفـــــى ويحجـــــب
قلت أهلاً وسهلاً بالحبيب المحبّب ... ألـــــف أهــــــلاً ومرحــــــب
بالحبيب الذي وجدي عليه قد تلهّب ... في ضــــــــلوعي فأذهـــــــب
نوم عيني ومن كدّر صفا كل مشرب ... حـــــــين ولّى وغيّـــــــب
قال: لا تشتكي جور النوى أو تعتب ... هكـــــذا كـــــل مـــــن حـــــب
والفراق الذي تشكي مقدّر مكتّب ... قـــــد قـــــضى أمـــــره الـــــرّب
قلت إن كان هذا الهجر منك مكتب ... فمتـــــى الوصـــــل يكتـــــب؟
والجفا إن حلا منّك لقلبي المعذّب ... فاللّقـــــا منـــــه أعـــــذب
كم أغالب عليك الشوق والشوق ... كـــــم وكـــــم فيـــــك أتعـــــب
كم أداري مراقب لي على كل مرقب ... لـــــيس لي عنـــــه مـــــذهب
كم أقاسي من الأهوال ما ليس يحسب ... وأنـــــت تـــــضحك وتلعـــــب

٢٢٦. طال الجفا؟

دمت تهدي له الدرّ والروض النضير ... وكـــــؤوس الطّـــــلا في بيانـــــك
تنظم الشعر تاره فما يبلغ "جرير" ... و"الفـــــرزدق" فـــــصاحة لـــــسانك
وإذا جيت بالنثر معدوم النظير ... فأنـــــت عبدالحميـــــد في زمانـــــك
أنت أسمعت إذني من الورقا هدير ... حـــــين ســـــاجلتها بافتنانـــــك
فاستجادت من النظم والنثر اللطيف ... مـــــا يهـــــزّ المعـــــاطف نـــــسيمه

فاصبحت طالعه في ذرىٰ العزّ المنيف | في "النّسا" مثل آيه كريمه
خصّها الله بالفضل والعلم الشريف | فهي للدهر زينه عظيمه
ثم للشمس صارت وللبدر المنير | ثالثه "رابعه"[1] في أوانك
يا عماد طال هذا الجفا كيف الكلام؟ | والجفا لم يكن لك بعاده
أنت مخلوق من سلسبيل الانسجام | ما على لطف طبعك زياده
إن تكن خيل شوقك براها الاهتمام | فاشتياقي إليك في زياده
ربّ صلّي وسلّم على البدر المنير | واجمع الشمل به في جنانك

٢٢٧. حمل التجافي

وافي النظام العجيب | في كل معنىٰ غريب
يسجع به العندليب | ويرتقص له حبيب
بقيت به معتني | وقلت آه فاتني
ذا الشعر يا فاتني | وذا الجناس العجيب
ما قد سمع في الأنام | بنابغة من "شبام"[2]
يهدي إلي المدام | يدبّ فيني دبيب
لله يا ذا العجب | كم قد حوىٰ من أدب
صاغ الدّراري ذهب | في ذا الغزل والنسيب
من أي حين قد شعر | وهو كثير الشّعر

---

(١) يريد "رابعة العدوية" الزاهدة وصاحبة الأبيات التي مطلعها:

أحبك حبين حبّ الهوىٰ   وحبّا لأنك أهل لذاكا

وفي الأبيات إشارة إلى أحداث لم يعللها ولا ذكر أسبابها جامع الديوان فظلت غامضة.

(٢) "شبام": سبق التعريف بها وهي من أجمل المدن اليمنية وهي ليست شبام حضرموت وإنما هي شبام كوكبان.

وهـــو حليـــف الفكـــر تدعيـــه؛ وهـــو لا يجيـــب
لا شـــكّ أن النـــديم كـــساه لطـــف النّـــسيم
أنـــا أعرفـــه مـــن قـــديم حقويـــه[1] حقـــوى عـــسيب
ذا شـــعر أو هـــو مـــدام؟ أو ســـحر، أو هـــو كـــلام؟
أو درّ أو هـــو نظـــام؟ أو ثغـــر صـــافي الـــشنيب؟
قـــم ســـقّني يـــا غـــلام مـــن خمـــرة الأنـــس جـــام
بـــاللطف والانـــسجام وكـــن لـــصوتي مجيـــب
شـــافعل لقلبـــي دوا يطفـــي لهيـــب الجـــوى
وشـــاكتفي بـــالهوا.. مـــن بعـــدكم يـــا حبيـــب
لأن نـــومي حـــرام ودمـــع عينـــي غـــمام
واشـــواق فيهـــا انـــضرام عـــسى التلاقـــي قريـــب
وأنـــت بـــين النخيـــل في ســـفح خـــاطر مقيـــل
ويـــالتلاقي بخيـــل وانـــا اعهـــد انـــك حبيـــب
بينـــذكرك يـــوم اقـــوم واتـــصورك[2] حـــين انـــوم
واضـــحك عـــلى مـــن يلـــوم أهـــل الهـــوى في النحيـــب
وعـــاد معـــي لـــك حكـــا اليـــت حقـــي وكـــا[3]...
وقـــد فعلنـــا "مكـــا"[4] فيـــه ســـفح غـــربي عجيـــب

---

(١) حقويه: الحقو: أي الخصر، والعسيب: غمد الجفر.

(٢) بينذكرك: لهجة يمنية: أي أتذكرك وأتصورك: أي وأتخيل صورتك.

(٣) وعاد: لهجة يمنية أي لا يزال لدى. والحكا: الكلام ولفظة "وكا" لغة تعني: قوي ثابت الأساس.

(٤) "مكا" يريد مكاناً من باب الاكتفاء البياني.

والجـــــوّ؛ تبـــــسر[1] غيـــــوم   الطـــــــرف فيهـــــا يعـــــوم
يزيــــــل عنـــــك الهمــــــوم   بــــالخصّ[2] وقــــت المغيــــب
فــــأي حــــين شــــايكون   وصــــال مــــزري الغــــصون؟
حمــــل الجفــــا كــــم يكــــون   عــــلى المعنــــى الكئيــــب
فقــــوم شــــدّ الجمــــل   عــــلى ســــبيل العجــــل
فــــلا يطيــــب المحــــل   الا بوصــــلك يطيــــب
حمــــل التجــــافي ثقيــــل   والــــصبر شي مــــستحيل
عــــلى فــــراق الخليــــل   والله يودّيــــه قريــــب
فــــالجوّ في "البــــير"[3] لان   وطــــاب فيــــه الأوان
بــــالورد، والأقحــــوان   واهتــــزّ قــــدّ القــــضيب
فــــالروض لا بــــس مــــروط   والنهــــر حــــول الــــشطوط
قــــد خــــطّ فيهــــا خطــــوط   الــــشكل فيهــــا عجيــــب

٢٢٨. أهلاً وسهلاً

أهــلاً وســهلاً بــالغزال الأشــنب[4]   راعــي المــسالس[5]، بــاهي المحيّــا
أهــلاً بمــن أبــدى الجفــا وعيّــب[6]   عــن مغرمــه لا غييــه عليّــا
أهــلاً بمــن هــو لي أعــزّ مطلــب   يرحــب عــلى راسي ومقلتيــا

(١) تبسر: صنعانية أي تنظر.
(٢) بالخصّ: صنعانية أي وخصوصاً.
(٣) "البير": يقصد "بير العزب" في صنعاء.
(٤) الشّنب: رقه. وبياض. وعذوبة في الأسنان، أو نقط بيض فيها - كما في القاموس المحيط.
(٥) راعي المسالس: أي صاحب المسالس التي هي من الحلي المعروفة.
(٦) وعيّب: يعني تمرّد وأعرض لغة يمنية؛

ما كنت عـارف أنّ كـل مـن حـب / يمـوت مـن أجـل الحبيـب ويحيـا
ولا عرفـــت أن المحـــب يتعـــب / مـــا كـــان هـــذا؛ والنبـــي لـــديّا
قـــد كـــان عنـــدي قلبـــي المعـــذّب / لكـــن فلـــت يـــا نـــاس مـــن يـــديا
وانـــا الـــذي مـــن شـــافني تعجّـــب / ينظـــر جـــسد روحـــي إليـــه تهيّـــا
واســـأل نـــسيم الـــصبح عنـــك إن هـــب / واحلـــف براســـك في جميـــع الاشـــيا

٢٢٩. كيف الحال بعدي؟

حـــــاوي(١) خـــــير إلـــــيكم / شرح الحـــــال فـــــيها حـــــوىٰ
مـــــا يخفـــــي علـــــيكم / يـــــا ســـــكان ذاك اللّـــــوىٰ
إنّي في يـــــــــــــــــــديكم / مـــــالي في ســـــواكم هـــــوىٰ
والخـــــــاطر لـــــــــديكم / صـــــبحي والعـــــشيّة ســـــوىٰ

***

كيـــــف الحـــــال بعـــــدي؟ / لا زلتـــــوا عـــــلىٰ خـــــير حـــــال
أمّـــــا انـــــا فعنـــــدي / شـــــوق الـــــضّاميه للـــــزّلال
مـــــا ســـــؤلي وقـــــصدي / إلاّ وصـــــــــــلكم في "أزال"
لكـــــن حـــــار فـــــيكم / فكـــــري مـــــا بقـــــي لي دوا

***

إن ابـــــديت وجـــــدي / تهتـــــو بـــــالحلا والجـــــمال
وإن أخفيـــــــــت وُدي / قلتـــــوا: صـــــدّ عنّـــــا ومـــــال
آهـــــي كـــــل جهـــــدي / ضـــــاع الحـــــول والاحتيـــــال

---

(١) الحاوي: الرسالة الملحقة ترافق الخطاب وتفصّل بعض النقاط.

قــــد شاشــــكي علــــيكم   أحــــوالي صــــواب أو غــــوى[1]

***

أنتــــوا مــــا رعيتــــوا   يــــا كــــلّ المنــــى وُدنــــا..

بــــل عبتــــوا وخبتــــوا   واصــــغيتوا إلى غيرنــــا..

واعرضــــتوا وقلتــــوا   مــــاذا جــــالكم منّــــا..

والحــــاوي إلــــيكم   فــــاطفوا بــــالجواب الجــــوى

***

إمّــــا ودْ صــــافي   وابــــدلتوا جفــــاكم وفــــا،

والإ يــــاس[2] شــــافي   والــــدّنيا عليهــــا العفــــا،

مــــا قــــد مــــرّ كــــافي   مــــن هجــــرانكم والجفــــا

كــــم شــــابقي علــــيكم   زاقــــم[3] في يــــديَّ الهــــوى

٢٣٠. الحب لا تخفى أموره

يا مـن حـوى مـن كـل حـسن جميـل   مــــا يــــدهش الألبــــاب نــــوره

مـن نـور حـسنك لحـظ عيني كليـل   أخفــــاه عــــن عينــــي ظهــــوره

حاشـا جمالـك عـن وجـود المثيـل   مــــا مثــــل هــــذا الحــــسن صــــوره

يـا سـالب العقـل الرّصـين الثقيـل   إذا تَبــــدَّى في ســــتوره

مـا حيلتـي والوصـل كالمستحيل   في ذا المحجّــــب في قــــصوره؟

---

(١) شاشكي عليكم: اشتكي لكم. و"غوى": جهل.

(٢) ولاّ ياس: وإلاّ يأساً شافياً.

(٣) كم شابقي: كم سأبقى. وزاقم في يدي الهوى: أي قابض للريح.

شـوقي إليـه دائـم وصـبري قليـل ونـــوم جفنـــي لا يـــزوره
ومـدمعي سـايل وجـسمي نحيـل والحـــبّ لا تخفـــىٰ أمـــوره
بـالله هـل لي للّقـا مـن سـبيل وهـل تـرىٰ عينـي سـفوره؟
ويـشتفي بالوصـل قلبـي العليـل ويـــشمل الـــدنيا سروره

٢٣١. وهل يعاب كامل[١]؟

مـــا اللؤلـــؤ المنـــضّد للـــنظم ذا يماثـــل
ولا الطـــلا المـــورد مـــن كـــفّ ظبـــي آهـــل
بـــاللطف قـــد تفـــرّد فالـــشهد منـــه ســـايل
لا عيـــب فيـــه يوجـــد وهـــل يعـــاب كامـــل؟

***

لطفـــه مـــزج بـــسكر في ذوق كـــل قـــاري
مـــن شـــبّهه تحـــيّر هـــــو درّ أو دراري
أو زهـــر روض مخـــضر والنهـــر فيـــه جـــاري
شرابـــه المـــبرّد يـــزرىٰ بـــراح "بابـــل"

***

هـــيج لي المحبـــه وزاد في غرامـــي
وذكـــر الأحبّـــه حتـــىٰ نفـــىٰ منـــامي

---

(١)
هـــذا القـــوام الأملـــد يمـــس في الغلايـــل
كالغـــصن إن تـــأود مـــن نـــسمة الأصـــايل

فهـــات منـــه شربـــه تطفـــي بهـــا أوامـــي[1]
وداو صـــبّ مكمـــد بـــالله –غـــير باخـــل

***

والمـــدح في نظامـــك لمـــن عـــلا مقامـــه
قـــد صـــار في ختامـــك كالمـــسك في ختامـــه
وزاد مـــن كلامـــك عـــلى الجـــمال شـــامه
عـــزّ الهـــدى محمـــد مهـــذّب الـــشمايل

***

مـــن صـــار في الـــسياده في أرفـــع المقامـــات
وخـــصّ بالـــسعاده ومنتهـــى الإرادات
مـــن ســـاعة الـــولاده حفـــت بـــه ألـــسعودات
ونـــال كـــل مقـــصد قـــد أعجـــز الأوائـــل

***

في مبتـــدأ شـــبابه ســـلّم لـــه الأكـــابر
بـــالرأي والإصـــابه وســـائر المفـــاخر
مـــن قـــال: لـــه مـــشابه فخالفـــه وخـــاطر
وإن أتـــوك تـــشهد فأشـــهد وأنـــت في حـــل

(١) أوامي: عطشي.

وقال رحمه الله تعالى: -

صـــحّ المحـــــلّ النـــــاس　　وصـحّ النـاس هـم روح المحـل
والنـــــاس هـــــم الأنفـــــاس　　وحـسن الحـال، لا حـسن الحلـل
بهـــــم يـــــزول البـــــاس　　وتبقـى الحامـضه مثـل العـسل
وشرطـــــــة الأكيـــــــاس　　مـلان موعيـت، مـا هـي شي عطـل
كـــــما اليـــــسار الـــــراس　　وإلاّ قنـــبروا يرهـــو وبـــل[1]
دولـــــة بنـــــي العبـــــاس　　كـان النـاس بهـا جمعـة دول
مـــــا يعرفـــــوا إفـــــلاس　　لـذا صـارت إلى ذلحـين[2] مثـل
كـــــان الزّمـــــان أعـــــراس　　"حريـو"[3] الـضّيف يبقى إن وصـل
ولـــــو عرفـــــت "المـــــاس"　　كـان في القـصر زينـه للـدول
واليـــــوم قـــــدوه محـــــراس　　إلى الميـدان يلقـاك الزبـل[4]

٢٣٢. المقلة الكحلا

بيـــــاض المبـــــسم الـــــدرّي　　وتوريـــــد الخـــــدود
وليـــــل الـــــشّعر إذ يـــــسري　　عـــلى لـــيم النهـــود
ونظـــــم الـــــدرّ في الثغـــــر　　وترصـــــيف العقـــــود
أقامـــــت في الهـــــوى عـــــذري　　عـــلى رغـــم الحـــسود

***

(١) "كما اليسار": عبارة صنعانية تعني لأن اليسار الذي هو الغنا والثروة هو الأصل في نعمة البشر. و"إلاّ قنبروا" من قنبر يقنبر وقنباراً أي جلس وظل؛ وهي يرهوا رهوا: أي أدار "المرهى": وهو مطحن صغيرة يطحن بها المواد اللّينة كالعجين والخضار؛ و"الوبل" العلف.
(٢) "ذلحين" لهجة يمنية أي الآن وحتى هذا الوقت،
(٣) "الحريو" في اليمن هو العريس.
(٤) قدوه محراس: أي قد أصبح ذلك القصر كالكوخ، و"الزّبل": لهجة يمنية أي الضجر والملل.

فلُـــمْ يـــا عـــاذلي أولا ... فـــما لومـــك بحـــق
وتـــرك اللّـــوم بي أولى ... لأنـــك بـــه أحـــق
فـــسيف المقلـــه الكحـــلا ... للومـــك قـــد ســـبق
وعـــذري في الهـــوى العـــذري ... منـــافي للجحـــود

***

حـــوى حـــسن الـــذي أهـــوى ... مـــن الوصـــف الحـــسن
معـــاني لم تـــزل تـــروى ... عـــلى طـــول الـــزّمن
كـــما أروي ولا أروى[1] ... أحاديـــث الحـــسن
مُـــروّي البـــيض والـــسمرا ... وخـــضاب البنـــود

***

إذا مـــا حـــال في عهـــده ... فعهـــدي لا يحـــول
وعنـــدي مـــثلما عنـــده ... وودّي لا يـــزول
وهـــذا الـــنظم لا عنـــده ... إذا صـــادف قبـــول
وصـــلى الله مـــدى الـــدهر ... عـــلى عـــين الوجـــود

٢٣٣. حار فكري

هات من أين هذا النفس يا ريح هب ... فثّنى الغصن يُسرى ويُمنى؟
والمناهل من الروض ما جت من طرب ... والحمام -حين ناح- قد تغنا
هل من الغرب قد هبّ من بير العزب ... أو من الشرق زار المعنّى
أو من الشام من نحو صعلة أو طبب ... مثل هذا النّفس ما عرفنا

---

(١) أروى: لهجة يمنية: أي لا ينطفي ظمأي.

أصـــــــبح الجـــــــوّ مـــــــن ذاك عــــــاطر
وأقـــــــــرّ العيـــــــــون النـــــــــواظر
ومـــــــــلا بالـــــــــسرور المحـــــــاجر

حار فكـري، وتـمّ التقـصّي والطلـب | وانتهـــى القـــول فـــيما علمنـــا
كلما رحّب الـروض فالمقـصد وجـب | وســـــواها إلى القــــصد أدنــــا
والخـواطر عـلى البـال بـارق أو مـضا | وانقــضى مثــل مرتــاع عجــلان
كلـما غـاب تـسكن، وتمـشي إن أضـا | فهـــي مـــا بـــين مـــاشي وحـــيران
وإذا جــرّد الحــق ســيفه، وانتــضى | أصــبح الفكــر مفــضوح حــسران
واليقين هو مواهب تعالى مـن وهـب | مـــا ينـــال الفتـــى مـــا تمنّـــى

يا عــــــذول أنــــــت للحــــــب جاهــــــل
وأنــــــت عــــــن ســــــكرة الحــــــب ذاهــــــل
لـــــو عرفـــــت الهـــــوى مـــــا أنـــــت عـــــاذل

مـن تبـدّى لعينيـه معـسول الـشنب | ومـــــلا منــــه عينـــــاً وأذنــــا
مازج الروح حبـه وفي الأحـشاء، دب | واجــتلى الحــسن في كــل حَــسنا

٢٣٤. بالله قل لي

يا من سـكن في سـفح "بـير العـزب" | بـــالله قـــل لي كيـــف حالـــك؟
وهـل لهجرانـك لنـا مـن سـبب | ومــا الــذي عنّــا أمالــك؟
فزورتــك أقــصى المنـى والطّلــب | وكلنــــا نهــــوى وصــــالك
طيـب الهـوا فاتـك، وفـات الـشنب | وفاتنـــا بـــاهي جمالـــك

وفاتك الجوّ الذي كالذهب ... وقت الأصيل مازدتمالك[1]
وإن نظرت الروض تنظر عجب ... أخواض[2] ما تخطر ببالك
مفارش الضّرصر ملان الجرب[3] ... إذا نظرت القاع هالك
و"كوكبان" بالتاج أرخى العذب ... سيول كاللؤلؤ تهالك
والندّ يصعد من مجامر ذهب ... مثل الغمايم في خيالك
والدار قطني قد روى بالخصب ... ما صحّ فيه "المتقى"[4] لك
ولا تقل ماشي لدينا عنب ... "بني جبر"[5] فيه المنى لك
حلاوته تزري بطعم الرّطب ... أيضاً، وعاد فيه الشّفا لك
أمّا إذا دارت كؤوس الأدب ... فسفّ من صافي زلالك
فلا تقيس الدرّ بالمخشلب ... ميّز يمينك من شمالك

٢٣٥. تسبيح..

الله هو حسبي، ونعم النصير ... مالي سواه أقصد وأعني
سبحان مولاي الغني القدير ... بقدرته للكلّ يغني
سبحان مولاي اللطيف الخبير ... العالم الأسرار منّي
سبحان من أغنى وأقنى الفقير ... من ذا سواه يغني ويقني

***

(١) مازدتمالك: عبارة يتداولونها عند الرغبة في إظهار الإعجاب بأمر ما. أي ما قدر أن يصبر على الإفضاء بمشاعره.
(٢) الأخواض: جمع خوض، وهو الأمر أو الشيء المجهول.
(٣) الضّرصر: السنابل والجرب جمع جربة، وهي المزرعة أو الأرض المصلّحة للزراعة. وملان: أي تملؤ.
(٤) الدارقطني: هو العالم اللغوي الفقيه المشهور.
(٥) العنب الجبري: من أشهر أنواع العنب في اليمن.

المــشتكى يــا رب منّــي إليــك ‏ ‏ ‏ مــن دقّ بابــك غــير مــردود
وأنــت ركنــي والمعــوّل عليــك ‏ ‏ ‏ مــالي لــدفع الــضرّ مجهــود
زمــام أمــري يــا عظــيم في يــديك ‏ ‏ ‏ فحــل مــا قــد كــان معقــود
فعجّــل الغــارة وفــكّ الأســير ‏ ‏ ‏ وكــفّ كــفّ الــسوء عنّــي

***

يــا ربّ إحــسانك إلي جزيــل ‏ ‏ ‏ طــول المــدى بــادي وعايــد
وكــلّ نعمــة شــكرها مــستحيل ‏ ‏ ‏ والحمــد لا يحــصيه حامــد
وأنــت مــن جــودك شــكرت القليــل ‏ ‏ ‏ منّــا وضــاعفت الفوائــد
والهمتنــا شــكرك وزدت الكثــير ‏ ‏ ‏ لكــلّ مــن يــشكر ويثنــي

***

عوايــدك يــا ربّ ســتر العيــوب ‏ ‏ ‏ وكــم لعبــدك مــن معايــب
ما زلت أجني طول دهري ذنوب ‏ ‏ ‏ لــو لاح أدناهــا لــصاحب
لفــرّ مــن ذنبــي فــرار الغــضوب ‏ ‏ ‏ وصــار لي قــاطع مجانــب
وأنــت عــالم بالــصغير والكبــير ‏ ‏ ‏ ســاتر لمــا قــد كــان منّــي

***

كــما ســترت العبــد بــين العبــاد ‏ ‏ ‏ يــا ربّ فــاغفر ســوء فعــلي
ولا تؤاخــذني بطــول الفــساد ‏ ‏ ‏ واســتره عنّــي يــوم فــصلي
ولا تــراه العــين يــوم المعــاد ‏ ‏ ‏ فــالعفو مــن مثلــك لمــثلي
وازكى الــصلاه تغشى الــسراج المنــير ‏ ‏ ‏ والآل والأصــحاب مثنــي

٢٣٦. سلام يا من

سـلام يـا مـن ثنى جيـده ومـال ... كالغـصن لمـا أمالتـه النّـسيم
وطـوّل البعـد عـن صـنعا وقـال ... إنّـه عـلى العهـد ذيّـاك[١] القـديم
هيهـات لـو كـان بـاقي مـا أطـال ... بعـده ولا خلّـف المـضنى يهـيم
يهـيم حـول المنـازل في أزال ... ولـيس لـه في رباهـا مـن نـديم

***

أمـا محبّـك فبـاقي مـستقر ... مـا غـيّر الـصّفو مـن ودّه نـواك
ثابـت عـلى العهـد دايـم مـستمر ... لـو زالـت الـشمّ مـا زال عـن هـواك
يـساقط الـدمع لؤلـؤ منتثـر ... إذا سـمع درّ نظمـك أو ثنـاك
فـاهجر معنّـاك، أوجـد بالوصـال ... وحِـلّ، وارحـل فـؤادي لـك مقـيم

***

لكـنّ طـرفي إلى وصـلك مَـشُوق ... فـما رأى قـط مـن بعـدك حـسن
فلـه عـلى حـسنك البـاهر حقـوق ... مـا ينفعـه إن قلبـي لـك وطـن
فهـات بـالله هـل لـك مـن شروق ... يـا بـدر قـل لي عـلى صـنعاء الـيمن
وهـل لحبـل التجـافي إتّـصال؟ ... وهـل لطيـب التلاقـي مـن شـميم؟

٢٣٧. يا ربّ اسالك

يـا ربّ اسـالك بجـاه الطهـر مـولى ... يـسرّ لعبـدك ثـلاث
العفو، والعافية، واللطف، يوم التنادي ... وهـب لعبـدك ثـلاث
الفـتح، والنـصر في الـدنيا، وقهـر ... واوليـه بفـضلك ثـلاث

---

(١) ذياك: ذلك.

الجمع؛ في الروضه الغنّا بشادن، في غنج لحظه ثلاث
السّمر، والسّحر كامن، والسيوف وقد سكن في الثّلاث
داخل ضلوعي، وفي قلبي، وداخل حتى عدمت الثلاث
منام عيني تجافاني، وشربي، وزادي ولو سمح بالثلاث
نظره، وقبله، ورشفه، ما جفاني رقادي ولا عرفت الثلاث
الشّوق، والوجد في جنح الدجى، لكن بخل بالثلاث
فيا نسيم الصبا إن شفت مالك قيادي بلّغ لخلّي ثلاث
مهجه، تحيه، رسالة عاطره في البوادي بعرف يحكي ثلاث
المسك الاذفر[1]، وعرف الكاذيه، وصَل[2]، وقبل ثلاث
أقدام ساجي الرّنا[3]، والأرض،ثم وعاتبه في الثلاث
فيَّ طول هجره، وإعراضه، وترك واشكيه مني ثلاث
من عاذله، والرقيب، وهكذا اهل ومن سعى في الثلاث
في الزّور، والغدر، ثم المكر بأهل لاذاق طعم الثلاث
عتاب خلّه، ووصل السّيد بعد البعادِ والقرب، هذه ثلاث
صلوا على المصطفى المختار خير العباد والآل، أهل الثلاث
أهل التقى، والنقا، والفوز يوم المعاد ما دام وتر الثلاث[4]

(١) الذّفر: شدّة ذكاء الريح، ومسك أذفر أي جيد جداً وتنطق في صنعاء لفظة الأذفر هكذا الذفر، والكاذ والكاذية نبت طيب الرائحة.
(٢) وصل: أي عند وصولك إليه
(٣) الرّنا: العين والبصر.
(٤) وتر الثلاث: صلاة الوتر وهي ثلاث ركعات.

٢٣٨. الصبر مفتاح النجاح[1]

هـيّج الـشوق قمـري في الـصباح قـد تغنّـى عـلى خـضر الـورق
نحـت لمـا شـكا وجـده ونـاح وأنـا منـه بالـشكوى أحـق
لكـن الـصبر مفتـاح النجـاح والـشّكا قلّـما يطفـي حُـرَق
مـا اشـتياقي إلى البـيض الـصّباح المـصيبات في رمـي الحـدق
واضـحات المباسـم عـن أقـاح في نفـيس اليواقيـت اتّـسق
لا ولا هـاج شـوقي شرب راح في الرّيـاض الـشواهد بالغـدق
بـل إلى ذي المعـالي والـسّماح الـذي فـاق فيهـا مـن سـبق
خاضـب الـسّمر والبـيض الـصّفاح مـن نفـوس الأعـادي بـالعلق
فـارس الخيـل إن هـزّ الرّمـاح علّـم الـرّمح تخزيـق الـدرق
مـن روى عـن معاليـك الـصّحاح يـا صـفيّ الهـدى؛ قلنـا: صـدق
لاح في افـق عليـاك الفـلاح واكتـسى مـن دم الأعـداء شـفق
ذكـركم عنـدنا مالـه بـراح.. في منـامي وفي وقـت الأرق
كـم سـأل صبّكم مـن جـاء، وراح مـا جـرى؟ مـا تجـدّد؟ مـا اتّفـق؟
فمتـى للنّـوى هـذا نجـاح[2]؟ ومتـى يـنجلي هـذا الغـسق؟
دمـت في عـزّ دايـم، وانـشراح خـالي البـال مـن كـل القلـق
والـصلاة والـسلام مـا الـصبح لاح تبلـغ الطّهـر أفـصح مـن نطـق
وعـلى الآل أقطـاب الـصّلاح مـا أزال الـدّجى ضـوء الفلـق

---

(١) أشار جامع الديوان أن هذه القصيدة مهداة إلى القاضي / أحمد بن حسين العنسي البرطي.
(٢) نجح ينجح: لهجة يمنية بمعنى نفد.

٢٣٩. الشوق غالب(*)

غ غاب عن ناظري قرة العين اليمين | وهو عن خاطري غير غايب
ا آه كم لي أكاتم وُلُوعِي والحنين | لكن الشوق للقلب غالب
ل لا يمي لا تلمني فقول اللاّيمين | عند أهل الهوىٰ غير صايب
ب بان عذري علىٰ حب وضّاح الجبين | وانكشف عاذلي فيه خايب
إ إن تلقّيت رايات حبّه باليمين | ما عليّا من الناس عاتب
ب بعد ما اصطاد حسنه قلوب العاشقين | وفتن كل ناسك وراهب
ن نظّم الحسن في ثغره الدرّ الثمين | فوق سلك العقيق المناسب
ا أنت يا بدر ينقص كمالك كل حين | وهو يزداد حسنه مراتب
ل ليس لك كل ماله من الحسن المبين | فرق ما بين طالع وغارب
خ خصّه الله وأعطاه ربّ العالمين | من فنون المحاسن عجايب
ل له من الحسن مالي من الوجد الكمين | ما لهذا وهذا مقارب
ي يعجز القول عنها، ووصف الواصفين | والعناية من الله مواهب
ف فإذا قلت شاعوّذ القلب الحزين | من سيوف اللّحاظ القواضب
ه هزّ قدّه كما هزّ رمحه باليمين | فارس الخيل زين المواكب
"غالب" ابن الخليفه أمير المؤمنين | دام في الملك للكل غالب

٢٤٠. يا غافر الذنب

يا غافر الذنب يا عالم بظلمي وجهلي | يا قابل الاعتذار
اغفر ذنوبي وكن لي كلمّا زلّ فعلي | مقيل عند العثار
ولا تكلني إلىٰ نفسي فقد بان جهلي | وظلم نفسي جهار
من يوم عرض الأمانة عندما اخترت | لثقلها باختيار

(*) هو الشيخ غالب بن محمد بن يحيىٰ الذي ترجم له المؤرخ زبارة في نزهة النظر. ص٤٦٩.

نسيت عهدك وتابعت الهوىٰ لم تجد لي ... عزيمـــــــة اهــــــل الوقــــــار
فشاني الجهل، والغفران شـانك لمـثلي ... ممّـــــــن تعـــــدّىٰ وجــــــار
يشتدّ خوفي وكل الخـوف مـن سـوء ... مــــن الــــذنوب الكبــــار
وحسن ظني يبـشرني بـإدراك سـؤلي ... مــــن فــــضل ذي الاقتـــدار
ورحمتك واسعه للخلق علوي وسفلي ... لنــــا إليهــــا اضــــطرار
وليس لي من وسيله غير فقـري وذلي ... والعجــــــز، والانكــــــسار
بجاه طه عريض الجـاه يـا ربّ صـلّي ... عليــــه مــــا الــــنجم دار
والآل والصحب ما صلىٰ عليه المصلي ... في ليــــــل، أو في نهــــــار

٢٤١. الطلعة السعيدة

انظــر إلىٰ حكمــة حكــيم قــادر ... ولطفــه الــساري عــلىٰ عبيــده
أنــشأ لنــا أفلاكهــا الــدوائر ... فيهــا منــافع للــورىٰ عديــده
وزانهـــا بـــالأنجم الزّواهـــر ... تــسري بهــا في الــشقّة البعيــده
تهــدي بــأمر الله خــير آمــر ... في كــل لحظــة منفعــة جديــده
وبعــدها أنــشا لنــا العنــاصر ... في كــل واحــد فايــده مفيــده
وابـدىٰ مـن المجمـوع ملـك بـاهر ... في كــل مــا نهــواه أو نريــده
وقــد جعــل فينــا لــسان شــاكر ... تجـري حـروف الـشكر في وريـده
يمــدّنا مــن جــود بحــر زاخــر ... بالــشكر؛ مــا نرجــوه مــن مزيــده
فكيــف لا يرجــىٰ ليــوم آخــر ... مــن ابتــدا بالفــضل أن يعيــده؟
وإن عــصينا فهــو خــير غــافر ... والعفــو مــن أخلاقــه الحميــده
قــد خــصّنا بالــشافع المبــادر ... لربنــا بالحمــد في ســجوده
لنــا بحمــد الله حــظ وافــر ... بالمــصطفىٰ دامــت لنــا ســعوده

صـــلى عليــه الله مـــا المـــواطر　　بـــالبرق ســـاقتها لنـــا رعـــوده
ويعـــد ذا يـــا قـــرة النـــواظر　　يـــا مـــن بخـــل بالوصـــل عـــن عميـــده
حتـــى متـــى وجـــدي عليـــك ثـــاير　　واشـــواق قلبـــي للّقـــا شـــديده؟
وانـــت عنـــي محتجـــب وهـــاجر　　لمـــن وصـــالك مثـــل يـــوم عيـــده
كـــم لـــه مراقـــب للقـــا منـــاظر　　يحظـــى بنـــور الطلعـــه الـــسعيده
فهـــل لهـــذا الهجـــر منـــك آخـــر؟　　أم هـــل لهـــذا الوصـــل مـــن يعيـــده؟
الله عـــلى جمـــع الـــشتات قـــادر　　وأمـــره المـــاضي عـــلى عبيـــده

٢٤٢. من يبلغ غزال رامه(*)

(مـــن يبلـــغ غـــزال رامـــه　　مـــذهب الخـــدّ ســـاجي العـــين)
قـــد مـــسرنا[1] عـــلى الـــسلامه　　وارتـــشفنا ســـلافة العـــين
وعزمنـــا عـــلى الإقامـــه　　بعـــد طـــول الفـــراق والبـــين
إنـــما جـــارت الغرامـــه[2]　　هـــات قرشـــين بعـــد قرشـــين

***

يعلـــم الله هـــل يـــساعد　　دهرنـــا بالّـــذي نريـــده؟
ننظـــر الـــشذروان صـــاعد　　يشـــر الـــدرّ مـــن عقـــوده

(*) "من يبلغ غزال رامة" قصيدة بديعة للشاعر الصنعاني المولد "حيدر آغا" الرومي الأصل والمتوفي سنة ١٠٨٠هـ ولحنها من أبدع الأغاني الصنعانية، وقد عارضها أيضاً قبل شاعرنا ابن اسحاق الشاعر الهزلي علي بن الحسن الخفنجي.

(١) مسر يمسر البئر: أخرج ما فيها من طين وقد سبق تفسيرها.

(٢) جارت الغرامة: أي زادت الخسارة.

والـــــبرك تجمـــــع الفرايـــــد   والعقـــــود حولهـــا جديـــــدة
بعـــــدما تـــــصلح الدعامـــــه   والقـــــساطير يـــــستقيمين

***

هـــــذه الـــــدار دار أكـــــدار   مـــا صـــفا وردهـــا لـــشارب
حـــسنها للحكـــيم غـــرّار   حبهـــا للعقـــول ســـالب
مـــن ســـلم مـــن غرورهـــا صـــار   عـــالي القـــدر والمراتـــب
يـــا ســـلام اكتـــب الـــسلامه   مـــن محـــلّ الغـــرور والبـــين

***

إنـــما العـــيش والتهـــاني   في جنـــان الخلـــود يـــا صـــاح
حيـــثما الخـــرّد الغـــواني   وارتـــشاف الرحيـــق والـــرّاح
وجنـــا الجنتـــين داني   ونـــسيم الزهـــور فـــوّاح
والـــصلاة مـــا همـــت غمامـــة   تغتـــشي ســـيد الفـــريقين

٢٤٣. ما فرقة الأحباب إلاّ عذاب(*)

وافى إلينـــا مـــن تهامـــه كتـــاب   مكتوب عنوانه صـدر مـن "زبيـد"
أهـدىٰ لي الأفـراح مـن كـل بـاب   وكـــان ريحـــاني وأنـــسي الوحيـــد
ويـــتّ أشرب مـــن زلالـــه شراب   وقلـــت: هـــذا يومنـــا يـــوم عيـــد
وكلـــما كـــرّرت ذاك الخطـــاب   وحدي يقول الشوق: هـل مـن مزيـد؟

***

كالغيـث وافى بعـد طـول المغيـب   يحيـي بـه الرّبـع الجـديب المحيـل
وكـان وصـله مثـل وصـل الحبيـب   بعـــد التجـــافي والفـــراق الطويـــل

(*) هذه القصيدة قالها عندما وصله كتاب من والده إسماعيل حين عزم مع المتوكل محمد بن يحيى إلى تهامة.

ومــــثلما التِّريـــاق عنـــد الطبيـــب　　　يـشفي بــه الجـسم العليــل النحيــل
مــا فرقــة الأحبــاب إلاّ عــذاب　　　وفي لقـــاهم بغيـــة المـــستفيد

***

لا عـــيش إلاّ بالأحبـــه يطيـــب　　　ولا سرور إلاّ بهـــم يـــستقيم
اســأل مــن الله القريــب المجيــب　　　قــرب التلاقــي في أتــمّ النعــيم
ويجتمــع شــملي بهــم عــن قريــب　　　بحـــق طـــه.. النبـــي الكـــريم
ويحفــظ المــولى رفيــع الجنــاب　　　خــدن المعــالي والمليــك الــسعيد

قال ناسخ ديوان **(ذوب العسجد)** في المخطوط الذي اعتمدناه كأصل وتمت مقابلة النسخ الأخرى عليه ما نصه :

«هذا الموجود من ديوان سيدي المولى الحسام رحمه الله تعالى. وإذا منَّ الله تعالى بوجود زيادة أثبتناها إن شاء الله تعالى وكان الفراغ من زبره صبح يوم الخميس لعله ٢٨ شهر الحجة ١٢٩٣ من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ».

بعناية الأخ الهمام صاحب الأخلاق

سيدي الحسام محسن بن علي بن عبدالكريم بن إسحاق وفقه الله تعالى وإيانا وجميع المؤمنين بحوله وطوله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله)) انتهى .

أما النسخة الأخرى التي تمت المقابلة عليها مع نسخ أخرى ذكرناها في المقدمة فقد انتهى من نسخها صاحبها في ليلة الجمعة الموافق ١١ من ذي القعدة سنة ١٣٥٥هـ، وصورتها مثبته صفحة (　　).

عبدالله بن محمد بن عبدالله إسحاق

إبراهيم بن محمد بن محمد إسحاق

الثلاثاء ١٥/ ٦/ ٢٠١٢م الموافق ٢٥ رجب ١٤٣٣هـ

فهرس القصائد

الجزء الثاني الحميني ٣١١